ابن رشد للدراسات

Ibn Rushed
2024

مجلة فصلية علمية محكمة

رقم الإيداع: D/2023/1654
ISSN 3007-021X
ISSN (online)
3006-7634

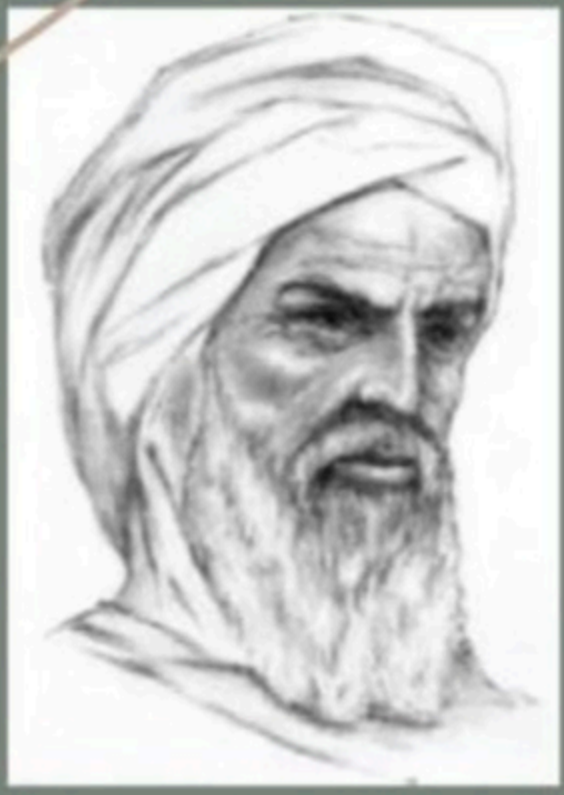

للعلوم الاجتماعية والإنسانية

تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

إربد / الاردن

العدد الاول المجلد الاول كانون الثاني ٢٠٢٤

قسيمة اشتراك في مجلة ابن رشد للدراسات

لمدة : .....

ابتداء من : .....

الاسم: .....

العنوان: .....

الاشتراك السنوي في مجلة ابن رشد للدراسات يشمل أجور التجديد .

أ. داخل الأردن		ب. خارج الاردن	
للافراد	١٠ دنانير :	للافراد	٢٠ دولارا أمريكيا :
للمؤسسات	٢٠ دينارا :	للمؤسسات	٤٠ دولارا أمريكيا :
للطلبة	٨ دنانير :	للطلبة	١٠ دولارات امريكية :

طريقة الدفع :

شيك	حوالة بريدية	حوالة بنكية	بطاقة اعتماد (فيزا)
☐	☐	☐	☐

ترسل القسيمة مع رسم الاشتراك إلى :

هاتف:

٠٠٩٦٢٧٨٨٠٣١٠٣١ / ٠٠٩٦٢٧٩٩٠٤٥٠٠٠

البريد الالكتروني:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

مجلة ابن رشد للدراسات

المجلد الأول – العدد الأول، رجب ١٤٤٥ / كانون الثاني ٢٠٢٤

Ibn Rushd

رئيس التحرير المسؤول

د. يونس الجمرة

سكرتارية التحرير

د. صايل خطايبة **د.خضر السرحان** **د.عزام أبو الحمام** **د.محمود الفطافطة**

هيئة التحرير الاستشارية

الاسم	الدولة	الاسم	الدولة
د. أريج جابر	الأردن	د. أسماء خصاونة	الأردن
د. خالد الشريدة	الأردن	د. ربيحة الرفاعي	الأردن
د. خالد ميّاس	الأردن	د. علي الحلاق	الأردن
د. عبد السلام يحي سيّد	موريتانيا	د. أسماء أنيلا	المغرب
د. محمد بني عيسى	الأردن	د. إكرام البشير الجمل	ليبيا

مجلّة فصليّة علميّة محكمّة للعلوم الاجتماعية والإنسانية تصدر عن

مؤسسة عين السلطان للدراسات والأبحاث

إربد / الأردن

هاتف:

٠٠٩٦٢٧٩٩٠٤٥٠٠٠ / ٠٠٩٦٢٧٨٨٠٣١٠٣١

البريد الالكتروني:

ibn.rushid@yahoo.com /ibn.rushed01@gmail.com

الموقع الالكتروني:

https://ibn-rushed.com/

الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

مجلة ابن رشد للدراسات

المجلد الأول – العدد الأول، رجب ١٤٤٥ / كانون الثاني ٢٠٢٤

Ibn Rushd

الهيئة الاستشارية

الاسم	الدولة	الاسم	الدولة
الأستاذ الدكتور علي محافظة	الأردن	الأستاذ الدكتور إحسان الرباعي	الأردن
الأستاذ الدكتور فواز عبد الحق	الأردن	الأستاذ الدكتور فتحي سالم اللهيبي	العراق
الأستاذ الدكتور وليد عبد الحي	الأردن	الأستاذ الدكتور نور الدين إمعيط	المغرب
الأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس	الأردن	الأستاذ الدكتور محمد المختار	السنغال
الأستاذ المميز الدكتور إبراهيم جدلة	تونس	الأستاذ الدكتور حمدادو بن عمر	الجزائر
الأستاذ الدكتور لطفي أبو الهيجاء	الأردن	الأستاذ الدكتور عمران محافظة	الأردن
الأستاذ الدكتور فايز أبو عريضة	الأردن	الأستاذ الدكتورة ثروت الحوامدة	الأردن
الأستاذ الدكتور وليد حميدات	الأردن	الأستاذ الدكتور صابرينة الواعر	الجزائر
الأستاذ الدكتور أحمد جوارنة	الأردن	الأستاذ الدكتور نعمة ماء العينين	المغرب
الأستاذ الدكتور محمد عوض الهزايمة	الأردن	الدكتورة أشواق عبّاس	سوريا
الأستاذ الدكتور لخضر محمد بو لطيف	الجزائر	الدكتورة إيمان صلاح عطاطة	مصر
الأستاذ الدكتور فايز النجار	الأردن	الدكتور صالح محروس محمد	مصر
الأستاذ الدكتور محمد المومني	الأردن	الدكتور ربيع عويس	فلسطين
الأستاذ الدكتور نبيل النجار	الأردن	الدكتور نبيل قريسة	تونس
الدكتور محمد نعيم فرحات	فلسطين	الدكتورة هند فخري سعيد	العراق
		الأستاذ الدكتور محمد كنتاوي	الجزائر

الآراء الواردة في المجلة تعبّر عن رأي كاتبها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة

مجلة ابن رشد للدراسات

المجلد الأول – العدد الأول، رجب ١٤٤٥ / كانون الثاني ٢٠٢٤

Ibn Rushd

تعليمات النشر(١)

١) تنشر مجلة إبن رشد للدراسات البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في العلوم الاجتماعية والإنسانية، مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية فقط.

٢) يطبع البحث على جانب واحد من الورقة مستخدما فراغا مزدوجا وحواشي (١,٥سم من كل جانب على الأقل) ويجب ترقيم الصفحات .

٣) يشترط في البحث ألا يكون قد نشر أو قدم للنشر في أي مكان آخر.

٤) تخضع البحوث للتحكيم حسب الأصول العلمية المتبعة ، وفي حال طلب تعديلات على البحث يعاد إلى الباحث لإجراء التعديلات المطلوبة .

٥) لا تلتزم المجلة بنشر البحث إلاّ بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، أو تتولى هيئة التحرير إجراء بعض التعديلات المطلوبة وفقا لخطة النشر .

٦) أن يكون البحث مطبوعاً باستخدام برنامج Word، وفقا للنموذج الموجود في تعليمات النشر التالية:

- أن يكون عنوان البحث الرئيسي بالتنسيق التالي (Arial/Bold/14) للغة العربية (Arial/Bold/12) للغة الإنجليزية.
- أن يكون تنسيق العناوين الفرعية (Arial/Bold/12)
- أن يكون تنسيق متن البحث (Arial/12)
- أن لا تزيد عدد كلمات البحث عن ٥٠٠٠ كلمة بحده الأقصى ١٥ صفحة A4 والمسافة بين الأسطر ١,٥
- يرسل البحث الى رئيس تحرير المجلّة بوساطة البريد الالكتروني من خلال البريد الإلكتروني علما أنه لن يتم استلام أي نسخ ورقية من البحث.
- يجب أن يتضمن البحث العنوان وأن يكون معبرا عن المحتوى وعليه اسم الباحث/الباحثين.

٧) الملخص يجب أن لايزيد عن ١٥٠ كلمة ، ويحتوي على هدف الدراسة ، والمنهج ، والنتائج والتوصيات

٨) ترقم الجداول والأشكال على التوالي حسب ورودها في البحث.

٩) عند إجازة البحث للنشر تؤول حقوق الملكية للمجلة.

تعليمات النشر(٢)

١٠) تكتب المصادر والمراجع في الهامش في آخر البحث ، يشار إلى المصادر الأساسية أولا و المعاجم بمختلف أنواعها والبقية بالترتيب كما يلي :

- يكتب اسم المؤلف / أسماء المؤلفون كما هو/هم ، وإذا كانوا أكثر من اثنين ، يكتب الإسم الأول ويشار للبقية (آخرون) ، سنة النشر ، إسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة .
- الكتب المترجمة ، كما سبق مع ذكر المترجم بعد اسم المرجع مباشرة .
- المجلات : اسم المؤلف : عنوان البحث أو الدراسة ، إسم المجلة ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة
- رسائل الدكتوراه أو الماجستير : اسم المؤلف ، عنوان الرسالة ، الجامعة ، السنة ، الصفحة .
- الكتب باللغة الانجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، سنة النشر ، اسم المرجع ، الناشر ، الطبعة ، مكان النشر ، الصفحة (يكتب باللغة الإنجليزية أو لغة المرجع) .
- المجلات باللغة الإنجليزية أو اللغات الأخرى ، اسم المؤلف ، عنوان البحث أوالدراسة ، اسم المجلد ، العدد ، المجلد ، السنة ، الصفحة (بالانجليزية أو لغة المجلة) .
- المؤتمرات : اسم مقدم الورقة أو التقرير ، عنوان الورقة أو التقرير ، إسم المؤتمر ،مكان انعقاد المؤتمر ، السنة، الصفحة .
- الصحف : اسم كاتب المقال أو الخبر ، عنوانه ، إسم الصحيفة ، مكان الصدور ، العدد ، التاريخ .
- المواقع الإلكترونية : إسم الموقع ، عنوان المقال أو الخبر ، إسم الكاتب ، الرابط باللغة الانجليزية ، تاريخ النشر، الساعة.

١١) في حال نشر البحث لا يجوز لأي جهة أخرى إعادة نشره أو نشر ملخص عنه ، أو نشر ترجمة له في أيّ وسيلة (كتاب ، أو صحيفة ، أو دورية أخرى) إلاّ بموافقة خطية من إدارة المجلة .

١٢) يتم إبلاغ الباحث عن موعد النشر في مدة لاتزيد عن شهر من تاريخ استلام البحث .

١٣) تعتذر المجلة عن إعادة البحوث سواء نشرت أم لم تنشر .

١٤) تحتفظ المجلة بحقها في نشر البحث وفق خطة تحرير المجلة .

١٥) يدفع الباحث تكاليف النشر في حال الموافقة على نشر البحث ، ولا ينشر أي بحث قبل استلام التكاليف.

١٦) ترسل البحوث على العنوان التالي لرئيس التحرير :

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

مجلة ابن رشد للدراسات

المجلد الأول – العدد الأول، رجب ١٤٤٥ / كانون الثاني ٢٠٢٤

Ibn Rushd

المحتويات

الأبحاث	الصفحة
• **افتتاحية العدد الأول** د. يونس الجمرة	١
• **ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها** د. محمد نعيم فرحات	٥
• **تجليات الخطاب الديني في تاريخ الغرب الإسلامي .. تنازع الصدارة و توليفة المرجعية** أ.د. لخضر بولطيف	٢٣
• **مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب الأقصى زمن العصر المريني الأول (٦٦٨-٧٥٩هـ/١٢٦٩-١٣٥٨م) من خلال المصادر العربية** أ/د. نورالدين أمعيط	٥٥
• **التنافس البريطاني الإيطالي على جزر حنيش اليمنية في النصف الأول من القرن العشرين (دراسة وثائقية)** د. صالح محروس محمد محمد	٨٣
• **طرق التدريس الحديثة ودورها في تطوير الدرس الفقهي " طرق تدريس المهارات الفقهية نموذجا "** د. أسماء إذبلا	١٠٦
• **دور الأستاذ الجامعي في تطوير الدراسات الإنسانية وفق تحولات العصر الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد انموذجاً** أ.م.د. فتحي سالم حميدي	١٣٤

إفتتاحية العدد الأول

د. يونس الجمرة

رئيس التحرير المسؤول

أن تحمل هذه المجلة إسم إبن رشد فهذا شرف لها ، لأنها تضع على صفحاتها اسم رجل موسوعي أحاط بأهم العلوم في عصره، رجل أخذ منه الغرب والشرق فصار لزاما علينا أن نكتب شيئا من سيرته الذاتية ، ليعرف القاريء من هو إبن رشد ؟ وسبب إطلاق اسمه على مجلة علمية محكّمة .

ابن رشد هو العالم والفيلسوف العربي حيث ولد وعاش في الأندلس ، والملقب بأبي الوليد واسمه محمد بن أحمد بن رشد الأندلسي المولود في قرطبة عام ١١٢٦ ميلادية لأب كان قاضيا بارزا ، وتوفي عام ١١٩٨ ميلادية في مدينة مراكش ، يعتبر من أعظم فلاسفة العرب في عصره وله مكانة في الغرب (١) ، ذاع صيته كأكبر ناقد لنظريات الفيلسوف اليوناني أرسطو ، ويعتبر ظاهرة علمية متعددة الاختصاصات ، فهو فقيه مالكي ، وقاضي القضاة في زمانه ، وطبيب تفوق على أساتذته وخصوصا أستاذه إبن زهر الذي قال فيه : " إبن رشد أعظم طبيب بعد كالينوس " (٢) ، وفيلسوف عقلاني ، وقد ترجم أعمال أرسطو المرجعية للعرب والغرب ، كما أنه عالم فلكي له أعمال جليلة في هذا المضمار ، وقد تصدّى بنقد المتكلمين باسم توافق المعقول والمنقول وعلى رأسهم الإمام الغزالي (٣) .

أُعجب به إبن طفيل فقدمه للأمير يوسف ، الذي اشتهر بحب العلم والعلماء ، فشمله الأمير برعايته وحمايته ، وأعانه على تولّي مناصب عدة ، فأصبح قاضيا لمدينة إشبيلية ، وأُضيف له القضاء في قرطبة إلى جانب مناصب أخرى ، وهذا ما أرهقه فأصبح يشكو من التنقلات في أنحاء الدولة ، فلم يجد وقتا للدرس والاستزادة من العلم والمعرفة (٤) وعلى أثر ذلك عُيّن حاكما لإحدى المقاطعات .

دافع عن الفلسفة ، وصحح علماء وفلاسفة كإبن سيناء والفارابي في فهم بعض نظريات إفلاطون وأرسطو ، فأقبل على تفسير آثار أرسطو تلبية لرغبة الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف ، وبعد ذلك أُلحق بالبلاط المراكشي كطبيب الخليفة الخاص ، لكنّ دسائس الأعداء والحاقدين لاحقته في عهد (أبي يوسف يعقوب المنصور) فاتهمه مع ثلة من مبغضيه بالكفر والضلال وتمّ إبعاده إلى إليسانة "بلدة صغيرة بجانب قرطبة أغلب سكانها من اليهود " فتم حرق جميع مؤلفاته الفلسفية ، ومُنع من الاشتغال بالفلسفة والعلوم جميعها ، ما عدا الطب والفلك والحساب (٥).

أكلت النيران عصارة فكره وسط سخط واتهام الحاقدين عليه ، واعتباره زاغ عن درب الهداية ، وبعد ذلك يعود الخليفة ليرضى عنه ويلحقه ببلاطه ، لكن قطار العمر فات فتوفي هو والمنصور في نفس العام ، يتميّز ابن رشد بفلسفة يرى أنه من مقدمات معلومة نستطيع أن نستنتج نتيجة مجهولة ، ومن مقدمة كبرى فمقدمة صغرى نحصل على نتيجة إذا سلّمنا بالمقدمات الكُبرى والصُغرى ، وهكذا سوّغ ابن رشد دراسة المنطق (٦) .

كما استطاع أن يميّز بين الأقيسة كقياس البرهان من مقدمتان سابقتان مثل :كلُّ إنسان فان ... سقراط إنسان ... إذن سقراط فان . ويقول عن القياس البرهاني تكون مقدمتاه صادقة ، وهذا يعتبر القياس السليم عند ابن رشد ، أما القياس الجدلي هو القياس الذي مقدمتيه واحدة منها احتمالية او كلتا المقدمتين ، اما القياس المغالطي فهو الذي فيه واحدة من مقدمتيه مغالطة ، والقياس في الفقه لا يعتبرونه بدعة (٧) .

ويمكن أن نلخص ما يطرحه إبن رشد بما يلي :

١ – أوجب الشرع النظر في الوجود بالعقل .

٢ – أوجب دراسة المنطق من خلال تفسير الآية القرآنية " واعتبروا يا أولي الأبصار " وهنا يرى معنى الأبصار القياس .

٣ – كذلك أوجب النظر في الوجود من علل الموجودات .

٤ – العلاقة بين تقرير العقل البرهاني وما تتفق به الشريعة .

٥ –لايرى تناقض بين الفلسفة " الحكمة " والشريعة .

يقول لويجي رينالدي في بحث بعنوان : " المدينة العربية في الغرب " : " من فضل العرب علينا أنهم عرّفونا بالفلاسفة اليونانيين " حيث شرح ابن رشد وترجم نظريات أرسطو ، ولاننسى أن ابن رشد هو مبتكر مذهب " الفكر الحرّ " ، فقد قال كلماته الأخيرة عند موته : "تموت روحي بموت الفلسفة "(٨) يرى جون روبرتسون في كتابه " تاريخ موجز للفكر الحر" أن ابن رشد أشهر مفكر مسلم ، وأكثرهم نفوذا في الفكر الأوروبي ، كما قال مايكل هرناندث : أن الفيلسوف ابن رشد سبق عصره ، وقدّم للعلم مجموعة من الأفكار ، ويضيف هرناندیز أن ابن رشد قدّم رؤية أكثر شمولا للمدينة الفاضلة ، والمدينة هنا تعني الدولة (٩).

أما أهم أعماله : فقد وضع ابن رشد أكثر من خمسين كتابا معظمها تعرض لإشعال النار بها ، وله شروحات منها شروحاته لأرسطو ، وشرح كتاب النفس ، وكتاب القياس ، وله مجموعة مقالات في العقل ، في القياس ، وفي حركة الفلك ، أما كتبه فكان من أهمها : مناهج الأدلة ، وفصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ، وكتاب تهافت التهافت ، وهو رد ابن رشد على الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة ، كتاب الكليّات ، كتاب المسائل قي الحكمة ، وكتب كثيرة مهمة (١٠) .

هذا هو ابن رشد الذي أثّر في الغربيين ، وله مدرسة تسمى " المدرسة الأرسطية الرشدية في الفلسفة " ، فقد كتب الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون في الاندلس كتبا لابن رشد بالعبرية ، وكان الفلاسفة الغربيون يطلقون عليه ألقابا مثل " المعلّق " أو " الشارح " ، اهتم به الفلاسفة المحدثين في أوروبا وأطلقوا على كويكب صغير اسم ابن رشد ، فقد تغلغل في حياة الغرب الفلسفية والعلمية والثقافية والأدبية .

الهوامش

١ – حسين فرج زين الدين : دائرة معارف الشعب ، كتاب الشعب ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٣٥٣ – ٣٥٥ .

٢ – المعرفة ، ابن رشد http://www.marefa.org ٢/١/٢٠٢٤ . ص٣

٣- المعرفة ، ابن رشد ٢/١/٢٠٢٤ مرجع سابق ، ص٢ .

٤ – حسين فرج زين الدين ، مرجع سابق ن ص٣٥٤ .

٥ – احمد فكري (١٩٨٣) : قرطبة في العصر الإسلامي تاريخ وحضارة ، منشورات مؤسسة شباب الجامعة .

٦ –محمد منصور (٢٠٠١) : موسوعة أعلام الفلسفة ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان / الأردن ، ص١٣-١٤ .

٧ – محمد عابد الجابري (١٩٩٨) : ابن رشد سيرة وفكر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ص٥٧ .

٨ – محمد لطفي جمعة : تاريخ فلاسفة الإسلام ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ .

٩ – محمد جمعة لطفي ، مرجع سابق ، ص٢٢٣ .

١٠ - المعرفة ، ابن رشد ٢/١/٢٠٢٤ مرجع سابق ، ص٤ .

محمد نعيم فرحات
أستاذ مشارك في علم الاجتماع- فلسطين
mfarhat2004@yahoo.com

Received: 5/1/2024
Revised: 6/1/2024
Accepted: 11/1/2024
Published:25/1/2024

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ:
عن الصراع في فلسطين وعليها

يمثل الصراع الدائر بشأن فلسطين أعقد صراع يشهده التاريخ المعاصر على الأقل، سواء من حيث خلفياته أو تداعياته وأثاره أو تشابكه أو تعدد أطرافه والمنخرطين فيه والمعنيين به.

وإذ ينقضي قرن من الزمن ويبدأ آخر، فما زالت دراما صراع شامل تتواصل بين الفلسطينيين والعرب وامتداداتهم من جهة، وإسرائيل وحلفائها من جهة أخرى، حول معنى وماض وراهن ومستقبل وتاريخ وجغرافية مكان واحد والأحقية فيه، صراع تدور رحاه بين الحقيقة الفلسطينية التي انكسرت عام ١٩٤٨ لكنها لم تهزم، في مجابهة رواية إسرائيل التي تحققت لكنها لم تعرف، لا الرسوخ النهائي ولا الاستقرار، وعلى مدار العقود الأخيرة تعيش في كنف ضائقة وجودية متفاقمة.

في هذه الدراما تقيم الميثولوجيات بقوة تلحظ على سطح إيديولوجيات متحفزة وفي أعماقها السحيقة أيضا، إيديولوجيات ضاقت بها الأرض والتاريخ فبحثت عن تأويل للسماء وصناعة سند لها هناك، كي تشرع وتُباركَ وتُساندَ ما يفعله بشر ببشر على الأرض، أبدت حتى اللحظة طاقات جبارة، في عملها الشاق والدؤوب لإعادة تشكيل "الزمن والتاريخ[١]" بالفعل وبالخطاب .وعلى بسيطها المعقد تشتبك الرموز والقيم والتصورات والأحقيات والقوى في صراع مُركب بين إرادات ومصالح وحقوق وغرائز وأوهام، لم يعوزها في كل الأزمنة، وجود قوى تحولها إلى عقائد وثقافات وتضحيات.

(١)

منذ البدء، أنبنى الصراع على فلسطين ومعناها، في فكر إسرائيل وشركائها كما في الممارسة، على مبدأ الإنكار والإقصاء الشاملين .وقد طال هذا المبدا وجود البشر حتى في مستوياته الفيزيقية لمرحلة

على الأقل[٢] وليس التاريخية والثقافية والسياسية فقط، وقد تعاطت الثقافات والاستراتيجيات المتصارعة مع هذا الإنكار، كشرط بنيوي لتحقيق ألذات، وأضفت عليه طابعا عقائديا مكثفا.

بعد عقود من المواجهات، كانت الخلفية التي تحكم الموقف من الآخر، وعند طرفي الصراع كليهما (الإسرائيليون وحلفائهم) و(الفلسطينيون وامتداداتهم) مع فوارق حاسمة في الأحقية بين الطرفين لا زال ثقافيا في العمق هو كذلك، رغم أن التاريخ يبين بالملموس، بأن تطرف الحركة الصهيونية إزاء الفلسطينيين كآخر صار ضحية لها، كان يتجاوز الواقع والعقل والقدرة معا، بدليل أن إنكارهم لم يلغيهم من التاريخ .وقد استدعى هذا الأمر من الفلسطينيين بدورهم وإبان بلوغهم ذروة الانكسار، لإنكار وجود الآخر /الخصم نفسه الذي أنكرهم، وليس مشروعيته فحسب، ورفعوا الإقرار والاعتراف به لعقود إلى مرتبة الحرام التاريخي والأخلاقي والديني والسياسي .وقد جرى ذلك في خضم بناء موقف من إسرائيل كخصم، يضعها نقيضا للحق وللتاريخ وللعقيدة وللثقافة وضرورات الوجود والتحقق والمصالح معا .غير أن التطرف بخصوص الموقف من الآخر عند الفلسطينيين من جهتهم، كما عند الإسرائيليين من طرفهم، وإن أختلفت سياقاته وخلفياته وتعبيراته، قد واجه بعد سلسلة من الأحداث والوقائع والكوارث السياسية حقيقية وجود الآخر في الواقع، وهي مسألة يقع التعامل معها وتدبرها بشكل مختلف من طرف البنى السياسية للجانبين :الفلسطيني والإسرائيلي.

(٢)

الجماعة الفلسطينية تجاوزت اللحظة التاريخية التي تضمنت إمكانية اندثارها وغيابها، واستمرت في التعبير عن نفسها كحقيقة راسخة رغم إقصائها عن المكان، فيما كانت إسرائيل تتشكل كحقيقة قائمة قوية وإن كانت غير مشروعة، وغير قابلة موضوعيا للاستقرار، لكنها سعت بشتى السبل لتجذير نفسها في الزمان والمكان والوعي.

تواصل الاشتباك صُعداً بين كلا الحقيقتين على مدار العقود الماضية، أجبر كلا الواعيين السياسيين (الإسرائيلي والفلسطيني) على التقهقر الصعب نحو حيز الإقرار بوجود الآخر كحقيقة قائمة بغض النظر

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

مؤقتا عن مشروعيته .بيد أن هذا الإقرار، جرى على نحو قلق ومرتبك في المستوى السياسي أساسا، ولم يتطور نحو وجود إقرار وقبول ثقافي عند كلا الجانبين معا.

هذا المتغير الهام و(المقصود الإقرار بوجود الأخر وليس الإقرار بمشروعيته بالضرورة) الذي أنتجته مفاعيل الصراع الشامل ومعطياته، وتدخلت في صياغته بقوة كيفيات تصرف كلا الطرفين، إزاء الحصار القائم أو المبني أو المحتمل يدين بالأساس لعودة الفلسطيني وحضوره في مسرح الواقع، قادما من مجالات المنافي والإقصاء والإنكار مبنيا في ثناياها .وفي ميادين الصراع وليس في أي مكان آخر، كان الخصمان يتبادلان العثور على بعضيهما البعض.

وبفعل هذا المتغير، صار"إقصاء الآخر "عند الطرفين كل في نحوه، يتحول رغما عنهما وبالقوة وإن على نحو مشوه ومشوش :من شرط بنيوي عقيدي لتحقيق الذات، إلى عامل بنيوي أساسي في إعادة صياغة الذات والموقف من الآخر واحتمالات التاريخ والأقدار. [٣]

وبغض النظر عن المدى الذي سيقطعه هذا التحول تجاه الثقافات والعقائد لحثها على التكيف معه أو إستنفارها لتعميق الرفض، إلا أنه يمفصل الطرفين المتصارعين حاليا في صميم بعضها البعض، رغما عن صرامة التصورات والثقافات والعقائد والمعطيات التي تحكمهما .وهذا البعد المثير -في مستوى ما-يجري استخلاصه من تجربة صراع دامية، كان كل طرف فيها ينظر إلى الآخر، إما :كمطلق شر لا تاريخي كما هو موقف إسرائيل من الفلسطينيين .أو كمطلق شر عدواني كما هو موقف الفلسطينيين ومحيطهم من إسرائيل .وإذا ما وقع التعامل معه بشكل متخيل وخلاق عند الغالب أولا وبالذات-إسرائيل-وهذا ما تغيب مؤشراته في الواقع على نحو فادح، ثم المغلوب إلى أجل مسمى-الفلسطينيون-وإن على نحو مختلف جوهريا عن الغالب، فان هذا المتغير يتوفر على فرصة لعقلنة أيديولوجيات جموحه.وبهذا المعنى فان الضحايا بالذات

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

هم الذين يوفرون للإسرائيليين، أحدث إمكانية لقيامهم بإعادة إنتاج أنفسهم على أساس الاندماج في العالم والعيش فيه والتعايش معه، ولكن بمتطلبات لم يألفها وعيهم وثقافتهم أو تّصوراتهم الصارمة لأنفسهم؟؟،

غير أن هذه الفرضية، هي فرضية طوباوية وصعبة التحقق، كما تنطوي على إشكالية خطره، لأن العقلنة وتوجه الوعي الإسرائيلي نحو الاندماج في العالم، سيعني تحطيم الرؤية والمنطق الديني والتاريخي الذي بناه الإسرائيليون لذاتهم وألزموا أنفسهم والعالم به أيضا .وبالتالي فإنها تؤدي إلى تخلخل الثقافة والعقيدة والتصور من الداخل .لذلك، فإن هذا الأمر يتشكل كواحد من التحديات الكبرى التي تواجهها الثقافة الإسرائيلية الآن بدون أي مستوى من استجابة الوعي له، وظلت على حالها كتجربة خصبة في تحويل الانكسار أو الانزواء أو التراجع لدهاء مركب، كان يفضي بها للمحافظة على البقاء داخل الحصار الذهني والفعلي في " الغيتو" من جهة، وتحقيق حضور حيوي في مرحلة تالية كما في حالة بناء دولة إسرائيل كغيتو مكثف من جهة أخرى، وهي في نفس الوقت ثقافة من الصعب عليها، وليس من طبيعتها أن تكون انتحارية.

لكن عدم وجود استعداد إسرائيلي للتراجع عن رواسب وأوهام الثقافة ومعتقدات القوة، نحو فكرة إعادة إنتاج الذات على قاعدة التعايش والاندماج في العالم وفقا لشروط لم تألفها، يضعها في دائرة خيارات صعبة وخطرة وجوديا تكاد تكون انتحارية بصورة أو بأخرى، بسبب من تواصل تحكم الإيديولوجيا والثقافة في الخيارات السياسية، وهنا تبدو إسرائيل وكأنها تواجه افقاً من الاحتمالات التي تتوالد وتتشابك وتتصاعد وتتشكل على هيئة مأزق طاحن ليس له حلٌ سياسيٌ إلا بتغير جوهري يتعين أن يحصل في حقل الثقافة.

مفارقات الواقع القائم واحتمالات تطوره، لا تشير إلى أن الثقافة الإسرائيلية تتجه نحو تجنب الخلخلة والتفكك والمخاطر الوجودية التي تواجهها في المستوى السياسي، عبر انتهاج مقاربات وتوجهات وممارسات مختلفة ومتباينة مع ما اختارته أيديولوجيا وثقافيا حتى الآن، وان تكف عن الرهانات غير الممكنة بحكم خبرتها بالواقع وبأفاق تطوره، بشكل يجعل من مثل هكذا فرضية إمكانية عقلانية ضمن حدود معينة، وهنا يمكن أن

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

يلحظ المعنيون ويراقبوا، كيف تقوم الاعتبارات الإيديولوجية والثقافية ورواسبها الصلبة بتخريب الممكنات السياسية لإسرائيل كدولة وكتجربة لا تشبه كل التجارب.

وبالرغم من أن الوعي الجمعي الإسرائيلي يستشعر في أعماقه حجم المخاطر التي يقف في مواجهتها، إلا أنه يتفادى بنجاح مُهلكْ-حتى الآن-ما تمليه من متطلبات عقلانية، وفي صلب هذا الوضع، يُعيد منطق المفارقة المصيرية إنتاج نفسه بصورة مُقلقة في حياة إسرائيل .حيث صار هذا المنطق بعد عقود من نجاحات سياسية مرموقة وجها لوجه مع أزماته البنيوية ومع ما أحدثه الاحتلال من ردود وآثار ومضاعفات ومفاعيل عند من غلبهم، وبالتحديد بأثر عودة الفلسطيني لحقل التاريخ "التي حولت الأسئلة إلى مصير، بعد أن كان غيابه بمثابة شرط حياة للآخر الخصم" . [٤]

تأزم النسق الإيديولوجي والسياسي عند طرفي الصراع، كل في سياقه ونحوه، خصوصا في ظل غياب القدرة التاريخية على الحسم عندهما حتى الأن، زود الفاعلين السياسيين في مرحلة معينة بجرأة مساس المقدس الثقافي، وهي عملية جرت بكيفيات مختلفة ومتفاوتة .حيث اتخذت عند الجانب الإسرائيلي منحى إعادة إنتاج محسوبة ومتخيلة في عقد التسعينات، عندما تعامل هذا الوعي ببعض الخيال السياسي مع اكراهات الوجود والحضور الفلسطيني، بما ينطوي عليه هذا الوجود من قوة ذاتية وموضوعية قائمة أو محتملة، غير أن شوائب الوعي الإسرائيلي المستمدة من الثقافة وهواجسها وليس من السياسة ومتطلباتها - التي يفترض أن تكون عقلانية-قد أطاحت بهذه المقاربة في وقت مبكر جدا.

ويمثل حدث اغتيال "إسحاق رابين "رئيس وزراء إسرائيل[٥] عام ١٩٩٦م في ساحة ملوك إسرائيل بالذات، على يدي يهودي يعتقد بأنه قد نفذ ذلك باسم الرب، الذروة الرمزية للانتكاس المبكر للمقاربة السياسية لحل الصراع بتدخل رواسب الثقافة، التي يتموضع فيها حاليا بصورة متوترة وحادة تيار الأغلبية الحاكمة في إسرائيل.

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

أما عند الجانب الفلسطيني، فقد اتخذت هذه العملية، شكل انهدام مشوش للوعي والممارسات معا كان مكلفا رمزيا وثقافيا وسياسيا أيضا.

(٣)

في سياق تحقيق الوجود والأهداف الكبرى للجماعات التي ترسمها العقائد والثقافات والمصالح والإرادات، تلعب مهارات وفنون إدارة الصراع وتوظيف عناصر القوة والضغط والدهاء واستثمارها من طرف النخب الإستراتيجية في أي جماعة، دورا أساسيا في توجيه الصراعات بين الجماعات وصياغة المنجزات والبلورات الممكنة للواقع بما يتلاءم مع أهدافها وخططها وتصوراتها، وقد تفوقت إسرائيل بضمن ما تفوقت في هذا الجانب حتى أمد قريب مضى، قبل أن تشهد تدهورا ملحوظا في هذا المستوى، كما يتبدى ذلك من خلال مراقبة أشكال تعاطيها في السنوات الأخيرة مع ملفات ذات صبغة مصيرية.

غير أن عامل مهارة وفنون إدارة الصراع على أهميته، والذي يرتبط بإدارة المشكلات من وجهة نظر معينة تخص طرفا واحدا، ليس مشغولا بإيجاد حلول تكون مقبولة للآخرين، يواجه في مكان ما من تصاعد الصراع، بعيدا عن العقلانية والمنطق والحقوق الأصيلة، حالة تشبه تصلب الشرايين في الجسد، جراء خيارات خاطئة وبنتيجة لمفاعيل الظلم والقهر واستباحة الآخرين، وعدم إدراك الغالبين، أو بالأحرى عدم اعتراف وعيهم، بالتحولات المرئية التي تجرى علننا وعلى رؤوس الأشهاد عند المغلوبين.

عند هذه النقطة بالذات تتحول المهارة العالية في إدارة الصراع وخلفياتها السابقة كما ألفها الغالبون، لعنصر سلبي (عموما) لأنها تظل تشتغل بنفس الكيفية في حين أن الزمن ومعطياته تكون قد تغيرت وذهبت في اتجاهات أخرى لا يريد وعي الغالبين أن يعترف بها ، كما أن هذه الكفاءة لا تستطيع أن تشكل تعويضا عن غياب عناصر جوهرية مثل :الحق والإيمان والإرادة الخارقة، وأيضا توافق الخيارات مع منطق التاريخ ومقتضياته، وفي هذا المستوى يمكن العثور على أحد مظاهر ما يمكن وصفه بغباء القوة وعمى الخيال الذي قد يصيب الغالبين، والذي يشتغل كعنصر هدم داخلي لمشروعهم وفكرتهم، وهو أمر يزودنا التاريخ بأمثلة

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

خصبة تدلل عليه، جرت في حياة أمم وجماعات ودول في الماضي والحاضر، وتمثل إسرائيل أحد أهم نماذجه المعاصرة.

وبتقليب هذا المعطى على وجوه عدة، فإن بمقدوره أن يضيء على مسألة بالغة الأهمية؛ تتعلق بكيفيات تصرف أبنية الوعي عند الجانبين مع عناصر القوة، ومدى الاختلاف القائم بينهما في هذا الخصوص، باعتبار ذلك مسألة ذات أصداء ثقافية تاريخية قوية، يكشف عنها المستوى السياسي بحساسية كبيرة من خلال التحولات الحاصلة عند الطرفين في هذا الصعيد.

فحص الصراع القائم في فلسطين وعليها وامتداداته من هذه الزاوية واستخراج نماذج تحليلية منه، يشير إلى أن النموذج الأكثر مقدرة وتخيلا للإنجاز قد كان إسرائيليا في العقود الأولى لقيامها، قبل أن يشهد ترديا ملحوظا في العقود الأخيرة .بينما كان النموذج الأقل عضوية والأكثر ارتباكا وقابلية للانكسار عربيا، قبل أن نرى نماذج مختلفة في السنوات الأخيرة، نشأت في صلب حالة الصراع القائم وبتأثير مفاعيلها وتداعياتها على غرار الحالة الذي يمثلها حزب الله، والحركات الفلسطينية الجديدة، وحركات أخرى تقوم في محيط فلسطين الحميم، وهي حالات ذات مغزى ملفت بلورت نماذج من نوع مختلف، تُعبرُ وتُشيرُ قي آن، لحصول تحولات بنيوية شديدة الأهمية عند المغلوبين وطريقة وعيهم وتعاطيهم مع الواقع، في نفس الوقت الذي باتت فيه معطياتها التي تتكاتف مع غيرها ، تلقي بتأثيراتها الملحوظة على الواقع القائم وفي احتمالاته المستقبلية؟؟؟.

وفي سياق تتبع تأثير الثقافات على ممكنات السياسة، فإن المقاربة السياسية لحل الصراع كما تمثلت في اتفاق أوسلو[٦] باعتبارها أوسع محاولة جرت لحله، والتي انشغلت ببناء تسوية بعيدا عن إقرار وقبول العقائد والثقافات بها، وظلت تسوية تفتقد في الأساس إلى أصالة الاختيار من جهة، وتعاني من عواقب التعاطي الماكر وضعف الخيال الذي تمارسه الأطراف السياسية المعنية بها كل على نحوه من جهة أخرى، سنلاحظ

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

بأن أهم أثارها قد تمثلت في دفع الثقافات المتصارعة لاستنفار راديكالياتها داخليا وضد الآخر معا، أكثر من أي شيء أخر.

فشل المقاربة السياسية للصراع نقل الاشتباك القائم بين طرفي الصراع لأعماق كل ثقافة منهما وليس ضد الثقافة الأخرى فقط، كما هو حاصل بالفعل عند الإسرائيليين والفلسطينيين كل في سياقه، وهذه لحظة منطقية، طالما أن الأمر لا يتعلق بإعادة إنتاج الغالب لثقافته وتصوراتها، على ضوء معطيات الواقع وضغوطاته، والإقرار الحقيقي بالآخر وبحقوقه والسعي لبناء تسوية مقبولة معه، توائم بين الحقوق والوجود والشرعيات، على فرض وجود صيغة إجرائية لمثل هذا الأمر.!!!!

(٤)

في هذا المنحى، تطورت النظرة الإسرائيلية للفلسطينيين، سياسيا وفكريا من زاوية طرحهم، ليس كآخر قومي وديني وثقافي، تعرض لظلم تاريخي فادح حولهم لضحية مُستدامةٍ، أو آخر تبين أن له وجود وحقوق ومترتبات جرى إنكارها، بل كمشكلة داخلية من منظور "الأنا الإسرائيلي "وإشكاليات وجودها القلقة، وافتقادها للإحساس بالرسوخ في أعماقها، وهو أمر لم يكن بمقدور كل آليات القوة الموجودة بحوزة إسرائيل أن تقصيه أو تبدده؟؟.

هذه النظرة تستبدل منطق الإنكار "الذي يقوم في صلب نظرة إسرائيل إلى نفسها "كما يقول دافيد شبلر[٧] بمنطق العزل والتفكيك، عندما تقر بوجود الفلسطيني كأخر من جهة، فيما تجرده من الحقوق المترتبة عن هذا الوجود، ومن "الأحلام والرموز التي عاد متخما بها"بعدما تصعدت بقوة النفي والاضطهاد من جهة أخرى .**و"الفلسطيني وفقا لهذا المنطق كائن لا يعادل نفسه أبدا".**

وبينما دافع الفاعل السياسي الإسرائيلي بدهاء وخيال واسع سياسيا في المرحلة التي مهدت لاتفاق أوسلو ١٩٩٣وبعد إبرامه بقليل .عما هو أكثر جوهرية لإسرائيل ككيان، من خلال ما بدا تقهقراً في نظرته

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

للفلسطيني نحو الاعتراف به كآخر، يمثل مشكلة داخلية تحمل تهديداتها الذاتية والموضوعية المرتبطة بمكانة فلسطين في محيطها العربي الإسلامي والإقليمي -وهي مكانة قابلة تحت شروط إرادية معينة ليست مستحيلة بكل حال، للتحول إلى قوة ملموسة في حقل التاريخ -إلا أن هذا الدهاء قد انتهى على نحو عقيم من الناحية الإستراتيجية، نظرا لاستحضار العقلية المهيمنة في إسرائيل ما يمكن وصفه برواسب الثقافة مثل :منطق القهر والإقصاء والاستبعاد والغطرسة والاستباحة والتفوق والأحقية المبنية على منطق القوة والتحايل وإيديولوجية الخوف من استحقاقات السلام، وهو ما أدى للإطاحة بفرص المقاربة السياسية العقلانية المفترضة لمشكلات الواقع وحلوها المقبولة على نحو أو آخر.

أما الفاعل السياسي الفلسطيني فقد عانى من اشتغال خطر للشوائب البنيوية في لحظة حرجة من تاريخه، تفاقم فيها الانفصال والانفصام بين السياسي والثقافي .كما افتقد للروح السياسية المتخيلة والبناءة، وتم استنزاف الوعي والقدرة في ممارسة تجريبية مُحبِطةٍ، وأعطى -هذا الفاعل -أحدث نماذجه السياسية وأخطرها، على أطروحة الإخفاق السياسي المقيمة في صلب عبقرية البقاء والحضور والفعل الفلسطيني الجماعي المقاوم.!!!!

وما دامت التسوية السياسية بعيدة عن قبول الثقافات والعقائد بها، وتعمل كعنصر استفزاز لها بأكثر مما تقوم بترويضها، كما أنها ليست في وارد صياغة وعي جديد حقيقي، يقبل بالآخر/الخصم وحقوقه ومشروعيته أيضا، فان مقاربتها القائمة تعيد إنتاج الصراع ودواعي تفاقمه على نحو أكثر شدة وعنفا، كما أنها مقاربة تعيش أهم اختباراتها أمام قوة ثقافات وعقائد ترى مطلق التسوية أمرا مؤقتا فيما لو حصل وطال، وليست اختيارا أزلياً، وتغض الطرف عنها بدهاء ويقظة تحت ضغط العوامل السياسية واحتياجات الإستراتيجية البعيدة .إنها ثقافات وعقائد ذات تاريخ خصب من التدخل على نحو جبار، لإعادة تشكيل السياسي والتاريخي والجغرافي والرمزي معا، بعد جهد دءوب وصبور وطويل المدى كانت تبذله وتبديه .وتاريخها وتاريخ الشرق الأوسط ككل لهو حصيلة لتدخلات من هذا القبيل .تدخلات لثقافات وعقائد يستحيل إحالتها على

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

التقاعد أو إلى الهوامش، ولم تتعود الامتثال للوقائع العنيدة وإعادة إنتاج نفسها على أساس القبول بآخرها القومي أو الديني إلا عنوة، وهي عنوة كانت تفضي في محصلتها عموما إلى رفض أشد . !!!

ورغم أن فكرة التسوية والحل الوسط، قد شكلت مجالا لخطاب جذاب تطاول بطول الصراع، فان تصور صيغة إجرائية مقبولة لها ثقافيا وعقائديا وتاريخيا وحتى جغرافيا وسياسيا وإجرائيا هي محل شك عميق على الأقل، لأن سؤال التعايش التعاقدي الأبدي سؤال صعب لكلا الواعيين :الإسرائيلي والفلسطيني –العربي معا، ليس لأن الذاكرة القريبة مبنية على العداء والكراهية والدماء وأثقالها فقط؛ بل لأن توافق مطلق العقيدة والثقافة والبقاء مع الحقوق من منظوريهما معا وتجسيد ذلك في فلسطين كأرض وكمعنى وكرمز، هو أمر بالغ الصعوبة، ويستوجب تقهقر الطرفين نحو منطقة اتفاق حقيقية فريدة، تبدو بعيدة المنال وفاقدة لشروط تحققها حتى الآن وفيما بعد كما تقول المواقف المعلنة للثقافة عند الجانبين.

غير أن العقود الأخيرة قد أشارت لوجود تقهقر ما، وزعزعة كبيرة يتعرض لها حلما الغالب والمغلوب في المستوى السياسي تحديدا .وهو ما حث الثقافات على إعادة بناء أحلامها وتدخلاتها من جديد وسط إحساسها بالتخوف من مقاربات السياسة، وهنا كانت مفارقة التسوية السياسية للصراع بصيغتها الحالية تتجلى في قدرتها على تشييد بنية تحتية، توفر حوافز تعبوية هائلة لتكوين الراديكاليات الجديدة وهو ما يحصل بالفعل عند كلا الطرفين كل في نحوه .راديكالية تنقل الصراع نحو الذرى من جديد، وتعيد المكانة المرموقة للخطاب الذي يمجد تسوية واحدة، تلك التي يمكن أن تقوم بين الحق والعدل والتاريخ والعقيدة والجغرافيا والبشر والرؤى والتطلعات من وجهة نظر كل طرف، وبهذا فان أفق "الاغتنام السياسي "وهو الوصف الأكثر دلالة لمقاربة التسوية في الشرق الأوسط، ورغم أنها تحولت لواقعة تاريخية لهي مهددة بالخلفيات الثقافية التي تحكم أطرافها، مثلما هي مهددة بمضمونها وبمخرجاتها القائمة والمحتملة، وبالعوامل الحاكمة لها وماهيتها وإمكانيات استقرارها وتواصلها معا، وبغياب القناعة والإيمان بها عند أطرافها المباشرة بالتحديد؟؟؟.

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

وما بين الفلسطينيين كحقيقة راسخة قوية لها شرعيتها التاريخية والروحية، عازها التعبير السياسي المناسب والمتراكم عن نفسها بشكل يضاهي رسوخها ويجسده في الزمان والمكان .و"إسرائيل "كحقيقة قائمة قوية ولكن يعوزها رسوخ لم تستطع أن تجلبه القوة والتفوق والادعاء والإقصاء والاستباحة وتاريخ من إيقاع الانكسار بالآخرين، جرت في العقود الأخيرة مساومة مثيرة، تقوم على مبادلة ترسيخ إسرائيل مقابل صيغة سياسية ملتبسة للحقيقة الفلسطينية .وهي مساومة خضعت في أدق تفاصيلها للحد الأقصى الذي يمكن أن تذهب إليه إسرائيل في رؤيتها للفلسطيني كمشكلة للأنا الإسرائيلي .أما طريقة التعاطي السياسي الفلسطيني مع عناصر قوة ذاتية موضوعية، فهي لم تشتغل على نحو مرهف وبناء سياسيا، ولا تعمل بطاقتها الحيوية الممكنة، مما ترتب عنه تفقير هذه المساومة أكثر فأكثر، وتحولت لمصدر يعيد انتاج المشكلات الأساسية للصراع بدل حلها

وفي ضوء عدم قدرة كلا الحقيقتين عن إنجاز التسوية الحاسمة بين الحق والرؤى[٨] وهو أمر له آفاق مختلفة ومتباينة عندهما-جرى توسط مساومة قلقة بين الواقع القائم ومفهوم ملتبس وغير متفق عليه للحق عند طرفي الصراع والمعنيين به. وهي مساومة يصوغها فهم فج لموازين القوى، عكسته المقاربة السياسية التي قامت على "انعدام التناظر في علاقات القوى بين الطرفين .[٩]"كما أنها مقاربة تنوء تحت ضغط بحث كل طرف عن أقداره السياسية وسط مسرح صعب ومعقد على نحو يتفاقم .وتتحكم فيه احتياجات واكراهات وغرائز بدائية ودهاء قوة بلا أفق أو بصيرة (كما هو حال إسرائيل) وإخفاق البقاء الراسخ في التعبير عن نفسه سياسيا (كما هو حال الفلسطينيين حتى الآن)، وجميعها عناصر متغيرة وليس بالمقدور ضمان تواصلها كما هي إلى الأبد .لذلك فإن التصنيف المناسب لعملية التسوية العاثرة القائمة منذ ثلاثة عقود هو أنها لحظة فشل سياسي في مسار صراع يتواصل له عواقبه الثقافية العميقة عند كلا الجانبين وحلفائهم وامتداداتهم.

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

(٥)

طالما أن القدرات الاستراتيجية التي لدى أطراف الصراع (وتحديدا الطرف الفلسطيني وامتداداته) والمنخرطين فيه والمعنيين به، لم تجلس بعد إلى مائدة الحلول بكامل عدتها وتطلعاتها وتعبيراتها وقواها وفعلها، فان الشرق الأوسط "سيظل تلك البلاد التي تشهد بشيء من التكرار حروبا من أجل البقاء الوطني (...)وان استمرار المقاومة المحلية فيه، سواء كانت دينية أو غيرها لتسوية ١٩٢٢، وللأفكار الأساسية التي قامت على أساسها، تفسر لنا الخاصية التي تميز المنطقة، وهي أنه لا وجود في الشرق الأوسط للإحساس بالشرعية، ولا وجود لاتفاق على قواعد اللعبة، وليس فيه إيمان مشترك يشارك فيه الجميع.[10]"

وداخل صراع تشكل فلسطين بمعناها الفريد وبدلالاتها المختلفة جوهره وحقله ومجاله، فان التسوية تبدو وهما باستعارة المعنى الفيبري للتسوية "ليس لأنه لا يمكن تبرير الخط الوسط أكثر من تبرير موقف متطرف، وإنما لأن هذا الحل والخط هو عموما وكر التباسات" [١١] إن هذا هو واقع حال ما يشهده الشرق الأوسط، وطالما كانت الحلول المعتمدة فيه تجري بضغط عمل القوة وبعيدا عن مفهوم للعدل يتوافق عليه جميع المعنيين، فسوف يظل مكانا لولادة الحروب وليس أرضا للتسويات التاريخية.

وفي حين خطى الفلسطينيون بتعثر وارتباك وبدون خيال سياسي مناسب، نحو التجسيد في جغرافيا ممزقة ومخترقة بالأخر الخصم، ووصل وعيهم لمحطات تجنبوها في صعب مسيرهم، فان الإسرائيليين أيضا لم يدركوا بعد "زمنا تنشأ فيه محاولة لفهم الآخر القومي والديني وفي الآن نفسه، نقد جوانب معينة وعميقة وهامة في تاريخ الجماعة التي ينتمي إليها الإنسان؛ أي :عندما يصبح التاريخ مناقشة بلا نهاية كما يقول (بيتر غايل) وليس استمرارا للحروب بأدوات تاريخية، ويتحول إلى إحدى أقوى وسائل النزعة الإنسانية، والتربية الذاتية ..."لذلك، وكما يواصل القول إسرائيل شاحاك "تعيد الأنظمة الاستبدادية كتابة التاريخ، أو تعاقب المؤرخين، ولكن عندما يحاول مجتمع بأكمله العودة إلى الاستبداد، يكتب تاريخ استبدادي، ليس بفعل إكراه من أعلى، ولكن بسبب ضغط من أسفل، وهو أكثر فاعلية .وهذا ما حدث للتاريخ اليهودي في إسرائيل

الحديثة، وهو ما يمثل المشكلة الأولى التي نحتاج للتغلب عليها[١٢]" عند جماعة حولت الأسطورة إلى وطن "وهو ما سيبقى يهدد جوهر إسرائيل إلى الأبد "كما يقول جان جينيه، ويسير بها وبالآخرين قدما نحو الخيارات الصعبة هناك: حيث الانتصارات القلقة والانكسارات الموعودة.

بضوء كل هذه العوامل وما تلقيه من أثقال في الواقع سيظل الصراع في الشرق الأوسط مثالا وحقلا خصبا لمفارقة تراجيديا ما يسميه بيتر زوندي وشينلغ ب"ثمن تمازج الحرية والضرورة"، الذي يقضي بأن "يكون الظافر خاسرا في الآوان ذاته، والخاسر ظافرا في الوقت عينه[١٣]" وهي تراجيديا لا زالت قيد التواصل : حيث نجد فكرة قد تحولت إلى حقيقة كما هو واقع إسرائيل، وحقيقة تحولت إلى فكرة ثم عادت تبحث في نحو شاق عن تجسيد ذاتها كما هو واقع فلسطين والفلسطينيين، وفي عود الأشياء الأزلي إلى أصولها، ثمة لحظات قاسية أو فريدة أو غامضة أو مشوهة، وفي لحظة من هذه اللحظات أو أكثر يمر الصراع في الشرق الأوسط حيث تتصادم فكرتان لا تلتقيان، ولا يوجد مجال حقيقي لعيشهما معا .وليس هناك إرادة فعلية لتجربة ذلك، ما لم يحصل تحول جذري وحاسم في هذا الاتجاه داخل الثقافات المتصارعة، وهو أمر مستبعد وصعب التحقق عل كل حال ؟؟.!!

في هذا المسار فان الزعزعة والتفكك تهدد الرؤى والشرعيات والأحلام والقوى القائمة والاستراتيجيات وحتى الجغرافيات السياسية التي تشكل الشرق الأوسط الراهن، الأمر الذي يشكل بيئة مناسبة لأطراف الصراع الحقيقيين للتوجه نحو إعادة إنتاج معقدة لرؤاهم ومعطياتهم، وهي عملية تتسم بنزوع شديد للثقافات بصورة أكثر التحاما مما عرفه الصراع حتى الآن، للتموضع داخل معتقداتها العميقة .وتجديد الرؤى الراديكالية المبنية على الرموز كما يتبناها ويؤمن بها كل طرف، وتحقيق تماثل عميق بين فهم كل طرف منهما للحقوق على أساس مقتضيات الثقافة أكثر من مقتضيات السياسة، وحشد ما يتطلبه ذلك من قوة وعدّة متنوعة.

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

وعند هذه النقطة فإن أطروحة الصهيونية لحل المسألة اليهودية عبر إقامة دولة إسرائيل وإنهاء المنفى في حياة اليهود، تواجه معضلة وتقف أمام مفارقة مصيرية كبرى .بينما تعيش الجماعة الفلسطينية التي انتفت[١٤] بنتيجة ذلك وتبلورت وتبلور وعيها في المنفى، ثم عادت منه إلى حقل التاريخ، إحدى أخطر أزماتها البنيوية منذ تاريخ نفيها حتى الآن، وفي ظل المشهد السياسي الراهن في الشرق الأوسط، فإن الشيء الأكثر حقيقية الذي يمكن لحظه ومعاينته بوضوح، هو بالضبط تلك المسافات المرئية وغير المرئية التي تقطعها الثقافات المتصارعة من خلال الحاملين التاريخين للجوانب الأكثر راديكالية فيها، نحو إعادة تشكيل الوعي والحلم والواقع، وهذا ما الأمر يقصي على نحو ملحوظ فرضية تحقيق اتفاق تاريخي مقبول بالنسبة لهما معا.

حرب غزة الأخيرة كذروة عالية يبلغها الصراع، التي أعادت طرح أسئلة فلسطين وكثافتها على نحو غير مسبوق، هي في أحد أهم ابعادها تعبير عن حيوية اشتعال الثقافات وتدخلها الكثيف عند طرفي الصراع وامتداداتهما، لإعادة تشكيل الواقع بعيدا عن مقاربات السياسات الفاشلة.

وطالما بقي الاحتلال يحكم فلسطين. وظل النفي والإقصاء والعزل واقعا يؤطر حياة الفلسطينيين ويحاصرهم، سيظل للثقافات المتصارعة وحامليها الدور الجوهري في تحديد أفاق الصراع وهوية الحلول السياسية المحتملة، التي ترتضيها الثقافات عند كلا الجانبين كل في نحوه.

ثقافات تلقي بأثقالها في حقل التاريخ: عن الصراع في فلسطين وعليها، مجلة ابن رشد للدراسات، العدد (١)، المجلد (١)، ٢٠٢٤. https://ibn-rushed.com/

إحالات وهوامش

[١] يتحدث جون برغز عن فكرة الالتحام العنيف بين الزمن والتاريخ ويقول ادوارد سعيد "تجربة الاستلاب " فصلية الكرمل، عدد٣، بيروت (١٩٨٣)بأن هذا ما جرى بالفعل في فلسطين .

[٢] لزمن طويل منذ قيام إسرائيل، كان الخطاب الإسرائيلي ينكر الوجود الفيزيقي الفلسطيني وتاريخية هذا الوجود في فلسطين، وكرد فعل ظل الخطاب الفلسطيني لزمن طويل أيضا ينكر وجود إسرائيل وليس حقها في الوجود فقط . ويدلل الأمر على مدى التطرف الذي كان يصله الإنكار في الخطابات عند كلا الطرفين مع فوارق القدرة على ممارسة الإقصاء عندهما.

وينقل أنطون شلحت في مقالته "الأجداد يزدادون ضراوة"، مجلة فلسطين الثورة، عدد ٧٧٨ نيقوسيا-قبرص ٢٤/١٢/١٩٨٩) عن الباحث الإسرائيلي بنيامين بيت هلحمي قوله إن "مشكلة الصهيونية والأزمات التي أفرزتها ولا تزال ترجع إلى جذر أساسي واحد، هو الفجوة الكبيرة بين الحلم الصهيوني وبين واقع البلاد التي جرى اختيارها لإخراج الحلم إلى حيز الوجود."

ويقول إن هذه الفجوة، كانت ماثلة أمام أصحاب ذلك الحلم، كما كان واضحا لهم أن تحقيقه مستحيل البتة، وأن النجاح في تحقيقه تبعا لذلك، يستلزم الحرب من ناحية، وارتكاب آثم بحق الشعب الآخر من ناحية أخرى.

ويعتبر الباحث الإسرائيلي أن خطيئة الصهيونية الأصلية كامنة في كونها تغاضت عن حقيقة وجود مئات الآلاف من العرب الفلسطينيين في البلاد التي اختارتها أرضا لمشروعه، وعلى هذه الخطيئة جرت بمنهجية عملية تأسيس تراث كامل شديد الوطأة من تجريم الضحية . واتهام الفلسطينيين بالإثم الفظيع الذي ارتكبته الصهيونية بحقهم، شكل ويشكل غطاء لجرائم الجلاد وشططه، ويشير إلى أن السقف الزمني لمشكلة الصهيونية هو قبل مئة عام، أي منذ نشوء الصهيونية.

[٣] انعكست عودة الفلسطيني من المنفى والغياب داخل الخطابات الإسرائيلية وخصوصا الخطاب الأدبي والخطاب السياسي.ولئن اتخذ حضور الفلسطيني وضعا "مؤنسنا نوعا ما "في السنوات الأخيرة إلا أن هذه

الأنسنة قد كانت قلقة ومرتبكة ومشوهة حتى وهي تقر بالفلسطيني كآخر. **إلا أن هذا الآخر لا يعادل نفسه أبدا.** وسوف تبقى عملية الإقرار بالآخر والاعتراف به عند الإسرائيليين ثم عند الفلسطينيين، من أكثر العمليات صعوبة وتشوها وعرضه لانقضاض التصورات النمطية المقولبة، مدعومة بالتصورات المبنية من حقل الواقع بين خصمين .وتتخذ هذه المسألة بعدا أكثر تعقيدا في الوعي الإسرائيلي، نظرا لأنه الأكثر تركيبا وحساسية وصرامة في تصوراته للآخر ,عوضا عن أنه هو الذي أجبر الوعي الفلسطيني والعربي وأرغمه على أن يكون "آخره /العدو ."لقد جعل الخطاب والسلوك الإسرائيلي من هذا الوضع مصيرا .وكان على كل الأطراف وهي تدافع عن وجودها وأشكال تحققها أن تخوض صراع الوجود في المخيال والواقع بذات الحدة.

ومن بين الدراسات الهامة في هذا الخصوص يمكن الإحالة لدراسة مناحيم بيري :عن الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي كاستعارة في النثر القصصي الإسرائيلي الحديث"، مجلة الكرمل، عدد، ٤٢ نيقوسيا-قبرص ١٩٩١)م) حيث يتعقب صور حضور الفلسطيني وتعقيداتها في خطاب يلعب دورا هاما في تشكيل الوعي الإسرائيلي وإثارة الأسئلة فيه.

٤) محمود درويش "في وصف حالتنا ,"الطبعة الأولى) بيروت،دار الكلمة، (١٩٨٧ص .57-٥٦ .

٥) يقول ليف غرينبرغ" :سلام مُتخيل، ترجمة جواد الجعبري (رام الله، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، ٢٠٠٧) ص. ٥٧٥ "كان اغتيال رابين كافيا لشل الأصوات التي تطالب بالتوصل لمصالحة في المستقبل، كما كانت عملية الاغتيال بمثابة تلميح على خطر نشوب حرب أهلية"

٦) ليف غرينبرغ: م.س، ص. ٥٧٢. ويذكر الكاتب هنا إلى أن "الاتفاق كان يحوي بداخله كل الألغام الممكنة "

٧) يشير دافيد شبلر، نيويورك تايمز١٩٩٣/٢/٢٠ إلى موقف إسرائيلي ظل ثابتا في عمليات البحث عن الذات، وهذا الموقف هو الإجماع الإسرائيلي على طابع الوطنية الفلسطينية غير المشروع .ويقول بأن هذا ما يقوم في قلب نظرة إسرائيل إلى نفسها في المنطقة، ويعكس المحتوى الانفعالي للايدولوجيا الصهيونية .

ويوضح ويثير اطراح أغلبية الإسرائيليين من كل لون، لفكرة أن الفلسطينيين هم أيضا شعب، مثقل بتاريخ ويواصل حلما خاص به.

[٨] يقول محمود درويش "الكتابة في درجة الغليان "مجلة شؤون فلسطينية، عدد٣٥، بيروت (١٩٧٤) ص ٣٩.ليس الصراع بين حدود حقين ...لان الحق لا يصارع حقا، وإذا كان أحد الطرفين حقا، فلا بد أن يكون الطرف الثاني باطلا.

[٩] ليف غرينبرغ: م.س، ص .٥٧١.

[١٠] دافيد فرومكين :سلام ما بعده سلام "ولادة الشرق الأوسط ١٩٢٢-١٩١٤) ط١(لندن –قبرص، دار نجيب الريس للكتب والنشر،١٩٩٢) ص. .٦٣٣

[١١] جوليان فروند :سوسيولوجيات ماكس فيبر"ترجمة جورج أبى صالح(بيروت مركز الإنماء العربي، (د.ت)) ص .٥ .

[١٢] إسرائيل شاحاك "الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، فصلية بيادر، عدد٦، دائرة الثقافة –منظمة التحرير الفلسطينية.(١٩٩١) ص. ١٣٣وتعزيزا لهذا السياق يقول الفيلسوف الإسرائيلي المعروف أشعيا ليبوفيتش، مجلة الكرمل، عدد ٢٨(١٩٩٠) "إن هرب اليهود إلى الماضي، إلى ما تكبدوه، مستغل بصورة منمقة، لإبعاد فكرهم عن جميع المشكلات وجميع الالتزامات .إن الرهيب في المحرقة أنها لا تشكل عبره ... إنها رعب لا فائدة منه".

وفي حقل دعوة النقد الذاتي على أساس دورها في تدعيم الذات الإسرائيلية وإعادة إنتاج وجودها في النحو الأكثر ضمانا وتواصلا وأمنا .يرى يهوشعفاط هركابي :قرارات مصيرية، الطبعة الأولى (دبي، مؤسسة البيان للصحافة والنشر، ١٩٨٦) بأن إسرائيل ناقدة لنفسها، أكثر أمنا في المستقبل ويطرح النقد الذاتي " كضرورة لمواجهة الضائقة التي تواجهها إسرائل".

غير أنه يقول بأن خطورة النقد واستحقاقاته على صعيد تغير المواقف، تكمن في أنه يتطلب إهمال عادات تفكير، صارت جزءا من كيان الإسرائيلي وشخصيته.

ويبدي هركابي "تخوفه الكبير، مما يسميه نقطة الضعف الوجودي الإسرائيلية، التي لا تتيح مجالا كبيرا للانسحاب من الطريق الخاطئة .ويقول إن مستقبل إسرائيل مرتبط بالعقيدة قليلا وبالعقلية التي تسودها كثيرا ."غير أن السؤال يظل دائما إلى أي مدى يمكن للعقلية الإسرائيلية أن تتحرر من قيود العقيدة ؟؟

[١٣] نقلا عن كاظم جهاد "محمود درويش واحد عشر كوكبا، فصلية الكرمل، عدد ٤٧ (١٩٩٤) ص .١٨٧.

[١٤] تذهب بعض القراءات لاستحضار أطروحة اكتساب الفلسطينيين لخصائص يهودية في تجربة المنفى، في حين أن الأمر في الواقع يتعلق بقدرة ثقافات على المقاومة والمبادرة والفعل تحت ضغط التهديد الذي يمس الوجود وإمكانيات التحقيق .وإذا كان من المؤكد أن تجربة الصراع ومفارقاتها قد انطوت على تأثيرات متبادلة، خصوصا لدى الطرف الأضعف، فان دور الآخر كخصم، هنا قد كان مهما وأساسيا في إعادة صياغة الذات والوعي والتمثلات، وهو أمر منطقي في صراع الجماعات، ولا يمكن تجريد الصراع هنا من وجود تأثيرات خلاقة له بالقوة، حيث يؤدي حضور الآخر كتهديد للأنا إلى استنفار القوى الفعالة فيها وحفزها على الاشتغال.

من جهة أخرى لا يتعين على هذه الأطروحة أن تغفل، الاختلاف الكبير في عناصر التكوين والصيرورات والعقائد والرؤى للذات والعالم، ومسارات التاريخ والتجارب والأدوار والطموحات ومشاريع التحقق بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وهي عناصر تشتبك في مجابهة تاريخية ممتدة حاليا.

وقد تناول هذه المسالة بحساسية حشد من المهتمين مثل :إدوارد سعيد وإبراهيم أبو لغد والياس صنبر وجان جينيه ومحمود درويش، حيث يقول في هذا الصدد "ليس صحيحا بأن المشروع الصهيوني قد خلق نقيضه الفلسطيني لأن هذا النقيض موجود قبل المشروع وهو الذي يعرقل صيرورته إلى ثبات ."

الأستاذ الدكتور: لخضر بولطيف
جامعة المسيلة – الجزائر
boultif.hhh@gmail.com

Received: 28/12/2023
Revised: 4/1/2024
Accepted: 16/1/2024
Published:25/1/2024

تجليات الخطاب الديني في تاريخ الغرب الإسلامي..
تنازع الصدارة وتوليفة المرجعية

الملخص:

بمعزل عن المقايسات والإسقاطات والاستعارات التي تروم مقاربة الخطاب الديني في الإسلام على خلفية ما قورب به الخطاب الديني في المسيحية، من القول بالمأسَسة والكهنوتية والطقوسية، وتحميله بالتالي أوزار الشرّاح والسدَنَة، وهو ما يُطالَع به قراء المتن الفكري العربي الحديث في عدد من كتابات الإيديولوجيين العرب مشرقا ومغربا، يتطلع هذا البحث إلى الحفر في بنية الخطاب الديني في الإسلام، والتمييز بين مختلف تجلياته: من فقهية، وصوفية، وكلامية، وفلسفية، مما كان الغرب الإسلامي مسرحا لتدافعها واشتباكها، تشوّفا إلى تحديد قسمات الخطاب الديني المرجعي المهيمن والموجّه والمؤطّر للمخيال الاجتماعي تصورا وسلوكا. وكل ذلك ضمن مشغل تاريخي يراهن على مقاربة القضايا الإشكالية المتعلقة بسؤال الدين والهوية والمرجعية في سياقات منهجية متفاعلة فيما بينها، وأنساق معرفية متنامية ما بين لحظة المنشأ ولحظة المآل، حيث يصير الزمن الماضي رافدا للزمن الحاضر، والزمن الحاضر مومئا إلى الزمن المستقبل؛ في وحدة زمانية لا انفصام لها، تفتح أمام العقل الحصيف مساحات فسيحة للفهم المتجدد، من زوايا متعددة، وعبر مستويات متفاوتة.

Abstract:

Disregarding the comparisons, the applications and the borrowings at which the religious discourse approach in Islam aims on the ground of what the religious discourse in Christianity was approached, such as the institutionalization, the clergy and the ritualization, charging it with the burdens of the interpreters and the guardians, thing to witch the readers of the modern Arabic intellectual corpus are confronted in number of writings of the Arab ideologists in the East and the West, this article targets the digging in the religious discourse structure in Islam, and the distinction between its various manifestations: in jurisprudence, Sufism, theology and philosophy having represented the Islamic West theatre of its confrontation and intertwining. Our purpose is to determine the characteristics of the dominating referential religious discourse orientating and framing the social imagination in conception or behaviour. The adopted method is historical treating the problematic issues related to the question of religion, identity and reference in interactive methodological contexts, and knowledge forms developing between the birth and the finality where the past serves the present that indicates the future in a time unit without interruption opening to the judicious Reason wide areas of renewable understanding from different angles and through uneven levels.

المقدمة

يصرّ فريق من الباحثين العرب ممن تجمعهم هموم نضالية مشتركة، في تناولهم لتاريخ التجربة الدينية الإسلامية، على استحضار رصيد تاريخ التجربة الدينية في الغرب المسيحي، بدعوى تشابه الإرث الإنساني، كتكِئة للقيام بهوايتهم المفضّلة في المقايسة والإسقاط.

ففي تقديرهم أن الإسلام "لم يشذّ عن سائر الأديان والمعتقدات من حيث خضوع الرسالة التي انبنى عليها لمقتضيات التنظيم والمأْسَسة"(١)، ولما كان من قدَر الدين الإسلامي، وعلى غرار سائر الأديان، أن يتخذ شكل مؤسسة، فقد استدعى ذلك ظهور طبقة من رجال الدين، اضطلعت بـ"وظيفة كنسية"(٢)، من حيث احتكارها لتفسير الدين، وشَغلها دور الوسيط بين الله -المشرّع على الحقيقة- والجمهور المكلّف بتطبيق أحكام الله.

لكن، وبصرف النظر عن كون "الإسلام -جوهريا- غير قابل للمأسسة"(٣)، بحكم أن العلاقة فيه بين الخالق والمخلوق علاقة مباشرة، لا تحتاج إلى واسطة من شخص أو مؤسسة، فإننا لو فرضنا جدلا قيام مؤسسة دينية في الإسلام -وقيام مؤسسة لا يستتبع بالضرورة وجود تنظيم ظاهر ورسمي للمهام والمراتبيات-، فإن مثل هذه المؤسسة الدينية في الإسلام، لا يمكن أن تضارع بحال المؤسسة الدينية في المسيحية، إذ لم تقف -يوما- عائقا أمام "وجود نخب وسلطات دينية موازية ومستقلة"(٤).

ولعل في مقدمة الأسباب التي حالت دون تبلور مؤسسة دينية في الإسلام، هو ما كان يساور العلماء من توجّس من هيمنة الأمراء على مقاليد المجامع الرسمية، وتوجيهها بما يخدم سياساتهم، لا بما يخدم مصالح الأمة، فضلا عن وعيهم بخطورة حصر الاجتهاد ضمن هيئة خاصة، تحتكر فهم النص الديني، في حين أن الاجتهاد مبذول لكل متحقق بشروطه(٥).

وهو ملْحظ لم ينِدّ عن انتباه أحد المفكرين المعاصرين لما قرّر بداهة أنه "لم يكن هناك في التاريخ الإسلامي، في أي فترة من فتراته، مؤسسة خاصة بالدين متميزة من الدولة، فلم يكن الفقهاء يشكلون

مؤسسة، بل كانوا أفرادا يجتهدون في الدين، ويفتون فيما يعرض عليهم من النوازل أو تفرزه تطورات المجتمع من مشاكل"[٦].

والنتيجة نفسها خَلَص إليها مؤرّخ ضليع لما نوّه -بصدد دراسته لتاريخ إفريقية- أنْ ليس هناك ما ينمّ عن وجود مجموعة من العلماء متجانسة ماديا أو معنويا، مما قد يسمح بالحديث عنها كفئة لها قوانينها الخاصة بها، مثلما هو الشأن بالنسبة للتجار أو الجند. ولئن وُجدت بالفعل خارج أي صيغة قانونية تؤطرها، فلا ينبغي النظر إليها كفئة واعية بوجودها أو متسمة بصفات ظاهرة محددة، تمكّن من التعرف عليها ضمن مجال جغرافي معين، وإنما هي موجودة في أذهان الناس، لما اختصّت به دون غيرها من القيام على معرفة علوم الدين، مما كانت إليه الحاجة ماسّة في أوساط الناس[٧].

لا يمكن إغفال الاعتبار السابق، فيما إذا كنا نروم -حقا- التماس التجليات الواقعية للخطاب الديني، بعيدا عن فرض رغبات الذات على الموضوع.

يُروى عن أبي بكر الورّاق الملقّب بالحكيم (ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م) قوله: "من اكتفى بالكلام من العلم، دون الزهد والفقه، تزنْدق، ومن اكتفى بالزهد، دون الفقه والكلام، تبدّع، ومن اكتفى بالفقه، دون الزهد والكلام، تفسّق، ومن تفنّن في هذه الأمور كلها تخلّص"[٨].

يؤشّر هذا القول الحصيف بكل بداهة على أضرب التجلي الديني الثلاثة في الإسلام، والتي أفرزت خطاباته المركزية، متوسّلة العلومَ التي تأسّست على ضفاف النص الديني، وهو ما قد يُفهم -أيضا- من قول أبي بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م): "والذي أختارُه من هذا التقسيم في طريق البيان، وعليه كنتُ أعوّل قديما في الإيراد، أن علوم [القرآن] على ثلاثة أقسام: توحيد، وتذكير، وأحكام"[٩].

على ذلك فنحن -مبدئيا- بإزاء ثلاثة خطابات في الدين، اختار غيرنا أن يدعوها تشكّلات إيديولوجية[١٠]، وهي الخطاب الفقهي، والخطاب الكلامي، والخطاب الصوفي، وهو ما يجد مرجعيته التأسيسية في حديث جبريل عليه السلام الشهير عن مقام الإسلام، ومقام الإيمان، ومقام الإحسان[١١].

١- الخطاب الفقهي:

على ما يمكن أن تفيده عبارة أبي منصور البغدادي (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م): "الفقهاء من فريقي الرأي والحديث"[١٢]، من أن الخطاب الفقهي يباشره حملَة الأحكام كما حملَة الآثار، ومن أنه قد يُنظر إليهما على أنهما "يَكْمُلان إذا اجتمعا، وينقصان إذا افترقا"[١٣]، إلى حدّ أنه لم يكن يُرضَى لخُطّة القضاء "صاحبُ حديث لا فقه له، ولا صاحبُ فقه لا حديث عنده"[١٤]، إلا أن الوئام لم يكن -دوما- السمة السائدة بين الفريقين.

ففي الغرب الإسلامي لم يشفع كون "الموطأ" للإمام مالك (ت ١٧٩هـ/٧٩٥م) كتابَ فقه وحديث معا، للحيلولة دون نشوب الخلاف بين فقهاء ومحدّثي المالكية، إذ تحتفظ لنا كتب التراجم والطبقات بفصول من العلاقة المتوتّرة، التي طبعت علاقات الطرفين في فترات مختلفة من تاريخ المذهب المالكي[١٥].

كان الفقهاء -من جهتهم- يرون المحدثين بعيدين عن "مأخذ الأحكام"، بدعوى أن "الوقائع الحاصلة بالفقه أكثر وأعم مما يتحصّل من معرفة السنن"[١٦]، ولم يترددوا في عدّ "كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه ضالا"[١٧]، ذلك أن الرواة قد "يحملون الشيء على ظاهره، وله تأويل من حديث غيره، أو دليل يخفى عليهم، أو متروك وجب تركه عن شيء مما لا يعرفه إلا من تفقّه"[١٨].

وكان المحدّثون -من جهتهم أيضا- يأخذون على الفقهاء قلّة اعتنائهم بالحديث، وأنهم "لا يكادون يميّزون صحيحه من سقيمه،... ولا يعبؤون بما بلغهم منه أن يحتجوا به على خصومهم إذا وافق مذاهبهم،... وقد اصطلحوا على مواضعة بينهم في قبول الخبر الضعيف والحديث المنقطع، إذا كان ذلك قد اشتهر عندهم، وتعاورته الألسن فيما بينهم، من غير ثَبْت فيه أو يقين علم به، فكان ذلك ضِلَّة من الرأي، وغَبَناً فيه"[١٩].

وبقدر ما تأدّى انتقاص الفقهاء من جدارة المحدثين بالفتوى إلى أن "شاع في الأذهان أنهم لا يعرفون غير الحديث، وحصرَهم الرأي العام في حدود الرواية وعلومها، واستبعد كثيرون أن يكون للمحدثين نشاط فقهي"[٢٠]، فإن النقد الذي وجّهه أهل الحديث لمَنازع الفقهاء كان له -أيضا- أثر سلبي؛ حيث اكتسبت صفة

"الرأي" شيئا فشيئا مدلولا قدْحيّا، وانزاح معناها من دلالة "الرأي الاجتهادي" إلى دلالة "الرأي الاعتباطي"(٢١).

إلا أن ما تعرّض له الفريقان -أهل الفقه والنظر وأهل الحديث والأثر- من هجمات مناوئة استهدفتهما معا من قِبَل خصومهما الفكريين، فضلا عما أبان عنه عدد من الشخصيات الفقهية المالكية المرجعية في الغرب الإسلامي من اعتناء مشهود بالتحصيل الحديثي(٢٢)، كان يدفع في اتجاه رأب الصدع بينهما، ويلأَم بين جهودهما في تشكيل بِنْية الخطاب الفقهي في مقابل خطابات دينية مزاحمة.

٢- الخطاب الصوفي:

كان ابن خَلْدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) على وعي بمدى الافتراق الذي ظل قائما إلى عهده بين الخطابين الفقهي والصوفي، لمّا مايز في علم الشريعة بين صنفين: "صنفٌ مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهي الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات؛ وصنفٌ مخصوص بالقَوم [الصوفية] في القيام بهذه المجاهدة، ومحاسبة النفس عليها، والكلام في الأذواق والمواجد العارضة في طريقها، وكيفية الترقي منها من ذوق إلى ذوق، وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم في ذلك"(٢٣).

والواقع أن العلاقة بين الفقهاء والمتصوفة هي علاقة بين نمطين من التفكير والسلوك؛ نمط اختص أصحابه بتسمية "أهل الظاهر"، وجعلوا مجال اهتمامهم "علم الشريعة"، ونمط اختص أصحابه بتسمية "أهل الباطن"، وجعلوا مجال اهتمامهم "علم الحقيقة"(٢٤). وكان بين الفريقين من التباين والاختلاف أكثر مما بينهما من التقارب والائتلاف، حتى صارا إلى "نوع تباغض يشبه من بعض الوجوه ما بين أهل الملّتين"(٢٥).

وإذْ لم يعد من القول الوجيه اعتبار الخطاب الصوفي "إيديولوجية أزمة" أفرزها مجتمع مأزوم كما يتراءى للبعض(٢٦)، فإن من شأن ذلك أن يحوّل الظاهرة الصوفية إلى معطى ظرفي يساوق الأزمات ولا ينفك عنها، كما لم يعد من طائل اجترار الادعاء الموهوم الذي يخال التصوّف صيغة مهذبة لعقيدة تجريدية

اتسمت بالتحجر والطقوسية، سعى الفقهاء إلى فرضها[٢٧]، فلم يعد لمثل هذه التخريجات -إزاء ما حققته الدراسات الصوفية في العقود الأخيرة من تنوّع وتطوّر- من ملاذ سوى في أذهان أصحابها.

لكن الخطاب الصوفي الذي لا يسوغ التقليل من أصالته وعراقته، أمكنه أن يكتسب من القوة والتأثير على نفوس الناس، ما رشّحه لأن ينتصب منافسا عتيدا للخطاب الفقهي، والذي فشل في احتوائه أو الحد من سرعة انتشاره وتغلغله في مختلف الأوساط الاجتماعية[٢٨]. وما فتئ الخطاب الصوفي يروّج لسلطته ومرجعيته، مردّدا أنْ "ليس في الأرض علم أعلى منه، ولا طريق إلى الله تعالى أقصد منه"[٢٩]، وما لبث أن رام -بعد تأسيسه لشرعيته- إعلان نفسه بديلا لكل معرفة مشروعة.

على أن الذي ظل يعكّر على الخطاب الصوفي استئثاره بمرتبة الصدارة، ما تلبّس بالممارسة الصوفية منذ منشئها من نزعة عرفانية إشراقية فيضيّة، لم تكن محل رضا وقبول في صفوف الاتجاه السني، ما ترتّب عنه في المحصّلة التمييزُ بين نوعين من علم التصوّف: علم المعاملة، والذي أساسه فقه أعمال القلوب؛ وعلم المكاشفة، والذي مداره القول بالفناء والحلول والاتحاد[٣٠].

إن منابذة المتصوفة للفلاسفة، وحرصهم على صون مسلكهم من كل شائبة قد تنال من مصداقيتهم، لتجعل من الصعوبة بمكان، أن نقرن بين تصوّف "المعاملة"، وتصوّف "المكاشفة"، وليس غريبا أن نُعت الثاني بأنه "تصوف فلسفي"؛ بل "فلسفة صوفية"[٣١]، بدا معه أقرب إلى دائرة الكلام والنظر منه إلى دائرة الفقه والعمل.

٣- الخطاب الكلامي:

خوَّل الخطاب الكلامي نفسه مكانة سامقة في سلّم تراتبيات الخطابات الدينية، من منطلق أن شرف العلم رهين بشرف معلومه[٣٢]، وهل ثمّة أشرف من علم موضوعه ذات الإله وصفاته، ولذلك فلا غرْو أن عُدّ علم الكلام "مبْنى قواعد الشرع وأساسها، ورئيس معالم الدين ورأسها"[٣٣]. ولئن كان من المسلّم به لدى نظراء المتكلمين، أن مباحث العقيدة لها التقْدِمة على ما سواها من مباحث الدين، إذ أنها مناط صياغة تصورات المؤمنين حول الله، والكون، والحياة، حتى لقد كان من دأْب عدد من الفقهاء والمحدّثين، افتتاح

واختتام مجاميعهم الحديثية[٣٤]، ورسائلهم[٣٥]، وجوامعهم الفقهية[٣٦]، بأبواب قارّة في مسائل الإيمان والاعتقاد، إلا أن الخلاف ظل -مع ذلك- محتدما حول الطابع السِّجالي لعلم الكلام.

إن رهان الخطاب الكلامي على التوسّع في إعمال "النظر"[٣٧]، والتبسّط في مسائل "الجدل"[٣٨]، هو ما يفسّر لنا ما آل إليه تعريف علم الكلام لدى المتأخرين من أنه "علم يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينية، بإيراد الحجج، ودفع الشُّبَه"[٣٩]، أو أنه "علم يتضمّن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف وأهل السنة"[٤٠].

لكن الخطاب الكلامي في تسويغه لجدواه[٤١]، والحاجة الملحّة إليه، في صَون عقائد العامة عن "تشويش أهل البدعة"[٤٢]، لم يقْصِر سِجاله على الخصوم المِلّيين والنِحَليين[٤٣]، بل تعدّاه إلى الخصوم المذهبيين، الذين جرى الإزْراء بهم، والتشنيع عليهم[٤٤]، ولذلك أُستهدف من قِبَلهم بنعوت قادحة مستهجِنة، من قبيل ما قرّره ابن عبد البَر الأندلسي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) في قوله: "أجمع أهل الفقه والآثار، من جميع الأمصار، أن أهل الكلام أهل بِدَع وزَيْغ، ولا يعدّون عند الجميع في طبقات العلماء"[٤٥].

ومهما أمكن للخطاب الكلامي أن يحوزه من انفتاح بعض الأوساط السنية عليه، فبفضل تخفيفه من غلوائه أوّلا، لمّا راح يُعلن أن الاشتغال بالكلام هو "من فروض الكفايات، لا من فروض الأعيان"[٤٦]، ومن أنه يتعيّن "إلجام العوام عن علم الكلام"[٤٧]، وثانيا، لمّا انحاز طائفة من المتكلمين -الأشاعرة والماتُريدية- إلى تبني اختيارات الفقهاء والمحدثين من أهل السنة، والمنافحة عليها، مما دعا هؤلاء إلى الاستثناء من دائرة التقبيح، الكلام الذي يُضطر إليه، من يتصدى لرد باطل مُعلن، أو درء ضلالٍ عامّة[٤٨].

يبقى أن التباس المباحث الكلامية -خاصة لدى المتأخرين- بالمباحث الفلسفية، بحيث لا يكاد "يتميز أحد الفنين عن الآخر"[٤٩]، سيثير النقاش مجددا حول أصالة الخطاب الكلامي، وجدواه الوظيفية[٥٠].

٤- الخطاب الفلسفي:

ما للخطاب الفلسفي والدين؟ وهل يسعنا افتراض قيام خطاب فلسفي في الدين؟

بمعزل عما يميل إليه البعض من اعتبار علم الكلام أحد مكونات فلسفة إسلامية أصيلة[٥١]، يراد لها أن تكون حاوية لكل من الكلام والتصوف والأصول[٥٢]، في مقابل فلسفة يونانية دخيلة[٥٣]، لم يفِد تعريبها ولا تقريبها من أن تفتك لها موقعا مسلّما به ضمن روافد المنظومة الفكرية في الإسلام[٥٤]، فإن فلسفة يونان بمختلف اتجاهاتها المثالية الأفلاطونية، والواقعية الأرسطية، والتي تأتّى لها بعض امتدادات -وإن اتسمت بالتأقيت والظرفية- في أفق الثقافة العربية الإسلامية الوسيطية، لطالما تذرّعت بالدين بحثا عن مشروعية ممكنة.

وبقدر ما حاول ابن رُشْد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) أن يضمن للفلسفة الأرسطية -التي عكف على شرحها وتلخيصها- هويّة مستقلة، كخطاب برهاني حيال خطابات فقهية "بيانية"، أو خطابات كلامية "حجاجية"، فإنه لم يعْدُ الحديث بلسان فقيه، وهو يحتجّ للفلسفة في كتابه "فصل المقال"[٥٥]، وبلسان متكلّم، وهو يحاجج خصومها في كتابه "مناهج الأدلة"[٥٦].

ولئن كان البعض يرى في صنيع الفيلسوف الأندلسي محض تستّر بالدين[٥٧]، أو توظيف له[٥٨]، ذوْدا عن حِياض "علوم الأوائل"، التي استقر في المخيال الجمعي أنها مهجورة مذمومة، مظنون بمتعاطيها "الخروج من الملة، والإلحاد في الشريعة"[٥٩]، إلا أن البعض الآخر يقرّر -في كثير من الثقة- أنه لا سبيل إلى إنكار التلازم القائم بين "الفقيه" و"الفيلسوف" في شخص ابن رشد، فهما متكاملان لا يتصوّر انفصال أحدهما عن الآخر[٦٠].

إن الفلسفة بما هي "علم حقائق الأشياء"[٦١]، أو "علم الأشياء بحقائقها"[٦٢]، فإن ذلك ربما كان من أكبر العوائق في سبيل تأمين تواصل سلِس للفيلسوف مع الجمهور، بل إن الإنصاف ليقتضي الاعتراف بأنه لم يسْع إلى ذلك أبدا[٦٣]. ولن يفيد الخطاب الفلسفي ما ظل يتشبّث به الفيلسوف من أن صناعته هي "أعلى الصناعات الإنسانية منزلة، وأشرفها مرتبة"[٦٤]، سوى مزيد من الإغراق في النخبوية، وبالتالي ضآلة حظوظ منافسة الخطابات الدينية التي باشر مناقضتها، مزمعا تحديها. وإذا كان الخطاب الكلامي قد حرص -غالبا- على رسم حدود، وإن لم تكن -دوما- واضحة بالقدر الكافي، بينه وبين الخطاب الفلسفي[٦٥]، غير أن التداخل ظل متفاقما بين خطاب فلسفي ذي خلفية مادية عقلانية، وخطاب فلسفي -آخر- ذي خلفية روحية

عرفانية[٦٦]، ومع أنهما كانا يلتقيان على أكثر من صعيد فيما يتناولانه من مسائل الكون والوجود[٦٧]، وأنهما كانا -أيضا- "يصبُوان [كلاهما] إلى البحث عن الحقيقة الكامنة خلف ظواهر الأشياء"[٦٨]، إلا أنهما لم يتخندقا في جبهة واحدة في وجه خصومهما، ممن كانوا يكيلون لهما تهمة الاستتار بالدين؛ بل والعمل على تقويض بنيانه.

ورغم كل المؤشرات المشجّعة على حدوث تقارب ما، ضمن دائرة الخطاب الفلسفي[٦٩]، بين فصيلي: الحكمة العقلية والحكمة الذوقية، أو المعرفة الوجودية والمعرفة الشهودية، إلا أن "النظر" و"الكشف" قُدّر لهما أن يظلا على طرفي نقيض[٧٠].

٥- الخطاب الديني المرجعي:

لم يكتف كل خطاب -مما عرضنا- بالعمل على تأكيد حضوره، وتحقيق التناغم بين مختلف مكوناته، بل كان دأبه التطلع إلى الاستئثار بالمرجعية الدينية، ولذلك ما فتئ يطلق المعاريض ضد كل خطاب مزاحم.

فالخطاب الفقهي كان يروم زحزحة الخطاب الصوفي عن موقعه، بما كان يثيره من تحفظات على المسلك الصوفي، حتى لقد عدّ أبو الحسن الشُّشْتَري (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م) نحو سبعين مؤاخذة، مما عابه الفقهاء على سالكي طريق الصوفية[٧١].

وإلى ذلك فإن الخطاب الفقهي لم يجد كبير عناء، في الحد من فاعلية الخطابين الكلامي والفلسفي، لِما راح يردده -كاللازمة- من بُغض السَّلف الصالح للكلام[٧٢]، وتبديع أهله[٧٣]، والتحذير من علوم الأوائل، الحائدة عن سنن السداد[٧٤].

أما الخطاب الصوفي، والذي كان يحرز -مع مرور الوقت- تقدّما تلو آخر، كان يتعيّن عليه، فيما هو يناوش الخطاب الفقهي منافسَه العتيد، ألا يفوّت -بدوره- ضرب مصداقية الخطابين الكلامي والفلسفي. فبإزاء تأكيد الصوفية الدائب على أولوية الحقيقة على الشريعة[٧٥]، فإن تعريضهم بانحياش خصومهم الفقهاء إلى

إيثار الدنيا على [٧٦]، لا يضارعه حماسا سوى إنحائهم على المتكلمة والمتفلسفة اجتيالهم الناس عن فطرة الإيمان[٧٧]، وإفسادهم عقائد العوام[٧٨].

ولم يتردد الخطاب الكلامي -والجدال والمناظرة حلبته الأثيرة- في النيل من تماسك الخطابات الثلاثة: الفقهي، والصوفي، والفلسفي.

ففيما كان المتكلم ينعت خصومه النصيين من الفقهاء والمحدثين بـ"الحشْو والطغام"[٧٩]، فإنه لم يتورّع عن قذف المتصوفة بالغلوّ والزندقة[٨٠]، أما حظ الفلاسفة فكان تزييف أقوالهم، ودحض معتقداتهم[٨١].

يبقى أن الخطاب الفلسفي، وقد ألفى نفسه الأقل حظا في ميدان التنازع على المرجعية الدينية، بالرغم من تلفّعه الظاهر بستر الشريعة[٨٢]، سيكون لزاما عليه أن يصمد بقدر الوسع أمام هجمات خصومه، دون أن يكلّ عن توجيه سهام النقد إليهم.

فلم يأل الفيلسوف جهدا في التشكيك في نزاهة الفقهاء[٨٣]، والتوهين من طرق نظر الصوفية[٨٤]، والتشهير بتأويلات ومغالطات المتكلمين[٨٥].

هل يكون هذا التدافع بين الخطابات المتنافسة على موقع المرجعية الدينية قد أسفر عن غلبة أحد الأطراف؟ أم أن العداء المتجذّر بينها يكون قد أفضى إلى أفق مسدود؟

ربما كان يلزمنا التلبّث قليلا، قبل الخلوص إلى نتيجة حاسمة بهذا الشأن، فإن المتأمل في أدبيات الخطاب الديني بمختلف أطيافه، لن يفوته أن يسجّل أنه بالرغم من كل الجلَبة المترتبة عن مقارعة الخصوم، إلا أن ممارسةً اتسمت بمقدار من النضج والمسؤولية، كانت تنزع نحو مزيد من تسليط النقد الذاتي على مستوى كلِّ خطاب، كما نحو مزيد من توسيع دوائر التماس بين شتى الخطابات المتنافرة.

فإن المتفقهة لم يكن ليغيب عنهم ما يورثه إدمان الاشتغال على "القوانين الفقهية"، من قساوة قلب، وغلظة طبع، ما يدعو إلى النظر في "علم الزهد والحكمة، وفي كلام الآخرة، وفي شمائل الصالحين"[٨٦]،

ذلك أن مدار الصلاح على القلب؛ فـ"بفساده تفسد الجوارح، وبصلاحه تصلح"[٨٧]، وعليه لم يكن بِدْعا ما أُثر عن عدد من مشاهير الفقهاء، من إقبال على التأليف في "علم التذكير"[٨٨].

ومع أن موقف الفقهاء المناوئ للفلسفة ظل ثابتا[٨٩]، إلا أن موقفهم من الكلام راح يُطامِن من نبْرته المُناجِزة، بدعوى أن اليسير من الكلام في معرفة الاعتقادات، قد يكون مأنوسا لا نكير عليه[٩٠]. ويبدو أن التوليفة الأشعرية في العقيدة، والتي حظيت بالتئام الشافعية وأكثر المالكية حولها، قد نجحت إلى حد كبير، في تخفيف أجواء الاستيحاش من علم الكلام.

وليس من غير دلالة إدلاء المتصوفة أن "علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة"[٩١]، بل وتأكيدهم الصريح في مقابل أن "كل شريعة غير مؤيدة بالحقيقة، فأمرها غير مقبول"، على أن "كل حقيقة غير مقيّدة بالشريعة، فأمرها غير محصول"[٩٢]. ومن ثمّ إلحاحهم على ضرورة انضباط المسلك الصوفي بأحكام الكتاب والسنة[٩٣]؛ حتى لكان من قول أبي يوسف الدَّهْماني (ت ٦٢١هـ/١٢٢٤م) ، وهو المعدود من بين أقطاب المدرسة المَدْيَنيّة بإفريقية: "لا أقبل شيئا من الخواطر وغيرها إلا بشاهد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم"[٩٤].

وكأنما على سبيل الاعتذار، قول محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م): "فإيّاك يا أخي -عافاك الله من الظن السوء- من أن تظن في أنّي أذم الفقهاء من أجل أنهم فقهاء، أو لنقلهم الفقه، لا ينبغي أن يُظن هذا بمسلم، وإن شرف الفقه وعلم الشرع لا خفاء به، ولكن أذم من الفقهاء الصنف الذي تكالب على الدنيا، وطلب الفقه للرياء والسمعة"[٩٥].

لكن، ومهما أثر عن بعض المتصوفة من اعتناء بالنظر في المباحث الكلامية[٩٦]، إلا أن التحرّز سيظل قائما حيال الإيغال فيه؛ وخاصة فيما هو مظنون من ترف الكلام وفضوله، وهي الخلفية التي صدر عنها قطاع عريض من المتصوفة في نبذ الفلسفة، أرسطية مشّائية كانت[٩٧]، أو عرفانية فيضية[٩٨].

إن تبادل عبارات الود والإطراء بين المتفقّهة والمتصوّفة، لن يكون للمتكلّمة إليه مدخل أو سبيل، فإن صناعة الكلام في الغرب الإسلامي، حيث حجم التحديات من خارج الدائرة الإسلامية كان أقل مما هو قائم

في الشرق الإسلامي[٩٩]، سيجعل الحاجة إلى علم الكلام رهين اعتبارات ظرفية، وتطور بطيء في التزحزح عن طور العقيدة السلفية القائمة على التسليم والتفويض، واللحاق بطور العقيدة الأشعرية النزّاعة إلى الجدل والتأويل[١٠٠].

ومن البدهي أن التنازلات التي بذلها الخطاب الكلامي لفائدة الخطابين الفقهي والصوفي، في صورة إجلال لصناعة الفقه[١٠١]، وإقرار لمسلك التصوف[١٠٢]، أو في صورة ما يشبه محاولة الانفصال عن الفلسفة، وقلب ظهر المِجَنّ لها[١٠٣]، لم يكن له من عائد -فيما يبدو- سوى ما قد يكون أظفره به من بعض قبول في الدوائر السنيّة؛ وبخاصة لما آثر تقديم مباحثه النظريّة العصيّة، في صيغة رسائل عقدية مختصرة[١٠٤]، أو منظومات عقدية مبسّطة[١٠٥].

وليس سوى من قبيل الأماني التي لم يُقدّر لها التحقّق، قول المفكر العربي حسن حنفي عن الخطاب الفلسفي إنه: "تطوير للخطاب الديني، ووارث له، ينزع منه الجانب العقائدي القطعي النقلي السلطوي، ويحيله إلى خطاب عقلي برهاني"[١٠٦].

ذلك أن الفيلسوف في بيئة الغرب الإسلامي، ولو على فرض أنه كان يملك وعيا بالتمايز الحضاري بين الثقافتين الإسلامية واليونانية؛ يعكسه أسلوب تقريبه للمباحث الفلسفية اليونانية[١٠٧]، بغية تسويغها في الفضاء العربي الإسلامي. وعلى تأكيده المستمر بأن الفلاسفة هم من "أشد الناس تعظيما [للشرائع]، وإيمانا بها"[١٠٨]، وقد حرص على تقديم الإثباتات الممكنة على أن "ما يعتقده المشّاؤون، وما يعتقده المتكلمون من أهل ملّتنا، في كيفية وجود العالم متقارب في المعنى"[١٠٩]. وعلى ما طفق يعالجه من تقويم لانحراف الممارسة الفلسفية لدى بعض متفلسفة العصر[١١٠]، فإن مأزق الاغتراب ظل مُحدقا بخطابه، مما حال -دوما- دون افتكاك الاعتراف به[١١١]، وقلّص -بالتالي- من فرص تأثيره في محيطه المباشر.

إن الخطاب الفلسفي، الذي راهن لردح من الزمن، على تقديم منظورات للكون والحياة، مختلفة عما هو شائع في الثقافة الدينية السائدة، وجد نفسه مجبرا على الانزواء بعيدا في الزوايا المنسية، والبؤر الهامشية[١١٢]، ولن يوقَف له على أثر في أواخر العصر الوسيط، سوى على أطلال شاحبة في تلافيف علمَي

الكلام[١١٣] والأصول[١١٤]، بعد أن تضافرت عوامل من داخل الخطاب الفلسفي نفسه، وأخرى من خارجه، على تهيئة المناخ لإدانته، بصفة نهائية وحاسمة[١١٥].

قد يُفهم مما تقدّم، أن ممارسة شيء من النقد الذاتي، وقد واكبها -وإن في حدود ضيقة- نوع من الإقرار بجدارة الخطاب الآخر، وإن لم يكن يخلو -بطبيعة الحال- من محاولة احتواء واستيعاب، سيكون له أثره الجلي في حصول قدْر من التقبّل للخطاب الآخر، لم يصل حدّ الإفصاح بالتسليم له بأحقيته في الاستبداد بتمثيل المرجعية الدينية.

على أن التقارب الذي يسعنا الاعتداد بأهميته في انبثاق خطاب ديني مرجعي في الغرب الإسلامي، هو ما نشأ عن تصالح الخطابين الفقهي والصوفي، وسعيهما لتكريس صورة التكامل بين علمَي الظاهر والباطن[١١٦]، حتى بات من المسلّم به أن "الفقه والتصوّف شقيقان في الدلالة على أحكام الله وحقوقه"[١١٧]، وأنه "لا تصوّف إلا بفقه،... ولا فقه إلا بتصوّف"[١١٨]، وغدا مما يُنصح به المريد أن "توسّط بين الشريعة والحقيقة"[١١٩].

وإذا كانت الصيغة النهائية التي جرى الركون إليها، كجزء من منظومة دينية مرجعية، تنص بلا مواربة على[١٢٠]:

فِي عَقْدِ الأَشْعَرِي وَفِقْهِ مَالِكِ وَفِي طَـرِيقَــةِ الْجُـنَيْـدِ السَّـــــالِكِ

فإن الزعم بمركزية الخطاب الفقهي ضمن هذه التوليفة الدينية أمر لا مدفع له، ففي نطاق المجتمع الإسلامي أضحى الفقيه هو من يملك معرفة تتمتّع بإجماع حول أولويتها وضرورتها. إنها معرفة قُدّر لها أن تحوز "أكبر قدر من الحضور والنفوذ والتأثير"[١٢١]، ولعله ما حدا بالمفكر محمد عابد الجابري إلى القول: "إذا جاز لنا أن نسمي الحضارة الإسلامية بإحدى منتجاتها، فإنه سيكون علينا أن نقول عنها إنها حضارة فقه"[١٢٢].

المراجع

(١) عبد المجيد الشرفي: الإسلام بين الرسالة والتاريخ، ط٢، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٨، ص١١٨. ويتابعه في ذلك جلّ تلامذته، ومنهم نادر الحمّامي: إسلام الفقهاء (الفصل الثالث: مؤسسة الفقه)، ط١، بيروت: دار الطليعة ورابطة العقلانيين العرب، ٢٠٠٦، ص٨٣-١٢٠.

(٢) زهية جويرو: الإفتاء بين سياج المذهب وإكراهات التاريخ -دراسة في فتاوى ابن رشد الجد-، ط١، بيروت: دار الطليعة، ٢٠١٤، ص٢٥٣.

(٣) محمد الطالبي: ليطمئن قلبي، تونس: سراس للنشر، ٢٠٠٧، ص٧٢.

(٤) عبد اللطيف الهرماسي: "المؤسسة الدينية في الإسلام موضوعا للدراسة بين التمركز على الذات وأسر النموذج الغربي"، مجلة التسامح (مسقط)، ع ١٧/شتاء ٢٠٠٧، ص١٣٨.

(٥) أحمد بوعود: الاجتهاد بين حقائق التاريخ ومتطلبات الواقع، ط١، القاهرة: دار السلام، ٢٠٠٥، ص٦٥.

(٦) محمد عابد الجابري: الدين والدولة وتطبيق الشريعة، ط٤، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢، ص٦٢.

(٧) محمد الطاهر المنصوري: تونس في العصر الوسيط -إفريقية من الإمارة التابعة إلى السلطة المستقلة-، ط١، صفاقس: دار صامد، ٢٠١٥، ص٢٣٥-٢٣٦.

(٨) السُّلَمي: طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريبة، ط٣، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٦، ص٢٢٤.

(٩) ابن العربي: قانون التأويل، تحقيق: محمد السليماني، ط٢، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٠، ص٢٣٠.

(١٠) كان ذلك مدار أطروحة الكاتب والباحث المغربي بنسالم حميش، بعنوان: التشكّلات الأيديولوجية في الإسلام -الاجتهادات والتاريخ-، تقديم: ماكسيم رودنسون ومحمد عزيز الحبابي، ط١، بيروت: دار المنتخب العربي، ١٩٩٣.

(١١) الحديث مروي في الصحاح عن أبي هريرة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما. أخرجه البُخَاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، من جامعه الصحيح، الرياض: دار الأفكار الدولية، ١٩٩٨، ص٣٣ (رقم ٥٠)؛ ومُسْلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، من جامعه الصحيح، الرياض: دار الأفكار الدولية، ١٩٩٨، ص٣٦ (رقم ٠٨).

(١٢) البَغْدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق: محمد عثمان الخُشت، القاهرة: مكتبة ابن سينا، [١٩٨٨]، ص٢٨٣.

(١٣) الرَّامَهُرْمُزي: المحدِّث الفاصل بين الرّاوي والواعي، تحقيق: محمد عجّاج الخطيب، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٧١، ص١٦١.

(١٤) ابن هِشام: المفيد للحكام فيما يعرض لهم من نوازل الأحكام، مخ. الخزانة الصبيحيّة بسلا، المغرب، رقم: ٣٨٤، ص٤.

(١٥) يراجع عِيَاض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، بيروت: دار مكتبة الحياة، ليبيا: دار مكتبة الفكر، ١٩٦٧، ٤٧٣/٢؛ وابن الفَرَضي: تاريخ علماء الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٩، ١٥٠/١، ١٥١.

(١٦) البُرْزُلي: جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمُفتين والحكّام، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٢، ٦٦/١، ٣٤٠.

(١٧) الكلام لأحد أعلام المذهب المالكي، وهو عبد الله بن وَهْب الفِهْري المصري (ت ١٩٧هـ/٨١٣م)، نقله المقَّري [الجد] في كتابه: عمل من طبّ لمن حبّ، تحقيق: بدر العمراني، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣، ص١٥٩.

(١٨) خليل بن إسحاق: كتاب الجامع، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مجلة قطر الندى (إيرلندا)، ع ٠٣/مارس ٢٠٠٩، ص٢٠٩.

(١٩) الخَطَّابي: معالم السُّنن، نشره: محمد راغب الطبّاخ، ط١، حلب: المطبعة العلمية، ١٩٣٢-١٩٣٤، ١/٤-٥.

(٢٠) عبد المجيد محمود عبد المجيد: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٧٩، ص٤.

(٢١) وائل حلاّق: نشأة الفقه الإسلامي وتطوره، ترجمة: رياض الميلادي، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٧، ص١١٨.

(٢٢) يُعدّ القاضي عياض السّبتي (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ومعاصره القاضي ابن العربي الإشبيلي (ت ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م)، من أبرز فقهاء المالكية ممن شُهِد لهم بالتضلّع في علم الحديث. يراجع بشأن هذا الفريق من الفقهاء المحدّثين، خالد الصّمدي: مدرسة فقه الحديث بالغرب الإسلامي من النشأة إلى القرن السابع الهجري، ط١، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٦، ١/١٨٥-٢٠٩.

(٢٣) ابن خَلْدون: المقدّمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٥، ص٤٥٠.

(٢٤) يراجع بحثنا: "جدلية الشريعة والحقيقة، وإرهاصات الطريقة في التجربة الصوفية المغربية"؛ ضمن أعمال الندوة الدولية: عبد السلام بن مشيش والطريقة الشاذلية من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجري، المنعقدة بتطوان، بتاريخ: ٢٨-٣٠ ماي ٢٠٠٨، تنسيق: جعفر ابن الحاج السلمي وأحمد السعيدي، تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، ٢٠١٦، ص١١٠.

(٢٥) ابن تَيْمِيَّة: مجموع الفتاوى، نشر باعتناء: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنوّرة: منشورات مُجَمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ٢٠٠٤، ١٠/٤١٢-٤١٣.

(٢٦) يصدر عن هذه القناعة عدد من الباحثين على غرار بنسالم حميش: التشكّلات الأيديولوجية في الإسلام، ص٧٠؛ وإبراهيم القادري بوتشيش: المغرب والأندلس في عصر المرابطين -المجتمع، الذهنيات، الأولياء-، ط١، بيروت: دار الطليعة، ١٩٩٣، ص١٢٥-١٣٠.

(٢٧) تتردّد كثيرا مثل هذه الأحكام النمطية في المدوّنة الاستشراقية الكلاسيكية، ومن ذلك:

- جوزيف شاخت وآخرون: تراث الإسلام، ترجمة: حسين مؤنس وآخرون، الكويت: منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨، ٢٢/١-٢٣؛ ٨٦/٢.

- Alfred Bel: La Religion musulmane en Berbérie: Esquisse d'histoire et de sociologie religieuses, T. I: Établissement et dévellopement de l'Islam en Berbérie du VIIe au XXe siècle, Paris: Librarie orientaliste Paul Geuthner, 1938, pp. 347-365.

(٢٨) عبد المجيد الصغيّر: "الصريح والمضمر في الخطاب الصوفي -من الشرعية إلى السلطة المعرفية-"؛ ضمن كتابه: خصوصية التجربة الصوفية في المغرب -مفاهيم وتجليات-، ط١، القاهرة: دار رؤية، ٢٠١١، ص١٦.

(٢٩) ابن فَضِيلة: نصيحة المريد، تحقيق: حياة قارة، مجلة دعوة الحق (الرباط)، ع ٣٩٥/أفريل ٢٠١٠، ص١٢٥.

(٣٠) لما كان أبو يوسف يعقوب الدهْماني (ت ٦٢١هـ/١٢٢٤م) بصدد استعراض شيوخه، كان واضحا في التفريق بين شيخه في "البداية والتربية"، وشيخه في "السلوك والتصوف". يراجع ابن الدبَّاغ: الأسرار الجليّة في المناقب الدهمانية، تحقيق: عبد الكريم الشبلي، ط١، تونس: دار كونتراست للنشر، ٢٠١٥، ص٦٢.

(٣١) ممن آثر هذا الاصطلاح عبد القادر محمود في كتابه: الفلسفة الصوفية في الإسلام -مصادرها ونظرياتها ومكانها من الدين والحياة-، ط١، القاهرة: دار الفكر العربي، ٦٦-١٩٦٧، يراجع -خاصة- الباب الرابع منه، ص٢٩٩-٦٠٤.

(٣٢) الآمِدي: غاية المرام في علم الكلام، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة: منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٧١، ص٤.

(٣٣) البَيْضاوي: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، تحقيق: عباس سليمان، ط١، بيروت: دار الجيل، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ١٩٩١، ص٥٢.

(٣٤) افتتح البخاري جامعه الصحيح بكتاب بدء الوحي، وأردفه بكتاب الإيمان الذي اشتمل على ٤٢ بابا في مسائل الاعتقاد، أولها: باب الإيمان وقول النبي ﷺ: "بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ" (ص٢٥-٣٥). ومن كتبه الخواتيم ذات الصلة: كتاب القدر (ص١٢٦١-١٢٦٥)، وكتاب الفتن (ص١٣٤٩-١٣٦١)، وكتاب التوحيد (ص١٤٠٥-١٤٤٤).

وهو -أيضا- كان صنيع مسلم في جامعه الصحيح، إذ افتتحه بكتاب الإيمان، الذي أودعه ٩٦ بابا في مسائل الاعتقاد، أولها: باب الإيمان والإسلام والإحسان، ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى، وبيان الدليل على التبري ممن لا يؤمن بالقدر، وإغلاظ القول في حقه (ص٣٦-١١٨). ومن كتبه الخواتيم ذات الصلة: كتاب القدر (ص١٠٦٠-١٠٦٩)، وكتاب صفة القيامة والجنة والنار (ص١١٢١-١١٣٥)، وكتاب الفتن وأشْراط الساعة (ص١١٥٤-١١٨٦).

(٣٥) درج فقهاء المالكية -ائتساء بإمام المذهب- على تناول "ما يتعلق بالعقيدة، وما يتعلق بالأقوال، وما يتعلق بالأفعال"، مما لا تنتظمه أبواب الفقه الاعتيادية، في قسم ختامي خاص، أطلقوا عليه اسم "الجامع". يراجع القَرَافي: الذخيرة، تحقيق: محمد حجّي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٤، ٢٣١/١٣.

ومن بين أشهر كتب الجوامع المالكية التي عنت بإيراد مباحث عقدية: كتاب "الجامع" بآخر كتاب القبَس في شرح موطأ مالك بن أنس، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد الله ولد كريم، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ١٠٨٢/٣-١٢٠٢؛ وكتاب "الجامع" بآخر كتاب عِقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، لابن شاس، تحقيق: محمد أبو الأجفان وعبد الحفيظ منصور، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٥، ٥١٣/٣-٥٦٠.

(٣٦) افتتح ابن أبي زيد القَيْرَواني (ت ٣٨٦هـ/٩٩٦م) رسالته الفقهية بباب "ما تنطق به الألسنة، وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانة". وقد حظي هذا القسم من رسالته باعتناء فقهاء المذهب، فتصدى لشرحه -منفردا- غير واحد، من بينهم: القاضي عبد الوهاب البغدادي (ت ٤٢٢هـ/١٠٣١م)، وأبو محمد صالح الهَسْكوري الفاسي (ت ٦٥٣هـ/١٢٥٥م). تراجع كتبهم -على التوالي-: الرسالة الفقهية، تحقيق: الهادي حمّو ومحمد أبو الأجفان، ط٢، بيروت: دار الغرب

الإسلامي، ١٩٩٧، ص٧٥-٨٠؛ وشرح عقيدة الإمام مالك الصغير أبي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، تحقيق: محمد بوخبزة وبدر العمراني، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢؛ وشرح عقيدة ابن أبي زيد في كتابه الرسالة، تحقيق: محمد أمنو البوطيبي، مجلة المذهب المالكي (أكادير)، ع ١١/شتاء ٢٠١١، ص٧٥-١٣٩.

(٣٧) أفرد الجويني (ت ٤٧٨هـ/١٠٨٥م) بابا "في أحكام النظر"، تحته خمسة فصول، في كتابه: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٥٠، ص٣-١١.

(٣٨) خصّص الأشْعَري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) بابا "في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة"، من كتابه: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق: بشير محمد عيون، ط٣، دمشق: مكتبة دار البيان، الطائف: مكتبة المؤيد، ١٩٩٠، ص٣٨-٤٢؛ ثم إنه وضع كتابا مستقلا في الموضوع بعنوان: اللُّمَع في الرد على أهل الزَّيغ والبِدع، نشره: حموده غرابه، القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٥٥.

(٣٩) العَضُد الإيجي: المواقف، بيروت: عالم الكتب، د.ت.، ص٧.

(٤٠) ابن خلدون: المقدّمة، ص٤٢٩.

(٤١) قد يُمثَّل لذلك برسالة الأشعري في "استحسان الخوض في علم الكلام"، نشرها: محمد الولي، ط١، بيروت: دار المشاريع، ١٩٩٥.

(٤٢) الغَزَالي: المنقذ من الضلال، تحقيق: عبد الحليم محمود، ط٣، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٢، ص١٣٢.

(٤٣) انبرى الباقِلاني (ت ٤٠٣هـ/١٠١٣م) في أحد أهم مصنفاته الكلامية لمقارعة صنفين من الخصوم: الصنف الأول هم "أهل الملل المخالفين لملّة الإسلام؛ من اليهود، والنصارى، والمجوس، وأهل التثنية، وأصحاب الطبائع، والمنجمين". أما الصنف الثاني فهم المخالفون لأهل الحق، ممن وسمهم بـ"أهل التجسيم والتشبيه، وأهل القدر والاعتزال، والرافضة، والخوارج". يراجع كتابه: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٨٧، ص٢٤.

(٤٤) لطالما تحامل المتكلّمون على خصومهم، فنعتوا فريقا منهم بالحَشَويّة، ورموهم بالجمود على ظواهر النصوص، و"قلّة البصائر"، ونعتوا فريقا آخر بالمعطِّلة، واتهموهم بمصادمة قوطع الشرع، و"خبث الضمائر". يراجع الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، نشره: موفق فوزي الجبر، ط١، دمشق، بيروت: دار الحكمة، ١٩٩٤، ص٢١.

(٤٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، وما ينبغي في روايته وحمْله، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، ط١، الرياض: دار ابن الجوزي، ١٩٩٤، ٩٤٢/٢.

(٤٦) الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص٢٣، ٣٣.

(٤٧) "إلجام العوام عن علم الكلام"، هو عنوان رسالة للغزالي. يراجع مجموع رسائله، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، القاهرة: المكتبة التوفيقية، د.ت.، ص٣١٩- ٣٥٥.

(٤٨) ابن عبد البَرّ: جامع بيان العلم، ٩٣٨/٢، والباب الذي يليه من الكتاب نفسه في "إثبات المناظرة والمجادلة وإقامة الحجة"، ٩٥٣/٢-٩٧٤.

(٤٩) ابن خلدون: المقدّمة، ص٤٣٧.

(٥٠) ابن جُزَيّ: النور المبين في قواعد عقائد الدين، نشره: نزار حمّادي، ط١، تونس: دار الإمام ابن عرفة، الكويت: دار الضياء، ٢٠١٥، ص١١١.

(٥١) محمد المكي الناصري: "علم الكلام فلسفة إسلامية مبتكرة"، مجلة الأكاديمية (الرباط)، ع ٢/فيفري ١٩٨٥، ص٩-٢٥.

(٥٢) لعل من أوائل الذين نادوا بهذا الاعتبار هو مصطفى عبد الرازق (١٨٨٥-١٩٤٧م). يراجع كتابه: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، القاهرة: منشورات لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٤، ص٢٧، ٧٥-٧٦.

(٥٣) يتحفّظ علي سامي النشار على اعتبار فلسفة الكندي (ت ٢٥٢هـ/٨٦٦م)، والفارابي (ت ٣٣٩هـ/٩٥٠م)، وابن سينا (ت ٤٢٨هـ/١٠٣٧م)، وابن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، وغيرهم من شرّاح الفلسفة اليونانية، فلسفة إسلامية فيها أصالة وإبداع. يراجع كتابه: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٩، القاهرة: دار المعارف، [١٩٩٦]، ٤٧/١.

(٥٤) خلُص ابن خلدون -وهو المعدود من مستنيري المفكرين المسلمين في العصر الوسيط- إلى القول بـ"إبطال الفلسفة وفساد منتحلها". المقدّمة، ص٥١٣.

(٥٥) جاء في مفتتح الكتاب: "فإن الغرض من هذا القول أن نفحص، على جهة النظر الشرعي، هل النظر في الفلسفة وعلوم المنطق، مباح بالشرع، أم محظور، أم مأمور به إما على جهة الندب، وإما على جهة الوجوب". ابن رُشْد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال، تحقيق: محمد عبد الواحد العسري، مع مدخل ومقدمة تحليلية لمحمد عابد الجابري، ط١، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص٨٥.

(٥٦) نقرأ في مقدمة الكتاب: "فقد رأيت أن أفحص في هذا الكتاب عن الظاهر من العقائد التي قصد الشرع حمل الجمهور عليها... فإن الناس قد اضطربوا في هذه الشريعة حتى حدثت فرق ضالة، وأصناف مختلفة، كل واحد منهم يرى أنه على الشريعة الأولى". ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، تحقيق: مصطفى حنفي، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح لمحمد عابد الجابري، ط١، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨، ص٩٩-١٠٠.

(٥٧) أشرف منصور: العقل والوحي -منهج التأويل بين ابن رشد وموسى بن ميمون وسبينوزا-، ط١، القاهرة: دار رؤية، ٢٠١٤، ص٤٩.

(٥٨) عبد الله خليفة: الاتجاهات المثالية في الفلسفة العربية الإسلامية، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٥، ٣٩٤/٣، ٣٩٥.

(٥٩) صاعِد الأندلسي: طبقات الأمم، تحقيق: حياة العيد بوعلوان، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٥، ص١٦٤.

(٦٠) يعد روبار برنشفيك (١٩٠١-١٩٩٠م) من أبرز المتبنين لهذا الرأي. تراجع دراسته:

- Robert Brunchvig: “Averroès juriste”, in: Études d’islamologie, Paris: G.-P. Maisonneuve & Larose, 1976, 2/167.

ويتفق معه في ذلك باحثون متخصصون، على غرار:

- Roger Arnaldez: Averroès, un rationaliste en Islam, 1 éd., Paris: Balland, 1998, pp. 31-43.

وإبراهيم بورشاشن: الفقه والفلسفة في الخطاب الرشدي، ط١، بيروت: دار المدار الإسلامي، ٢٠١٠، ص٤٩٨.

(٦١) الخُوارِزْمي: مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٩، ص١٥٣.

(٦٢) الكِنْدي: الرسائل الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٠، ٩٧/١.

(٦٣) كان من أكبر مآخذ ابن رشد على الغزالي إقدامه في بعض كتبه على التصريح بالحكمة للجمهور. ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة، ص١٥٠.

(٦٤) الكندي: الرسائل الفلسفية، ٩٧/١.

(٦٥) على الرغم من التقارب الماثل في المباحث الإلهية بين الكلام والفلسفة، فقد حرص المتكلمون على تمييز قولهم بأنه "على قانون الإسلام"، خلافا لقول الفلاسفة الذي هو "على قانون عقولهم، وافق الإسلام أو خالفه". يراجع السَّمَرْقَنْدي: الصحائف الإلهية، تحقيق: أحمد عبد الرحمن الشريف، ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٥، ص٦٥-٦٦.

(٦٦) الفلسفة الصوفية أو التصوف الفلسفي هو ما عمد أصحابه إلى مزج أذواقهم الوجدانية بأنظارهم العقلية، مستخدمين في التعبير عنه مصطلحا فلسفيا متعدد المشارب. يراجع أبو الوفا الغنيمي التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، ط٣، القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٩، ص١٨٧.

(٦٧) ابن خلدون: شفاء السائل وتهذيب المسائل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ط١، بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٦، ص١٠٦-١٠٧، ١١٠-١١١، ١٢٠.

(٦٨) عبد القادر بوعرفة: "الفلسفة والتصوف.. وسؤال العلاقة"، مجلة الكلمة (بيروت)، ع ٨٩/خريف ٢٠١٥، ص٧٧.

(٦٩) من اللافت في ترجمة ابن سبعين (ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م) أنه كان معدودا من المتصوّفة على قاعدة زهد الفلاسفة، وكان يعالج الجمع بين الفلسفة والتصوف. يراجع الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣، ١٦٨/١٥؛ والكُتُبي: فوات الوفيات والذيل عليها، تحقيق: إحسان عبّاس، بيروت: دار صادر، ٧٣-١٩٧٤، ٢٥٣/٢.

(٧٠) ينطوي لقاء ابن عربي (ت ٦٣٨هـ/١٢٤٠م) بابن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) -على فرض وقوعه- على دلالات عميقة عن حدود الاتصال والانفصال بين الكشف والنظر. يقول ابن عرَبي: "فعندما دخلت عليه، قام من مكانه إلي محبة وإعظاما، فعانقني، وقال لي: نعم! قلت له: نعم! فزاد فرحه بي لفهمي عنه. ثم استشعرت بما أفرحه من ذلك، فقلت له: لا!، فانقبض، وتغيّر لونه، وشكّ فيما عنده. وقال لي: كيف وجدتم الأمر في الكشف والفيض الإلهي، هل هو ما أعطاه لنا النظر؟ قلت له: نعم، لا! وبين نعم ولا، تطير الأرواح من موادّها، والأعناق من أجسادها". يراجع كتابه: الفتوحات المكية، تحقيق: عثمان يحيى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٧٧-١٩٩٢، ٣٧٢/٢.

(٧١) ابن لُيون: الإنالة العلمية من الرسالة العلمية في طريق الفقراء المتجردين من الصوفية، تحقيق: محمد العدلوني الإدريسي: ط١، الدار البيضاء: دار الثقافة، ٢٠٠٤، ص٧٥-٧٦.

(٧٢) لطالما تمثّل فقهاء السنة بقول الإمام مالك: "الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه... [و] ينهون عن الكلام في الدين، إلا فيما تحته عمل". يراجع السُّيوطي: صون المنطق والكلام عن فنّي المنطق والكلام، تحقيق: علي سامي النشّار وسعاد علي عبد الرازق، ط٢، القاهرة: دار النصر للطباعة، ١٩٧٠، ص١٨٥.

(٧٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ٩٤٢/٢، ٩٤٣. وقد صُنّفت كتب شُحِنت بالآثار والمرويات التي تنتقص من الكلام وأهله، على غرار صنيع الهَرَوي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٩م) في كتابه: ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد العزيز الشبل، ط١، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٩٩٦-٢٠٠٢.

(٧٤) ابن جزي: النور المبين، ص١٠٩-١١٠؛ وابن العربي: العواصم من القواصم، تحقيق: عمار طالبي، القاهرة: مكتبة دار التراث، [١٩٧٤]، ص٣٨.

(٧٥) ابن تِيجْلات: إثمد العينين ونزهة الناظرين في مناقب الأخوين، مخ. الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: ١٣٤٩٨، ورقة ٨٤ وجه.

(٧٦) ابن سِيدْبونَة: كتاب الشهاب موعظة لأولي الألباب، تحقيق: عبد الإله بنعرفة، الدار البيضاء: مركز التراث الثقافي المغربي، ٢٠٠٥، ص١٤٥-١٤٦.

(٧٧) ابن عربي: الفتوحات المكية، ١/١٥٤-١٥٥.

(٧٨) السُّهْرَوَرْدي: كشف الفضائح اليونانية ورشف النصائح الإيمانية، تحقيق: عائشة يوسف المناعي، ط١، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٩، ص٦٨-٦٩، ١٠٠.

(٧٩) العامِري: الإعلام بمناقب الإسلام، تحقيق: أحمد عبد الحميد أعراب، ط١، الرياض: دار الأصالة للثقافة والنشر والإعلام، ١٩٨٨، ص١٠٧.

(٨٠) عرض الأشعري (ت ٣٢٤هـ/٩٣٦م) للقائلين بالحلول من نسّاك الصوفية، وجعلهم في عداد فرق الغُلاة. كما أدرج المَلَطيّ (ت ٣٧٧هـ/٩٨٧م) فرقة الروحانية بأصنافها الخمسة ضمن ناجِمة الزنادقة. يراجع كتاباهما -على التوالي-: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ٥٠-١٩٥٤، ص٧٨، ٨٠-٨١؛ والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٢، ص٧٠، ٧١-٧٣.

(٨١) أفرد ابن العربي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) فصولا عدّة في محاججة الفلاسفة، ونقض مقالاتهم، وقد أشاد بكتاب شيخه أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ/١١١١م) "تهافت الفلاسفة". يراجع كتابه: العواصم من القواصم، ص٧٨.

(٨٢) أُثِر عن أبي الحسين البصري (ت ٤٣٦هـ/١٠٤٤م) أنه كان متمرّسا بعلوم الأوائل، إلا أنه كان يتقي أهل زمانه في الإعلان بها، فأخرج ما ينتحله منها "في صورة متكلمي المِلّة الإسلامية". كما روي أن ابن سبعين (ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م) غلب عليه إيثار الفلسفة، ورام إظهارها في سِتر وخفاء،

فحوّر من اصطلاحات الفلاسفة في بعض كلامه، لأجل ألاّ "تنفر النفس عن مقاله". يراجع -على الترتيب-: القِفْطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، نشره: إبراهيم شمس الدين، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥، ص٢٢١-٢٢٢؛ والفَاسِي: العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد وآخران، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٨٥-١٩٨٦، ٣٢٧/٥.

(٨٣) ابن رشد: فصل المقال، ص٩٥.

(٨٤) ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة، ص١١٧؛ وابن باجَّة: تدبير المتوحِّد، تونس: سراس للنشر، ١٩٩٤، ص٢٩-٣٠.

(٨٥) الكندي: الرسائل الفلسفية، ١٠٣/١-١٠٤؛ والفارابي: إحصاء العلوم، نشره: علي بوملحم، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٦، ص٩١.

(٨٦) السَّمَرْقَنْدِي: بستان العارفين، منشور بذيل تنبيه الغافلين -له-، ط٣، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٩٩٣، ص٣١٢.

(٨٧) خليل بن إسحاق: كتاب الجامع، ص١٦٣.

(٨٨) يمكن التمثيل لذلك -على الأقل- بثلاثة أسماء: ابن العربي (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م) في كتاب "سراج المهتدين في آداب الصالحين"، تحقيق: محمد بن الأمين بوخبزة، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٩؛ وابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/١١٨٣م) في كتاب "المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات، والمتضرعين إليه سبحانه بالرغبات والدعوات، وما يسّر الكريم لهم من الإجابات والكرامات"، نشره: غنيم عباس غنيم، ط١، القاهرة: دار المشكاة، ١٩٩٤؛ وابن الخَرَّاط (ت ٥٨١هـ/١١٨٦م) في كتاب "التهجد وما ورد في ذلك من الكتب الصحاح، وعن العلماء والصلحاء والزهاد رضي الله عنهم"، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني ومحمد بن الحسن بن إسماعيل، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤.

(٨٩) لا تبعد مواقف فقهاء المشرق أو المغرب عما أفتى به ابن الصَّلاح (ت ٦٤٣هـ/١٢٤٥م) من أن "الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة...". يراجع مجموع

فتاويه ومسائله في التفسير والحديث والأصول والفقه، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٦، ٢٠٩/١-٢١٠.

(٩٠) من نص فتوى للفقيه أبي محمد عبد الحق بن هارون الصقلي (ت ٤٦٦هـ/١٠٧٣م). يراجع الوَنْشَرِيسي: المعيار المُعرب والجامع المُغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه: محمد حجّي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٨١-١٩٨٣، ٢٣٠/١١.

(٩١) الغزالي: إحياء علوم الدين، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٢، ١٩/١.

(٩٢) القُشَيْري: الرسالة القشيرية، تحقيق: معروف مصطفى زريق، ط١، صيدا، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١، ص٨٢.

(٩٣) ابن سيدبونة: كتاب الشهاب، ص٨٦، ٢٣١؛ وابن ليون: الإنالة العلمية، ص٤٤.

(٩٤) ابن الدبَّاغ: الأسرار الجليّة في المناقب الدهمانية، ص١٧٠.

(٩٥) ابن عربي: روح القدس في محاسبة النفس، تحقيق: عزّة حصريّة، دمشق: مطبعة العلم، ١٩٧٠، ص١٠٢.

(٩٦) من بين الصوفية المغاربة الذين شُهد لهم بمعرفة علم الكلام، والتقدّم فيه، يُذكر أبو الحسن علي بن العطّار الفاسي (ت ٦٠٤هـ/١٢٠٧م)، وأبو محمد عبد الجليل بن موسى القصْري (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م). يراجع ابن الزيَّات: التشوّف إلى رجال التصوف، تحقيق: أحمد التوفيق، ط٤، الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٤، ص٤٣٥-٤٣٦ (رقم ٢٦٣)؛ وابن الأبّار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: بشّار عوّاد معروف، ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١١، ٢٧٥/٣-٢٧٦ (رقم ٢٥٥٩).

(٩٧) كان أبو زيد عبد الرحمن بن يَخْلُفْتَن الفازازي التلمساني (ت ٦٢٧هـ/١٢٣٠م) مائلا إلى التصوف، مشهورا به، مُبغضا لأهل العلوم القديمة، يتحرّى ألاّ يصاحب منهم أحدا. وله في ذمّ القوم أشعار، منها قوله:

وَدَعِ الفَلاَسِفَةِ الذَّمِيمِ جَمِيعُهُـــم وَمَقَالَهُم، تَأْتِي الْأَحَقَّ الْوَاجِـــبَا

فَانْـظُرْ بِعَقْلِكَ هَلْ تَرَى مُتَفَلْسِـفًا فِيمَـنْ تَـرَى إلاَّ دَعِـيًّا كَاذِبَـــا

يراجع ابن عَسْكر: أعلام مالَقة، تحقيق: عبد الله المُرابط الترغي، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، الرباط: دار الأمان، ١٩٩٩، ص٢٦١؛ وابن الخَطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٧٣-١٩٧٧، ٥٢١/٣.

(٩٨) كان الشيخ أبو القاسم الصبّان صوفيا متسنّنا من أهل فاس، ثم إنه استوطن سبتة، ولما نزل -الأخيرة- ابنُ سبعين (ت ٦٦٩هـ/١٢٧١م)، ووضع كتابه: "بد العارف"، كان الشيخ يذمّه، ونصحه بإتلافه. يراجع البادِسي: المقصَد الشريف والمنزَع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعيد أعراب، ط٢، الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٩٣، ص٦٩.

(٩٩) الونشريسي: المعيار المعرب، ٢٣٠/١١.

(١٠٠) تصدّت دراسات كثيرة للحضور الأشعري في بلاد المغرب، ومحاولة التمييز بين مختلف الأطوار التي يكون مرّ بها. ويمكن الإحالة -بهذا الصدد- على:

Hady Roger Idris: “Essai sur la diffusion de l’assšarisme en Ifriqiya”, Les Cahiers de Tunisie, T.I, Nº 02, 1953, pp. 126-140.

- عبد المجيد النجّار: "انتشار الأشعرية بإفريقية والمغرب"؛ ضمن كتابه: فصول في الفكر الإسلامي بالمغرب، ط١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٢، ص١١-٣٨.

- المبروك المنصوري: "الأشعرية في بلاد المغرب إلى غاية نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ومفهوم الأدوار الحضارية"، مجلة معهد الآداب العربية للآباء البيض (تونس)، ع ١٩٢/٢٠٠٣، ص٧١-٩٨.

- يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ط٢، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧.

- عمر بن حمّادي: "تساؤلات حول الأشاعرة بالغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري -علاقتهم بالمرابطين وتواجدهم بالأندلس-"؛ ضمن أعمال الندوة الدولية الأولى: إسهام الباجي واللخمي في تطور المذهب المالكي، المنعقدة بتونس، بتاريخ: ٢٢-٢٣ أكتوبر ٢٠١٤، تنسيق: نجم

الدين الهنتاتي، تونس: منشورات المعهد العالي للحضارة الإسلامية، جامعة الزيتونة، ٢٠١٥، ص١٩٣-٢٢١.

(١٠١) العامري: الإعلام بمناقب الإسلام، ص١١٧.

(١٠٢) يقرّر فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢١٠م) أنه انكشف لأرباب البصائر أن الطريق إلى الله من وجهين: "أحدهما: طريق أصحاب النظر والاستدلال، والثاني: طريق أصحاب الرياضة والمجاهدة". يراجع كتابه: المطالب العالية من العلم الإلهي، تحقيق: أحمد حجازي السّقا، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٨٧، ٥٣/١.

(١٠٣) فيما كان من رأي المتقدمين من متكلّمي المعتزلة كالجاحِظ (ت ٢٥٥هـ/٨٦٩م)، أنه "ليس يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام، متمكّنا في الصناعة، يصلح للرئاسة، حتى يكون الذي يُحسِن من كلام الدين في وزن الذي يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذي يجمعهما"، فإننا نقرأ لدى بعض المتأخرين من متكلّمي الماتردية كالبَزْدَوي (ت ٤٩٣هـ/ ١١٠٠م) قولَه: "فإني نظرت في الكتب التي صنّفها المتقدمون في علم التوحيد، فوجدت بعضها للفلاسفة... وذلك كله خارج عن الطريق المستقيم، زائغ عن الدين القويم، ولا يجوز النظر في تلك الكتب لأنها تجرّ إلى المهالك". يراجع كتاباهما -على الترتيب-: الحيوان، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، القاهرة: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ٦٥-١٩٦٩، ١٣٤/٢؛ وأصول الدين، تحقيق: هانز بيتر لنس، القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣، ص١٣.

(١٠٤) صنيع أبي بكر عبد الله بن طلحة اليابُري (ت ٥٢٣هـ/١١٢٩م) في المختصر فيما يلزم علمه ولا يسع جهله من علم أصول الدين وإجماعاته، تحقيق: محمد الطبراني، ط١، تطوان: منشورات مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، الرابطة المحمدية للعلماء، ٢٠١٣؛ وأبي عمرو عثمان السَّلاَلْجي (ت ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م) في العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية، تحقيق: نزار حمّادي، ط١، بيروت: مؤسسة المعارف، ٢٠٠٨.

(١٠٥) صنيع أبي الحجَّاج يوسف بن موسى الضرير السَّرَقُسْطي ثم المراكشي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م)، الذي نظَم أرجوزة بعنوان: "التنبيه والإرشاد في علم الاعتقاد"، تحقيق: سمير قوبيع وآخران، ط١،

الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٤؛ وأبي الحسن علي بن مؤمن القرطبي ثم الفاسي -تلميذ السلالجي- (ت ٥٩٨هـ/١٢٠٢م) الذي نظم في العقائد أرجوزة جامعة. أفاده ابن عبد الملك في الذيل والتكملة لكتابَي الموصول والصلة، تحقيق: بشّار عوّاد معروف وآخران، ط١، تونس: دار الغرب الإسلامي، ٢٠١٢، ٣/٢٢٠.

(١٠٦) حسن حنفي: حصار الزمن -إشكالات الحاضر-، ط١، القاهرة: مركز الكتاب للنشر، ٢٠٠٤، ص١٣.

(١٠٧) يظهر مدى التحوير الذي مارسه أبو القاسم بن بَدْرُون الشِّلْبي (حي سنة ٦٠٨هـ/١٢١١م) في استعراضه لأقسام الفلسفة، بحيث يجعلها مأنوسة، وأجلى ما يبرز ذلك في حديثه عن قسم "الإلهيات"، التي صنّفها إلى خمسة أنواع: "أولها معرفة البارئ سبحانه بجميع صفاته، وأنه أول كل شيء، وآخر كل شيء، والعالم بكل شيء، والخالق لكل شيء، وأنه ليس كمثله شيء". يراجع كتابه: كُمامة الزهر وطُرفة الدهر، مخ. الخزانة الحسنية بالرباط، رقم: ١٢٢٧٧، ورقة ٦ ظهر.

(١٠٨) ابن رشد: تهافت التهافت، تحقيق: أحمد محفوظ ومصطفى الحداد، مع مدخل ومقدمة تحليلية وشروح لمحمد عابد الجابري، ط١، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨، ص٥٥٤.

(١٠٩) عنوان مقالة لابن رشد. يراجع ابن أبي أُصَيبِعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، بيروت: دار مكتبة الحياة، د.ت.، ص٥٣٣.

(١١٠) هاجم ابن طُفَيل (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) ما عدّه "آراء فاسدة نبغت بها متفلسفة العصر، وصرّحت بها، حتى انتشرت في البلدان، وعمّ ضررها". كما هاجم ابن رشد (ت ٥٩٥هـ/١١٩٨م) ما وسمه بـ"الاعتقادات الفاسدة" التي أعلن بها قوم من متفلسفة عصره، فصاروا بإذاعتها "سببا لهلاك الجمهور، وهلاكهم في الدنيا والآخرة". يراجع كتاباهما -على الترتيب-: حي بن يقظان، القاهرة: منشورات مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢، ص٥٤؛ وفصل المقال، ص١١٩-١٢٠.

(١١١) في سياق استعراضه للعلوم الرائجة لدى أهل الأندلس، يسجّل المقَّري أن "كل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم، ولا يُتظاهر بهما خوف

العامة، فإنه كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة أو يشتغل بالتنجيم، أطلق عليه العامة اسم زنديق". نفْح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨، ٢٢١/١.

(١١٢) نصر حامد أبو زيد: الخطاب والتأويل، ط٣، الدار البيضاء، بيروت: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٨، ص٢٢.

(١١٣) يراجع محمود محمد عيد نفيسة: أثر الفلسفة اليونانية في علم الكلام الإسلامي حتى القرن السادس الهجري -دراسة تحليلية نقدية-، ط١، دمشق، بيروت: دار النوادر، ٢٠١٠.

(١١٤) يراجع وائل بن سلطان الحارثي: علاقة علم أصول الفقه بعلم المنطق -مقاربة في جدلية التاريخ والتأثير-، ط١، بيروت: منشورات مركز نماء للبحوث والدراسات، ٢٠١٢.

(١١٥) اشتدت النقمة ضد الفلسفة اليونانية كما العرفانية في الأعصر المتأخرة، وجرى التحذير من مطالعة كتب أصحابها، وكيلت الكثير من التهم للفلاسفة ومتفلسفة الصوفية، ووصموا بكل سوء ونقيصة، ورموا بالإلحاد والكفر، حتى أنهم عدّوا "أضرّ على المسلمين من اليهود والنصارى". يراجع السَّكُوني: لحن العامة والخاصة في المعتقدات، ط١، بيروت: شركة دار المشاريع، ٢٠٠٥، ص٥٧-٦١؛ وأبو حيَّان: البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٣، ٣٩٣/٣، ٤٦٤-٤٦٥، ١٥١/٥، ٤٠٦.

(١١٦) اللَّجَائي: قطب العارفين، تحقيق: محمد الديباجي، ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠١، ص١٢٥؛ والحَرالِّي: التوشية والتوفية، تحقيق: محمادي بن عبد السلام الخياطي، نشره مع جملة من آثار المؤلف، بعنوان: تراث أبي الحسن الحرالي المراكشي في التفسير، ط١، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٧، ص١٣٦-١٣٧.

(١١٧) زَرُّوق: قواعد التصوّف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٥، ص٢٩.

(١١٨) المصدر السابق، ص٢٢.

(١١٩) ابن فضيلة: نصيحة المريد، ص١٢٣.

(١٢٠) متن ابن عاشِر (ت ١٠٤٠هـ/١٦٣١م) الموسوم بـ"المُرشد المُعين على الضروري من علوم الدين"، مصر: دار القاهرة للطباعة، د.ت.، ص٢.

(١٢١) عبد المجيد الصغيّر: المعرفة والسلطة في التجربة الإسلامية -قراءة في نشأة علم الأصول ومقاصد الشريعة-، ط١، القاهرة: دار رؤية، ٢٠١٠، ص١٣، ١٦.

(١٢٢) محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ط١٠، بيروت: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٩، ص٩٦.

أ/د. نورالدين أمعيط
جامعة شعيب الدكالي - كلية الآداب والعلوم الانسانية – الجديدة
nour7404@gmail.com

Recieved : 28/12/2023
Revised : 4/1/2024
Accepted : 21/1/2024
Published :25/1/2024

مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب الأقصى زمن العصر المريني الأول (٧٥٩-٦٦٨هـ/١٢٦٩-١٣٥٨م) من خلال المصادر العربية

الملخص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جملة منتخبة من مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب الأقصى زمن العصر المريني الأول(٦٦٨-٧٥٩هـ/١٢٦٩-١٣٥٨م)، الواردة في المصادر العربية، وقد صنفناها بحسب وظائفها إلى مجموعتين، تناولنا في المجموعة الأولى مصطلحات تخص آلات الحصار و لباس الجند والشارات العسكرية، فيما تناولنا في المجموعة الثانية مصطلحات تخص مكونات الأسطول الحربي للدولة المرينية، مع توضيح دلالة كل مصطلح من هذه المصطلحات، و ذلك بالاستناد إلى جملة من القرائن والإثباتات التي تحيل عليها وترشد في فهمها، كتحديد وظائف وأنواع هذه الأسلحة واهتمام أهل المغرب بصناعتها والأدوار التي لعبتها لبناء الدولة المغربية الوسيطية.

الكلمات المفتاحية: العتاد الحربي-المصطلحات- الأسلحة-المغرب الأقصى-العصر المريني-المصادر العربية

Abstract

This study seeks to shed light on a selection of terminology for military equipment mentioned in Al-aqsa Morocco at the time of First Marinid Era (668-759AH/1269-1358AD), contained in Arabic sources. We classified them according to their functions into two groups.In first group, we dealt with terms related to siege machines, soldiers uniforms, and military insignia, while in the second group we dealt with terms related to the components of the military fleet.The Marined state , with an explanation of the meaning of each of these terms, based on a number of clues and proofs that refer to it and guide its understanding, such as defining the functions and types of these weapons, the interest of the people of Morocco and Andalusia in their manufacture, and they played in building the Moroccan-Mediterranean state.

Keywords: Military equipment-terminology- Weapons-Marinid Morocco-Arab sources.

مقدمة

بالرغم من أهمية العتاد الحربي وما لعبه من دور حاسم في بسط السيطرة والنفوذ الحضاري في الحوض المتوسطي خلال العصر الوسيط، فإن هذا الموضوع، لم ينل حظه اللازم من الدراسة والتنقيب في حقل الدراسات التاريخية[١]، لا سيما ما يتصل بأنواع الأسلحة المستعملة والمصطلحات المرتبطة بها، ودور

ذلك في فهم بعض الجوانب المعتمة من التاريخ العسكري للغرب الإسلامي عموما، ولبلاد المغرب الأقصى على وجه التحديد، ومن ثمة الوقوف على بعض عوامل اختلال موازين القوى بين ضفتي البحر المتوسط، بل وفهم كنه التحولات العسكرية التي حصلت بالمنطقة خلال هذه المرحلة، خاصة بعد تراجع قوة الموحدين إثر هزيمتهم في معركة العقاب بالأندلس سنة ٦٠٩ هـ/١٢١٢م.

ويبدو أن الدولة المرينية التي سعت لاسترجاع أمجاد الموحدين، قد تنبهت إلى مظاهر هذا الاختلال على المستوى العسكري، فأخذت على عاتقها، مهمة إعادة تحديث وهيكلة الجيش المغربي وتطويره، ليس بقصد ردع الهجمات المسيحية فحسب، ولكن لتأمين الطرق التجارية وتوحيد الصف، و تثبيت الأمن الداخلي، فسخرت لذلك عتادا حربيا متنوعا سواء داخل المغرب الأقصى، أو في حروبها بالأندلس وإفريقية، وتجمعت لديها ترسانة مهمة من الأسلحة، شكلت مظهرا من مظاهر قوة الدولة المغربية داخل حوض البحر المتوسط، لا سيما زمن السلطانين أبي الحسن (٧٤٩-٧٣١هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) وابنه أبي عنان (٧٤٩-٧٥٩ هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م).

وبقدر ما تنوع العتاد الحربي واختلف بحسب المواجهات والمعارك التي خاضتها الدولة المرينية في حروبها، بقدر ما تنوعت معه المصطلحات الدالة عليه في المصادر العربية الوسيطية التي استعملت مجموعة مهمة من مصطلحات الأسلحة ومستلزمات الجند، فورد منها ما يدل على الأسلحة بأنواعها، وزي المقاتلين، وشارات الجند، فضلا عن مصطلحات دالة عن مكونات الأسطول الحربي، مما يستلزم تعريفها و الوقوف عند دلالتها، باعتبارها جزءا من التراث المغربي المدون الواجب تثمينه والمحافظة عليه.

وسننطلق في هذه الدراسة، من جملة من المصادر العربية التي دونت زمن الدولة المرينية أو بعدها، وهي مصادر استعملت مصطلحات خاصة لأنواع الأسلحة المستعملة لدى بني مرين، ومنها الذخيرة السنية لابن أبي زرع الفاسي(ت. ٧٢٦هـ/١٣٢٦م) وكتاب مسالك الأبصار للعمري(ت. ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، وكتاب فيض العباب لابن الحاج النميري (ت. بعد سنة ٧٧٤هـ/١٣٣٤م)، و كتاب المسند الصحيح الحسن لابن مروزق التلمساني (ت.٧٨١هـ/١٣٨١م)، وكتاب العبر لابن خلدون (ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٨م) فضلا عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ت. ٨٢١هـ/١٤١٨م) ووصف إفريقيا للحسن الوزان (ت. حوالي

٩٥٧هـ/١٥٥٠م) ، وغيرها من المصنفات التي قدمت مادة جيدة عن الجوانب العسكرية والعتاد الحربي في العصر المريني.

وانطلاقا مما تجمع من معطيات وإشارات مصدرية، فقد سعت هذه الدراسة إلى تصنيف مصطلحات الأسلحة بحسب وظائفها، مع توضيح دلالتها لرفع الالتباس وتقريب الفهم لعموم الباحثين الذين غالبا ما يصطدمون بمشاكل لا حصر لها كلما تعلق الأمر بتحديد دلالات الألفاظ والمصطلحات المستعملة للتعبير عن أنواع العتاد والأسلحة المعتمدة خلال العصر الوسيط، وقد استندنا في تحديد دلالة هذه المصطلحات إلى جملة من القرائن والإثباتات المصدرية التي تعين على التعريف بها وتحديد دلالتها، وفق منهج تاريخي، يروم الوصف والتفسير والتحليل، في انسجام تام مع الرؤية الخلدونية التي تلخص أسباب النصر والغلبة في قوة التنظيم ووفرة الجند وكمال الأسلحة.

أولا: مصطلحات العتاد الحربي بالمغرب المريني

لا شك أن العتاد الحربي وتوفر الأسلحة، ظل - ولا يزال- من العوامل الرئيسية التي تساعد الجند على اقتحام المعارك دون خوف أو وجل، بل يكون أحيانا عاملا حاسما في صنع الانتصار وحسم نتائج المعارك والحروب[٢] والتمهيد أحيانا لبناء دولة على أنقاض أخرى. وفيما جعلت بعض المصنفات خير الأسلحة "ما خف حمله على الأعضاء ودفع عنها الأذى"[٣]، جعل منها ابن خلدون أحد أسباب النصر والغلبة، ملخصا ذلك في أربعة عناصر وهي "الجيوش ووفورها، وكمال الأسلحة واستجادتها، وكثرة الشجعان، وترتيب المصاف"[٤]، فجعل للسلاح المرتبة الثانية بعد وفرة الجيش، ومن ثمة اكتسى العتاد الحربي أهمية قصوى لصاحب الدولة وجنده، يستعين به على أمره، وتكون الحاجة ماسة إليه "عندما تكون الدولة في بداية عهدها وتمهيد أمرها"، على حد قول صاحب المقدمة[٥]. والواقع أن الأسلحة التي استعملها الجيش المريني في حملاته العسكرية، ومنها حملته على قسنطينة وبلاد الزاب، قد عرفت تنوعا كبيرا، كما عكست ضخامة الجند المشارك، وتبعا لذلك، جاءت مصطلحات الأسلحة المستعملة متنوعة ضمن المصادر العربية المذكورة، وقد شملت مصطلحات أسلحة الرماية الخفيفة والطعن، ومصطلحات آلات الحصار وهدم الأسوار، و أخرى تهم زي الجند ومستلزمات الفارس، فضلا عن مصطلحات تدل على مكونات الأسطول الحربي ولوازم الجند البحري.

١- مصطلحات أسلحة الطعن والرماية الخفيفة (السيوف - القسي - النبال -الرماح)

لعل من أهم مصطلحات أسلحة الطعن التي تردد ذكرها في المصادر العربية، هناك **السيف**، جمع سيوف، وقد كان على رأس الأسلحة المعتمدة لدى الجند خلال العصر الوسيط، وبالنظر إلى أهمية السيوف جعلها ابن خلدون[٦] على رأس الآلات التي يستعين بها صاحب الدولة على أمره، إلى جانب القلم. وإن كان يقصد **بالسيف** في مقدمته جميع أنواع الأسلحة، فهي إشارة لأهمية هذا النوع من السلاح و محوريته ضمن باقي أنواع العتاد الحربي المستعمل خلال الفترة الوسيطية.

ومن جهته، تحدث النميري عن السيوف كأحد أنواع الأسلحة الرئيسية لدى جيش بني مرين، فأمعن في التنويه بسيوف العساكر المرينية، وأورد أن كل **"سيف** منها يطلب الثأر(...)، محمود الجولة، موهوب الصولة، يعجز المتنبي عن وصفه **"**[٧]. كما ذكر بعض أنواع السيوف ومنها **"الهندية"** أو **"الهنداوية"**[٨] التي كان يتم التباهي بها، فضلا عن **"الإفرنجية"**[٩] **و"البردالية"**[١٠] وغيرها من الأنواع التي استعملها الجند المريني، سواء كانت محلية الصنع أو مستوردة من الأندلس وبلاد المشرق، وقد صنفت بحسب جودتها ومكان صناعتها وشكل مقابضها[١١].

وفضلا عن السيوف، استعملت المصادر مصطلح **القسي، جمع قوس، وهي** آلة حربية على هيئة هلال، ترمى بها السهام، **و** كانت على نوعين، **قوس اليد** وهي العربية، ثم **قوس الرجل** وهي **الإفرنجية**، ويرى ابن هذيل أن **"القوس العربية** أنسب للفارس لأنها أسرع وأقل مئونة**"**[١٢]، في حين تظل **"الإفرنجية** أنسب للراجل لأنها أبلغ وأكثر معونة، ولاسيما في الحصار والمراكب البحرية(...)وهي خاصة بأهل الأندلس، فيها يتنافسون، وعليها يعتمدون فرسانا ورجالا**"**[١٣].

وبالفعل، فقد ميزت القسي الإفرنجية فرقة الأندلسيين من الجيش العناني الذين كانوا يرمون بقوس الرجل[١٤] وبلغ عددهم أزيد من ألفي فارس[١٥]. وقد فصلت بعض المصادر في طريقة استعمالها وقت القتال، إذ يطالعنا صاحب البدائع والأسرار عن طريقة الرمي بها، فقال "إذا رميت الفارس، إن كان مقبلا إليك، فاطلب قربوس سرجه، فإن طاش السهم وقع في صدره، أو في وجهه، وإن قصر وقع في بطنه أو في دابته، وإن كان هاربا أمامك وأردت رميه فاطلب القربوس، فإن طاش السهم وقع في ظهره(...)"[١٦].

ويبدو أن الجند المريني كان بارعا في الرمي بالقسي، لا سيما العناصر المتمرسة منه والمنتمية لمدن الثغور، كأهل سبتة الذين "طبعوا عليه[الرمي بالقسي]، فلا تلفي منهم شريفا ولا مشروفا، ولا كبيرا ولا صغيرا، إلا وله بصر بالرمي وتقدم فيه، ومعظم رميهم بالقوس العقارة"[١٧].

ومن جهته أشار ابن الحاج النميري إلى مصطلح "النبال"، جمع نبلة، للدلالة على أحد أصناف أسلحة الرمي والطعن التي استعملها الجند العناني[١٨]، وقد وصفتها بعض المصادر "بالمنايا [التي قد] تخطئ وتصيب"[١٩]. ومعلوم أن المرينيين قد أنشأوا على المدن الساحلية الأبراج أو المرامي لتكون قاعدة للرماة [٢٠] فكانت سبتة وحدها تتوفر على "أربعة وأربعين مرمى بالميناء"[٢١] مقسمة على تسع جلسات.

ومن أسلحة الطعن الخفيفة أيضا، استعملت المصادر مصطلح **"الرماح"**، جمع رمح، وهو سلاح رئيسي استعمله الجند المريني، كان عبارة عن قضيب طويل في رأسه سنان أو حربة للطعن، وقد صنفها العمري إلى نوعين، "رماح **طوال وقصار**"[٢٢]، و قد كانت عبارة عن عصا خشبية أو معدنية في نهايتها قطعة معدنية مدببة الشكل، وعادة ما تكون ذات رأس معدني مثلث، وهي رماح مصممة للقتال والطعن، وأخرى مصممة للرمي. وتذكر المصادر أن خير الرماح ما خف حمله، إذ "ينبغي للفارس أن يخفف رمحه ما قدر، فإنه على الخفيف أقوى"[٢٣]، وأحسنها "المارن المثقف، المقوم المخطف، الذي إذا هززته لم يتعطف، وإذا طعنت به لم يتقصف"[٢٤]. وقد شكلت الرماح إحدى وسائل القتال الأساسية لدى الجند المريني[٢٥].

٢- مصطلحات آلات الحصار (المنجنيقات- العرادات- الدبابات- الات الحصار)

امتازت الجيوش المرينية بالتفوق في فن الحصار، ومقدرتها على اقتحام المدن المنيعة الأسوار، و لاغرو فقد راكمت التجربتين المرابطية و الموحدية في هذا المجال، فكانت أمنع الأسوار تنهار تحت ضربات الآلات المدمرة، ومنها ما المنجنيقات التي اصطلح عليها ابن الحاج "الات الحصار "[٢٦] أحيانا، و**"الدبابات"**[٢٧]، أحيانا أخرى، وهي الات للقدف والحصار، برهنت عن فعاليتها، ورجحت تفوق الجيوش المرينية في حوادث كثيرة، لعل أبرزها حصار سجلماسة سنة ٦٧٢هـ وحصار قسنطينة سنة ٧٥٨هـ، فلم تصمد التحصينات المنيعة والأسوار العالية تحت ضربات آلات الحصار المرينية المدمرة.

ويبدو أن مصطلح **"الدبابة"** بمفهومه العسكري، قد استعمل لأول مرة بالمغرب المريني مع ابن الحاج النميري، فقد سميت ضمن المصادر الموحدية بالآلات الحربية، وهو الأمر الذي أكده الأستاذ محمد المنوني حين أثبت ورود مصطلح **"آلالات الحربية" أو "الدبابات الموحدية"، ضمن المصادر، مضيفا أنها "بالإسم الأول وردت"**[٢٨]. وهو ما قد يوحي بالتطور الذي طرأ على المستوى التقني في هذا النوع من العتاد الحربي المريني. فبعدما كان يصطلح عليها "الآلات الحربية" خلال العصر الموحدي[٢٩]، يبدو أن تبدل تسميتها خلال العصر المريني، كان موازيا لتبدل حصل في تقنية اشتغالها، مع الاحتفاظ بوظيفتها، فصارت تسمى **بالدبابات** خلال عصر بني مرين.

وفضلا عن مصطلح **المنجنيقات**، تشير المصادر إلى استعمال مصطلح **"العرادات"**، مفرد **عرادة** وهي آلة أصغر من المنجنيق ترمي بالحجارة أو السهام المرمى البعيد، وقيل هي من التعريد بمعنى العدو، واستخدمت لرمي قدور النفط، وإليها أشار ابن خلدون مستعملا ذات المصطلح، في معرض حديثه عن حصار يعقوب ابن عبد الحق المريني لمدينة سجلماسة سنة ٦٧٢هـ، حين قال "ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق **والعرادات** وهندام النفط القاذف بحصى الحديد"[٣٠]. وذلك بعد أن دام الحصار حولا كاملا "إلى أن هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف"[٣١].

وقد سمى النميري هذا النوع من العتاد الحربي ب**"آلات الحصار الثقال"**[٣٢] أحيانا، و**"بالآلات"**[٣٣] دون إضافة أحيانا أخرى، فجعل منها أداة "لقهر شيع الضلال"[٣٤]، كما سماها ب **"الدبابات** التي تيسر من فتح المدينة كل مرام"[٣٥].

وإلى جانب وسائل الحصار المذكورة، استعمل الجيش المريني أسلحة أخرى من قبيل **الحجارة** التي كانت تقذف في المجانيق واستعملت في حصار أبي عنان لقسنطينة، فقد رمى أهلها **"بالحجارة**(...)وألقى عليهم أرواق الحصار"[٣٦] ، **والسلالم** التي كانت تمكن من تسلق أعلى الأسوار[٣٧]. كما استعملت المعاول في هذا الحصار "فكادت أن تهطع لتخليل قوى الأسوار وتفريق ما اتصل من أعضائها البادية للأبصار"[٣٨]. فضلا عن **الفؤوس والمساحي** التي وظفت في "تخريب الديار[حين أقدم أبو عنان](...)على قسنطينة ليتركها عبرة للمعتبرين"[٣٩]. ويذكر النميري أن **معاول** الجيش العناني قد حطمت القصر الذي بناه أحد قادة قبائل رياح حين خرب "حتى لصقت أعاليه بالأرض"[٤٠] .

وواضح أن المرينيين، لم يقتصروا على الأسلحة وآلات الحصار القديمة التي سادت على عهد المصامدة، بل طوروا ما وصلت إليه خبرة الموحدين[٤١]، واستعملوا آلات قاذفة بعد تعديلها، لا تقذف بالحجارة والكرات الحديدية الملتهبة، فحسب، بل تستعمل الأنفاط والبارود، وهنا مكمن الجدة في السلاح المريني. فهذه الآلات التي يصحبها ذوي قوي، كانت تشبه المدافع التقليدية، قد وصفها النميري بقوله "آلات الحصار(...) مجاهدات(...) صوتهن كالرعود"[٤٢].

وإذا كانت مسألة استعمال المغاربة للبارود زمن الموحدين، أمر مشكوك في صحته لغياب نصوص صريحة تثبت ذلك، فإن استعمال هذا السلاح من قبل الدولة المرينية، أمر لا يرقى إليه الشك قيد أنملة، ولا تعوزنا النصوص الدالة على ذلك، فقد ذكر ابن خلدون عدة ألفاظ ومصطلحات دالة في هذا الشأن من قبيل **"البارود"** و**"هندام النفط"** و**"النار الموقدة"**، في سياق حديثه عن حصار يعقوب بن عبد الحق لسجلماسة سنة ٦٧٢هـ، حين "نصب عليها آلات الحصار من المجانيق و العرادات **وهندام النفط** القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام **النار الموقدة** في **البارود** بطبيعة ترد الأفعال إلى قدرة باريها"[٤٣].

ولعل في استعمال ابن خلدون لمثل هذه الألفاظ والمصطلحات، ما يؤكد حقيقة استعمال الجند المريني للسلاح الناري، وهو ما أشار إليه الناصري أيضا، معلقا على نص ابن خلدون بقوله أن الأمر فيه "فائدة وأن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ"[٤٤].

وأثناء حصار أبي عنان لقسنطينة، يبدو مؤكدا أنه وظف سلاح البارود بأن "أرسل عليهم **أنفاطا** يتطاير شرارها(...)ويحل من أسوارهم محل **نيران**(...) ويخلع قلوبهم بأصوات لا يطيقها خروق المسامع"[٤٥]. أما الأسطول، فقد أطلقت أجفانه **"أنفاطها**(...) منذرة السامعين مالئة **بألهوبها** مابين الغرب والشرق"[٤٦على] حد قول صاحب فيض العباب.

وانطلاقا من المصطلحات والألفاظ الواردة لدى كل من ابن خلدون والنميري من قبيل" الأنفاط" و"النيران" و"الالهوب"، يتضح جليا توظيف المرينيين المتكرر للسلاح الناري في حروبهم. فكان البارود من الذخيرة التي حرصوا على حفظها داخل صناديق محكمة الإغلاق، لأهمية هذه المادة من جهة،

وخطورتها من جهة ثانية، فأثناء العاصفة الرعدية وقدوم السيل الذي حل بالموكب العسكري العناني بجبل بني يمل أثناء العودة "أمر أبو عنان بأن تجمع أحمال الأموال والمتاع، والصناديق المشحونة بالذخائر"[٤٧].

وإذا ثبتت صحة استعمال الغرب الأوربي للبارود لأول مرة في معركة (Crecy-en-Pouthien) بين الانجليز والفرنسيين سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م، وهي الحرب التي مهدت لحروب المائة سنة بين المملكتين الفرنسية والانجليزية، فإن المغرب يكون بذلك، قد سبق أوربا إلى استعمال السلاح الناري بأكثر من سبعة عقود[٤٨].

٣- مصطلحات لباس الجند ومستلزمات الفارس والشارات العسكرية

٣-١ – مصطلحات لباس الجند (الدروع- التراس- الدرق- الخوذ -العمائم- البيضات...)

تنوع زي الجند المريني تنوعا كان يضفي على الموكب العسكري تلك الفخامة و الضخامة المقصودة لترهيب الأعداء، فكان زي السلطان وجنده لا يخرج عن هذا المنحى، ويصف لنا العمري لباس الفرسان مستعملا جملة من المصطلحات الخاصة بزي هؤلاء الذين تميزوا ب"**عمائم** طوال رقاق، قليلة العرض من كتان، ويعمل فوقها **إحرامات**، يلفونها على أكتافهم من الجباب، ويتقلدون بالسيوف تقليدا بدويا، **والأخفاف** في أرجلهم(...) **والمهاميز**[٤٩]، ولهم **المضمات** وهي **المناطق**، ولكنهم لا يشدونها إلا في يوم الحرب أو يوم التمييز(...) وتعمل من فضة ومنهم من يعملها ذهبا، ومنها ما يبلغ ألفي مثقال"[٥٠].

وإذا كان العمري قد وصف بعض مكونات زي الفرسان من الجيش المريني، مستعملا لذلك جملة من المصطلحات **كالإحرامات** التي يلفها الفارس على الأكتاف، **والأخفاف والمهاميز والمضمات** أو **المناطق**، فإن ابن مرزوق قد أجاد في وصف زي السلطان المريني زمن النزال معتمدا مجموعة من المصطلحات الخاصة بلباس الملوك وقت الحروب، فيذكر أن أبا الحسن، كان "يختص بلبس **البرنس** الأبيض الرفيع، لا يلبسه ذو سيف سواه"[٥١]. وكان "يلبس **خاتم الذهب** على عادة الملوك، وبدله بخاتم **فضة**، (...)وفي يده **السكين** التي لا يفارقها"[٥٢]. ويضيف الحسن الوزان عن لباس السلطان في الحروب، فيذكر أن خادما يتقدم السلطان، ليحمل **قباقبه**، وهي "**أحذية من خشب** مزدانة بتطريزات متناهية الجمال تعد من مظاهر الأبهة

والفخامة"[٥٣]. وقد يلبس "الملك في هذه المناسبة لباسا متواضعا لائقا، فالذي لا يعرف الملك، لا يصدق أنه هو نفسه، لأن خدامه المسلحين يلبسون لباسا أفخر من لباسه، مصنوعا من أقمشة ثمينة مزخرفة"[٥٤].

وأثناء الحركة إلى قسنطينة، وصف ابن الحاج النميري لباس أبي عنان بمصطلحات خاصة، فقد خرج هذا السلطان "وقد لبس **ملوطة**[٥٥] **بيضاء** بالعمل الشواشي(...) ولبس فوقها **مصفحا ملوكيا** عظم قدرا(...)واتخذ **المضمة** الشريفة نهرا، وتقلد **السيف**(...) وجعل على رأسه **بيضة هندية** سامية مصقولة"[٥٦]. "ولبس[أبو عنان]على **المصفح**، **غفارة حمراء**(...)ثم قرعت الطبول، ولاحت البوقات والأنفار في موكب النصر"[٥٧].

أما قواد الجيش، فقد كان لهم لباس خاص "فلسائر القواد زي تميزوا به في العساكر(...) وعلى جميع هؤلاء الأصناف أنواع **الأقبية** التي حسن لها التمييز، (...) وفوقها **المصفحات** من الحلل والأنزاق والأثواب البديعة المجلوبة من أرض الشام وأرض العراق، منسوقة بها المسامير المذهبة(...)أما **القلانس والشواشي** المذهبة والمفضضة فتلك التي باهت الشموس(...)واختص خيول الأجناد الأندلسيين **بالبراقع** البديعة الجمال(...)أما جموع الأندلسيين المغاوريين المرتجلة، فقد لبسوا **الأقبية** المختلفة الألوان وجعلوا فوق رؤوسهم **الرتافيل** التي هي أبدع من نور البستان(...) والعدويون اللابسون لأحسن الأثواب(...)وبأيديهم القضبان"[٥٨].

ويبدو واضحا من خلال مصطلحات زي الجند الواردة ضمن هذا النص، التنوع الكبير الذي طبع لباس الجند المريني، وهو لباس منه ما كان محلي الصنعة، ومنه المستورد من بلاد الشام والعراق والهند، مما يتضح معه حرص المرينيين واهتمامهم البالغ بتوفير عتاد الجند، مهما بلغت تكاليف الاستيراد.

ومن المفيد الإشارة إلى بعض مصطلحات الأسلحة الواقية التي أوردتها المصادر، ومنها "الدروع"، و تعد ضمن اللباس العسكري المعتمد من قبل الجند المريني، وهي قطع من جلود أو صفائح من حديد كانت تغطي جسم المحارب من العنق إلى الركبتين اتقاء لضربات العدو، وتشكل أداة لحماية الفارس أيضا من ضربات السيوف والرماح. ويبدو أن الدروع المرينية كانت حديدية الصنع، وعن ذلك يخبرنا النميري حين أمر أبو عنان فرسانه أثناء حملته العسكرية، "أن لا يركب أحد في غد إلا وهو مظاهر بين **دروعه**، شاك في

الحديد الذي يحصن لابسه بأسه"[٥٩]، وذكر من الدروع الداودية التي شكلت "عبرة لأولي الاعتبار ونزهة للنظار"[٦٠]، علما أن الدروع اختلفت من حيث شكلها و حجمها ومواد صنعها، فإذا "كانت واسعة فهي زغفة، وإن كانت طويلة فهي ذائل، فإذا كانت منسوجة فهي جدلاء ومجدولة، وإذا كانت صدرا بغير ظهر، فهي جوشن"[٦١].

ومن مصطلحات الأسلحة الواقية، ذكرت المصادر، مصطلح التراس، جمع الترس، وقد كان بعضها من حديد، وبعضها الآخر من الجلود، فأما الجلدية "فهي درق(...)وتصنع من جلود البقر، كما تصنع من جلود الوحش، ومن جلود اللمط وهي أحسنها و أمنعها"[٦٢]، ويعرف صاحب حلية الفرسان اللمط بأنه "حيوان يعمر الصحاري ويصنع من جلده الدرق"[٦٣]، ومن علامات جودة الدرق اللمطية، أنها إذا "أصيبت بضربة سيف أو رمح، انغلقت الضربة والتحمت من وقتها واختفت فلا تظهر"[٦٤].

وإذا كانت مواد صنع الدرق من الجلود في الغالب، فإن المصادر تكاد تتفق على جودة وصلابة الدرق اللمطية، وعنها يقول صاحب تحفة الألباب "وعندهم (أهل السودان) حيوان يقال له اللمط مثل الثور الكبير له قرنان كالرماح، تطول بطول بدنه ممدودة على ظهره، إن طعن بها حيوان أهلكه في الحال، يتخذ من جلده **تراس** يقال لها **الدرق اللمطية**، لا تنفذها النشاب، ولا تؤثر فيها السيوف، وهي من أحسن **التراس**"[٦٥].

وعلاوة عن الدروع والتراس، يذكر النميري مصطلحات أخرى عن أسلحة وقائية من قبيل **"العمائم"**، فضلا عن **"البيضات"**[٦٦] وهي الخوذة التي توضع على رأس المحارب والمصنوعة من حديد، وللتلطيف من صلابتها على رأس حاملها، فقد كانت تحشى بمواد رخوة لمنع تأثير الضرب القوي على رأس المحارب.

ومما سلف من مصطلحات، يبدو أن المرينيين، قد أبدعوا على مستوى الزي العسكري والأسلحة الواقية، واجتهدوا في توفيرها لأجنادهم، مع الحرص على طابع الاحتفالية والفخامة بغية ترهيب العدو من جهة، وإضفاء نوع من الهبة على الدولة ومواكبها العسكرية من جهة ثانية، وهو ما أكده النميري حين ذكر أن أبا عنان كان يحث على "جزيلة ارتياده نازعا إلى التي تظهر فخامة الملك"[٦٧].

٣-٣-٢- مصطلحات تخص مستلزمات الفارس (الفرس- السروج- الألجم- المهاميز- المضمات)

لعل من أهم مستلزمات الفارس، **الفرس** الذي شكل أداة فعالة من أدوات العتاد الحربي المريني، ولم يفت النميري وصف أنواع الخيول التي شاركت في الحملة العنانية، وصفا بليغا فذكر"منها **الأدهم** ومنها **الأشقر** الذي يشبه صهيله الرعد، ومنها **الأحمر** و **الأصفر** ومنه **الأشهب** الطويل الذيل، ومنها **كميت** ظهره قصير وعنقه طويل وحوافره صلبة وكشحه[٦٨] ضامر(...)وصدره واسع وعرفه طويل"[٦٩].

وإلى جانب الخيول، عمل المرينيون على توفير مستلزمات الفرسان، وفي هذا السياق، استعملت المصادر جملة من المصطلحات، لعل أبرزها **"السروج"** و **"الألجم"**، **و"الخفاف"** التي تعرف بمصطلح **"الأنمقة"** ويشدون **"المهاميز"**[٧٠] فوقها. وقد حرص المرينيون على توفيرها مجانا لجندهم جريا على عادة الموحدين من قبلهم، فقد زود أبو عنان جنده المشارك في الحركة من "وجوه القبائل وزعماء الفصائل وأشراف العرب وأمراء هلال ابن عامر وطوائف من لفيف الأعراب(...) **بالكسوات، والسيوف** المحلاة باللجين والعقيان، إلى غير ذلك من **السروج المذهبة** ركبها أحسن التذهيب، **واللجم** العجيبة التي رتبت صنائعها أحسن الترتيب"[٧١].

وفيما أعدت للخيول غير بعيد عن المعسكر، الإصطبلات التي تبيت فيها، وهي "مخابئ تصطف فيها الخيل بنظام، بعضها بجوار بعض"[٧٢]، أسندت مهمة العناية بها وبباقي وسائل النقل العسكري من البغال والجمال، لشخص يدعى في اصطلاح المغاربة ب**"العلاف"**[٧٣]، ويسهر على توفير "ما يلزم للدواب ولجميع المستخدمين المكلفين بشؤونها"[٧٤]، وهو ما يبين الاهتمام الذي حظيت به جميع أصناف الجند المريني سواء كانوا راجلين أو فرسان، وذلك بتوفير كل مستلزمات العتاد الحربي من سلاح و خيول وعلوفة ومؤونة ولباس.

٤-مصطلحات تخص الشارات العسكرية(الطبول و الرايات والمزامير)

لقد أورد ابن خلدون عدة مصطلحات تدل **على** الشارات العسكرية في سياق حديثه عن شارات الملك الأساسية، ومنها "اتخاذ الآلة من نشر **الألوية** وقرع **الطبول** والنفخ في **الأبواق** والقرون"[٧٥]، لذلك فقد شكلت كل من الطبول والرايات والمزامير والأبواق، أهم الشارات العسكرية التي استعملت ضمن العتاد الحربي المريني، ويصف صاحب الحلل الموشية أحد **الطبول** بقوله: "كبير مستدير الشكل دوره خمسة عشر

ذراعا منشأ من خشب أخضر اللون مذهب(...) وكان يسمع على مسيرة نصف يوم من مكان مرتفع لا ريح فيه"[٧٦]. أما الحسن الوزان فقد أشار أن السلطان، كان له **"طبالون** كثيرون مزودون **بطبول** نحاس على شكل جفان عريضة من أعلى ضيقة في أسفل، مع جلد ممدود على أعلاها. ويحمل كل طبل حصان رحل، (...)ويسمع دويها من مسافة بعيدة، فترتجف الخيول والرجال منها، وتقرع بعصب الثور"[٧٧].

كان دق الطبول لا يتم إلا في مناسبات محددة أثناء الحرب أو خروج السلطان في سفر أو مناسبة عيد، وكانت تقتصر على الموكب السلطاني دون غيره من وجهاء الدولة، وفي ذلك يقول ابن خلدون: "ولما جاءت دولة الموحدين ومن بعدهم زناتة، قصروا الآلة من الطبول والبنود على السلطان، وحضروها على من سواه من عماله، وجعلوا لها موكبا خاصا يتبع السلطان في مسيره يسمى الساقة"[٧٨].

ومن جهته استعمل ابن الحاج النميري، مصطلح **"الطبول"** في صيغة الجمع، للدلالة **على** كثرتها، منبها أنها كانت "تقرع على طرائق تتهاداها الأسماع(...) وقد ملأت القلوب هيبة وروعا"[٧٩]، وتناط مهمة ضربها بجماعة من الرجال عرفوا **بمصطلح "الطبالين"** كان لهم قائد خاص يعرف بمصطلح **"المزوار"**[٨٠] .

وفيما صمت النميري عن عدد الطبول التي استعملت في الحركة العنانية لقسنطينة وبلاد الزاب، ذكر ابن خلدون[٨١]، أن عددها فاق المائة في عهد أبي الحسن ما بين الصغير والكبير، وكان ضربها "محفوظ لأهل بيت خاص بهم من أهل مراكش"[٨٢]، مما يوحي بوجود تقنية خاصة بضربها قد تكون موروثة عن العصر الموحدي.

وإلى جانب مصطلح الطبول، أوردت المصادر مصطلحات أخرى، **توحي بتعدد شارات** الجيش المريني وتنوعها، ومنها **"المزامير" و"الأبواق"**، و هي الات اختص بها قواد الترك، فكان لهؤلاء "مزامير هائلة(...)عرفوا بها"[٨٣]. وكان "النافخون في[هذه] الأبواق، يستعملون لعزف الألحان عند النزول وبسط موائد الملك، أو عند الهجوم في الحرب"[٨٤]، ولم يكن لهم تمويل أو نفقة تذكر من طرف الملك، وإنما كان أهل المدن يتكلفون بذلك، فهم ملزمين "بتقديم عدد منهم كلهم على نفقتهم"[٨٥].

ومن خلال سياق ورود المصطلحات السالفة الذكر، يبدو أن دور الطبول والأبواق والمزامير، كان له بالغ الأثر في نفسية عناصر الجند بتحفيزهم على القتال وإثارة الحماسة في نفوسهم قبل و أثناء الحرب

من جهة، وإرهاب العدو من جهة ثانية[٨٦]. وقد اهتم المرينيون بهذا الأمر اهتماما كبيرا حتى إنهم حملوا معهم الجواري على الهوادج ضمن المواكب العسكرية، ورافقوا الشعراء الذين يتغنون بمجد الجند لتشجيعهم على القتال، "إذ يتقدم الشاعر عندهم أمام الصفوف ويتغنى فيحرك بغنائه الجبال الرواسي ويبعث على الاستماتة(...)ويسمون ذلك الغناء تاصوكايت"[٨٧].

وإلى جانب الطبول، استعمل الجند المريني **الأعلام**، فكان العلم الأبيض شعار الدولة، ويسمى في المصادر المرينية "بالعلم المنصور"، فهو "أبيض مكتوب بالذهب نسيجا من الحرير أي من القرآن بدائر طرته وحوله"[٨٨]، غير أن المصادر ، لم تفصح عن ماهية الآيات المكتوبة عليه، والراجح أنها آيات كانت تشير في مضمونها إلى التوحيد[٨٩].

وعلاوة على العلم الكبير الذي يتقدم الموكب، اعتمد الجيش المريني عددا مهما من الأعلام "ملونة بالحرير منسوجة بالذهب ما بين كبير وصغير"[٩٠]، ومتعددة الألوان ما بين الأبيض والأخضر والأحمر والأصفر وغيرها من الألوان المتفرعة منمقة بأنواع التطريز والخطوط[٩١]. ويقف أصحابها خلف السلطان وحاشيته. وتتزايد أعداد الأعلام إذا علمنا أن لكل قبيلة كان لها علم خاص يميزها وتعرف به[٩٢]. ناهيك عن أعلام "أهل الحرف من أرباب الصناعات الموفرة للبضاعات"[٩٣] فلهؤلاء "أعلام فيها صور الآلات التي يستعملونها"[٩٤].

وقد عينت فرقة خاصة ضمن الجيش المريني، عرفت "**بحملة الأعلام**، يحملونها ملفوفة أثناء السير، إلا واحدا منهم يحمل علما منشورا مرفوعا في مقدمة الجيش. ويقوم جميع حملة الأعلام كرواد بالتأكد من خط السير ومشارع الأنهار ومسالك الغابات[٩٥] .فكانت مهمة هؤلاء استطلاعية، تمهد طريق الجند وتأتي بالأخبار بشكل استباقي.

ويبدو أن الجيش المريني قد راكم التجربتين المرابطية والموحدية سواء باستعماله للأسلحة المتنوعة أو في اتخاذه للزي المتميز وبعض الشارات العسكرية. كما راكم تجربة رائدة في عصره لخوض غمار المعارك البرية أو البحرية، غير أن حروب أبي عنان في البحر اقتضت - ولا شك- تجديد قطع

الأسطول الحربي خاصة بعد نكبة أبي الحسن بالقيروان[٩٦] ، فاجتهد أبو عنان في تطوير أسطوله الحربي. فماذا عن المصطلحات الدالة **على** مكونات الأسطول الحربي المريني وخصائصه؟

ثانيا: مصطلحات دالة على مكونات الأسطول الحربي المريني

إذا كان الأسطول الحربي من أهم مستلزمات و عتاد الجند المريني، فإن الوقوف **على المصطلحات الدالة على مكوناته، يعد من الأهمية بمكان، إذ لا يتيح ذلك إمكانية تحديد الدلالة، فحسب، ولكن يكشف عن بعض خصائص** مكونات قطع الأسطول الحربي المريني، وإن كانت مسألة تحديد الحمولة والتجهيز والفعالية و المسافة التي تجتازها كل قطعة، يعد من الصعوبة بمكان، لأسباب عديدة، لعل أبرزها شح الإشارات المصدرية من جهة، وصعوبة التمييز بين الأسطول الحربي والتجاري من جهة ثانية[٩٧]، وتتأكد هذه الصعوبة عند التعرض لجملة من المصطلحات، الدالة على مكونات الأسطول الحربي، التي تزخر بها بعض المصادر الوسيطية، من دون تحديد لدلالتها، مما يستلزم من الباحث بذل جهد مضاعف بقصد حصر القرائن، و تحصيل الإشارات التاريخية من أجل صياغة بطاقة هوية لهذه المصطلحات.

ومعلوم أن لفظ الأسطول نفسه، ليس وليد الحقبة الوسيطية، وإنما هو لفظ يوناني قديم (Stolos)، ويعني طائفة من السفن. وعند العرب ظل لفظ الأسطول، يدل على السفن الحربية، بعد تعريب الكلمة عن اليونانية(Stolos)[٩٨] حاملا دلالة السفن التي كانت تتحرك بالمجاديف، وبعضها بالمجاديف والأشرعة معا[٩٩]. ويبدو أن ابن الحاج النميري لم يخرج عن القاعدة، إذ استعمل بدوره لفظ الأسطول للدلالة على السفن المحاربة، فذكر أن أبا عنان "جعل ينظر إلى **أساطيله** المظفرة(...) وقد رفعت أعلامها المتهايجة(...) ولبس أهلها الدروع فكأنهم الأسود "[١٠٠].

١-مصطلحات مكونات الأسطول الحربي المريني (الاغربة- الطرائد-الشياظي- القوارب...)

وصف النميري مكونات الأسطول المريني في نص بالغ الأهمية، حين قال: "وأقبلت **أغربة** كأن أعلامها البيض حمائم، **وطرائد** كان الأبطال فوقها أسود ضراغم، **وشياطي** تستشيط على أعداء الله غضبا، **وسلالير** يتخذ سبلها في البحر عجبا، **وقوارب** تخلص لله بجهادها قربا، ولججوا بها فلكا يكاد يستنزل

الأفلاك، **وسفائن** تحمل على أسرتها الأملاك، **وشوانئ** لعاجل الأعداء الشواني الهلاك، **ومراكب** يركبها المناوئ ردعه، **وحراقات** تحرق قلب المناصب وتتيح صرعه"[١٠١].

ويبدو من خلال مصطلحات هذا النص، أن مكونات الأسطول الحربي العناني، كانت متنوعة فاقت تسعة أنواع، اختلفت من حيث شكلها ووظيفتها، فمنها **"الأغربة"** جمع غراب[١٠٢] وهي سفن سوداء اللون مقدمتها على شكل رأس الغراب[١٠٣]، وتستخدم لحمل الغزاة[١٠٤]. ومنها **"الطرائد"**، وهي سفن مفتوحة الخلف بأبواب تفتح وتغلق، وكانت معدة لحمل الخيول والغزاة، وأكثر ما كان يحمل فيها أربعون فرسا[١٠٥]، كما عرفت برايتها البيضاء و مثلت سفينة القائد الأعلى للأسطول الحربي المريني. ويذكر النميري أن أبا عنان، أمر أن "تصله **طريدة** قائد القواد(...) وسرعان ما جاءت **الطريدة العظيمة** ناشرة لأعلامها البيض"[١٠٦]. وفي سياق آخر، يذكر أن السلطان دعاه للركوب معه على متن**"الطريدة الكبيرة"**[١٠٧] ، **مما يوحي بكبر وضخامة حجمها.**

أما **الشواني**، فهي سفن حربية كبيرة أيضا، كانت تسير بمائة وأربعين مجدافا، وتختص في حمل المقاتلة والجدافون، وقد كانت من أهم قطع الأسطول الحربي المريني وحددت حمولتها من عدد المقاتلة، في مائة وخمسين رجلا[١٠٨].

ومن مكونات قطع الأسطول الحربي المريني أيضا، تذكر المصادر **الحراريق**، وهي مراكب حربية كبيرة، كانت تحمل تجهيزات وعتاد الجيش خاصة مكاحل البارود والعرادات والمنجنيقات، وترمي النفط المشتعل لتحرق به العدو، ومن ثمة كان اسمها الدال على وظيفتها، و لعل ما أورده دوزي في معجمه، حين ذكر **"حراقة نفط"** أو **"حراقة بارود"**[١٠٩]، دليل على ما ذهبنا إليه.

وفيما كانت **القراقير**(جمع قرقورة) من السفن العظيمة التي اختصت في حمل الزاد ونقل متاع الجند[١١٠] المريني، كانت **القوارب تختص في** خدمة الأسطول حتى سميت بعضها بقوارب الخدمة[١١١]. فضلا عن أنواع قطع أخرى من الأسطول الحربي، عرفت بمصطلح **الشيطي** وهو نوع من الغربان المعروف بسرعة تنقله[١١٢]. **والشلندي**[١١٣] المركب المسقف الذي يختص في حمل المقاتلة والسلاح ويعادل من حيث الأهمية الشيني والحراقة.

٢-خصائص الأسطول الحربي من خلال المصطلحات

يتضح من خلال رصد سياق ورود مصطلحات الأسطول الحربي المريني، تعدد مكوناته، فقطعه كانت كثيرة ومتنوعة، كما تميزت بإتقان صنعتها وألوانها السوداء وأشكالها الهلالية، وقد وصفت بأنها "لا تعرف فساد الوضع ولا فساد الاعتبار(...)عقيدة ألوانها الليلية(...) أصيلة النجر(...)، ملاقية الأهوال(...)هلالية الشكل(...)، تروع بالقوس الحوت، وتحمل الأسد ليروع العدو الممقوت"[١١٤].

وإذا كان النميري، قد صمت عن عدد قطع الأسطول العناني، فمن الراجح أنها كانت وافرة جدا، لا سيما إذا وضعنا في الحسبان عملية التحديث التي شهدها الأسطول الحربي بعد نكبة أسطول أبي الحسن في القيروان سنة ٧٤٩ه/١٣٤٨م[١١٥]، واستعمال المصادر لمصطلح **"دار الصنعة"** التي اختصت في عملية صناعة قطع الأسطول، ولا تعوزنا القرائن الدالة عن وفرة هذه القطع وتعدد أشكالها وألوانها، فقد أشار النميري إلى ضم أبي عنان، لما وجده ببجاية من السفن "عشية الوصول(...)إليها [حيث قصد] **دار صنعتها**(...) فتفقد ما وجد (...) هنالك من **الأجفان** وأمر بدفعها لقهر أهل البغي والعدوان"[١١٦].

وقد تميز الأسطول العناني بتجهيزه بكل أنواع الأسلحة والعتاد اللازم للقتال، من **الطبول والأبواق والأعلام والسيوف والرماح، والمجانيق والعرادات** القادفة **بالبارود،** فضلا عن أسلحة الطعن والرماية الخفيفة والأسلحة الواقية، ويصف النميري حمولة الأجفان العنانية بقوله "فما شوهد أبدع من تلك الأجفان السعيدة(...)قرعت طبولها(...) وعلت أصوات بوقاتها وأنفارها(...) وأتت من أنفاطها(...) مالئة بألهوبها بين الغرب والشرق"[١١٧].

كانت قطع الأسطول، تبدو في أحسن حلة، مزينة **بالأعلام"** كالعروس(...)مشحونة بالأبطال(...)من كل رام شهم(...)ومن رامح(...) ومن سائف(...)، قد لبسوا الحديد على الحديد، ورفعوا عقائرهم بالتحميد والتمجيد"[١١٨].

أما قيادة الأسطول، فكانت تسند لرجل محنك عارف بخبايا البحر، يعرف بمصطلح **"الملند"**[١١٩]، ولا غرو فقد احتاط المغاربة منذ أمد بعيد من البحر وأهواله، فضمنوا ذلك ضمن أمثالهم المتواترة[١٢٠]. واشتهر من قواد الأسطول المريني في عهد أبي عنان، الفقيه الخطيب أبي العباس ابن الخطيب قائد أسطول طنجة،

وأبي القاسم بن بنج قائد أسطول جبل الفتح[١٢١] وابن الأحمر "قائد القواد البحرية" [١٢٢] وغيرهم، حتى إن أصداء قوة الأسطول المريني ومهارة قائديه، بلغت المشرق والغرب الأندلسي[١٢٣] على حد سواء.

خاتمة

ومما سلف يمكن بسط الخلاصات التالية:

-إن مصطلحات العتاد الحربي المريني الواردة في المصادر العربية المنوه بها، جاءت وافرة ومتنوعة، مما يوحي بحجم قوة العتاد العسكري للدولة المرينية داخل الحوض المتوسطي، خاصة زمن السلطانين أبي الحسن (٧٤٩-٧٣١هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) وابنه أبي عنان (٧٤٩-٧٥٩ هـ/١٣٤٨-١٣٥٨م).

- إن تحديد دلالة المصطلحات الخاصة بالعتاد الحربي زمن بني مرين، يعد بحق إحدى مفاتيح فهم العديد من الجوانب المعتمة في التاريخ العسكري للمغرب الأقصى خلال هذه المرحلة.

-إن الدولة المرينية كانت على وعي بأهمية التحولات التقنية والعسكرية بالضفة الشمالية لحوض البحر المتوسط، لذلك سخرت كل جهودها لتوفير مختلف أنواع العتاد الحربي لأجنادها، من خلال إنشاء "دور الصنعة" أو "دور الإنشاء" المختصة في صناعة قطع الأسطول الحربي، وصنع الأسلحة الثقيلة.

-رغم استفادة الدولة المرينية من التجربتين المرابطية والموحدية في تجهيز جيوشها، وتقوية عتادها الحربي، فإنها أخفقت بعد ذلك، ولأسباب مختلفة، في تأسيس قاعدة صناعية حقيقية، تضمن لها مسايرة التطور التقني الأوربي، ومواكبة الركب الحضاري، ووقف المد المسيحي، الذي سرعان ما سينطلق بزعامة مملكتي قشتالة وأراغون لغزو السواحل المغربية ابتداء من مطلع القرن ٩هـ/١٥م.

-إن العديد من القضايا التي تخص التاريخ العسكري المغربي خلال الفترة الوسيطية، لا تزال في حاجة إلى إعادة القراءة والتمحيص، ولعل ذلك لن يتم إلا بفقه المصطلحات فهما وتحليلا، ومنها مصطلحات العتاد الحربي.

المراجع

(١) باستثناء بعض الإشارات الواردة في دراستي العلامة محمد المنوني ودراسة محمد حناوي و فليب كونتامين (Philippe Contamine) ، لا نكاد نجد دراسة وافية عن مصطلحات العتاد الحربي بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط. راجع: محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، منشورات كلية الآداب، الرباط سلسلة بحوث ودراسات، رقم ٢٠، ١٩٩٦، ص. ٩٧-١٠٧. محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.ص.٢٦٤ وما بعدها. محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٣م، ص.٢٤٩ وما بعدها.

- Contamine(Ph), la guerre au moyen âge, Paris, P.U.F, 1980.

- Contamine (Ph), « Le combattant dans l'occident médiéval » dans : Le Combattant au Moyen âge, Paris-Sorbonne, 1995,pp.15-23.

(٢) - صنف ابن خلدون الحروب إلى أربعة أنواع: " إثنان حروب بغي وفتنة كالحرب بين القبائل المتجاورة والعشائر المتناظرة، وإثنان حروب جهاد وعدل كحرب الدولة مع الخارجين عليها والمانعين لطاعتها"، أنظر :

- ابن خلدون، المقدمة، تصحيح وفهرسة ابو عبد الله السعيد المندوه، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٦م، المجلد ١،ص.٢٨٧.

(٣) - مجهول، البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق٣٢(ضمن مجموع) ، ص.٣٤.

(٤) - ابن خلدون، المقدمة، المجلد١،ص.٤٠٢.

(٥) - نفسه، المجلد١، ص.٢٧٢.

(٦) - نفسه، المجلد١، ص.٢٧٢.

(٧) - ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م، ص.٢٩٧.

(٨) - نفسه، ص.١٤٥.

(٩) - البكري، جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك، تحقيق الحجي علي عبد الرحمن، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٦٨ص.١٤٥.

(١٠) - نسبة إلى برديل، "وهي آخر بلاد الأندلس من جهة الشمال والشرق"، وقد عرفت الأندلس وخاصة إشبيلية بصناعة آلات الحرب "ويصنع بها ما يبهر العقول"، أنظر: المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ج١، ص.١٩١. الأندلس من نفح الطيب للمقري، تقديم نجاح العطار، أعده للنشر: عدنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،١٩٩٠، ص.٣٧٦.

(١١) - وأنظـر نمـاذج من أنـواع السيـوف حسـب شكـل مقابضـها عند:

- Contamine(Ph), le combattant au moyen âge, Paris, Sorbonne,1995, pp.15-23.

(١٢) - ابن هذيل، حيلة الفرسان وشعار الشجعان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧م، ص.٧٨.

(١٣) - نفسه، ص. نفسها.

(١٤) - العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م، ط١،ص ص.١١٠-١١١.

(١٥) - نفسه، ص ص.١١٠-١١١.

(١٦) - مجهول، البدائع والأسرار في حقيقة الرد والانتصار، مخطوط الخزانة العامة، الرباط، رقم: ق٣٢(ضمن مجموع) ، ص.١٨١.

(١٧) - الأنصاري السبتي، اختصار الأخبار عما كان بسبتة من سني الآثار، حققه عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٩م،ص ص.٥١-٥٢.

(١٨) - النميري، م س، ص.٢٢٥.

(١٩) - ابن هذيل، م س، ص.٨٨.

(٢٠) - ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في ماثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ص.٣٩٨-٣٩٩. ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار ملوك المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن والحواشي: خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٦، ص.٤٤٠.

(٢١) - الأنصاري السبتي، م س، ص ص.٥١-٥٢.

(٢٢) - العمري، م س، ص ص.١٤٧-١٤٨.

(٢٣) - ابن هذيل، م س، ص.٧٧.

(٢٤) - نفسه، ص.٧٤.

(٢٥) - النميري، م س، ص ص.٢٦٥ -٢٩٨-٣١١-٢٩٦-٢٧٣.

(٢٦) - نفسه، م س، ص.٢٩٥.

(٢٧) - نفسه، ص.٢٩٦.

(٢٨) - محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،١٩٧٧،ص.٢٦٤.

(٢٩) - رسائل موحدية مجموعة جديدة، تحقيق ودراسة محمد العزاوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، سلسلة نصوص ووثائق، رقم ٢،ط١،١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج٢، ص.٢٣٦.

(٣٠) - ابن خلدون، العبر، م س، ج٧، ص. ٢٤٨. الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، مراجعة: محمد حجي وإبراهيم بوطالب و أحمد التوفيق، منشورات وزارة الثقافة والاتصال،٢٠٠١ م، ج٤، ص.٤٠.

(٣١) - الناصري، م س، ج٤، ص.٤٠.

(٣٢) - النميري، م س، ص.٢٧٤.

(٣٣) - نفسه، ص ص.٢٧٤-٢٧٥.

(٣٤) - نفسه، ص.٢٧٤.

(٣٥) - نفسه، ص.٢٩٦.

(٣٦) - نفسه، ص.٢٨٨.

(٣٧) - نفسه، ص.٢٩٦ .

- ويبدو أن استعمال السلالم في الحصار لتسلق الأسوار العالية، هي تقنية كانت سائدة خلال العصر الموحدي ، فقد أمر عبد المومن أثناء حصار مراكش المرابطية سنة ٥٤١هـ "بعمل السلالم للسور، قسمها على القبائل فأحدقوا بالمدينة فدخلت هنتاتة من جهة باب دكالة ودخلت صنهاجة وعبيد المخزن من باب الدباغين". أنظر: ابن سماك العاملي، الحلل الموشية في أخبار الدولة المراكشية، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، البيضاء، ١٩٧٩م، ص. ١٠٤ .

(٣٨) - النميري، م س، ص.٢٩٨.

(٣٩) - نفسه، ص.٢٩٩.

(٤٠) - ويعرف هذا القائد باسم "عثمان بن علي بن أحمد الرياحي"، أنظر، نفسه، ص ص.٤١٥-٤١٩.

(٤١) - عن مقومات الجيش الموحدي، راجع: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس عصر المرابطين والموحدين،ق٢، عصر الموحدين وانهيار الأندلس الكبرى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢،١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص.٦٣٩-٦٤٠.

(٤٢) - النميري، م س، ص.٢٩٥.

(٤٣) - ابن خلدون، العبر، م س، ج٧، ص.٢٤٨. الناصري، م س، ج٤، ص. ٣٩- ٤٠.

(٤٤) - الناصري، م س، ج٤، ص.٣٩.

(٤٥) - النميري، م س، ص.٢٨٨.

(٤٦) - نفسه، ص.٢٧٣.

(٤٧) - نفسه، ص.٢٦٠.

(٤٨) - الناصري، م س، ج٤، ص.٣٩، الهامش رقم:٤٢.

- والجدير بالذكر أن البارود عند العرب، كان يعرف باسم "النار الإغريقية"، وعن العرب أخذها الإفرنج لتستعمل لأول مرة بأوربا في معركة(crecy-en-Pouthien) ، سنة٧٤٧هـ/١٣٤٦م.أنظر: أسعد داغر، حضارة العرب، تاريخهم-علومهم-آدابهم-أخلاقهم-عاداتهم، مطبعة هندية بالموسيكى، مصر١٣٣٢هـ/١٩١٨م، ص.٢٤١.

(٤٩) - المهاميز، مفردها مهماز وهي الأداة التي تستحث بها المطايا على الإسراع في السير، ويستعملها الراكب على الفرس وغيره، وكان منها ما يصنع من الذهب أو الفضة أو من الحديد، و صناع وباعة المهاميز يعرفون بمصلح المهامزيين. أنظر: محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص.٥٧٠.

(٥٠) - العمري، م س، ج٤، ص.١٣٠.

(٥١) - ابن مرزوق، م س، ص.١٣٠.

(٥٢) - نفسه، ص ص. ١٨٦-١٣٠-١٢٩.

(٥٣) - الحسن الوزان، - الوزان (الحسن)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد الأخضر ومحمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ج١،ص. ٢٩٠.

(٥٤) - نفسه، ج١، ص.٢٩٠.

(٥٥) - ملوطة: قلنسوة من نوع خاص فاخر، كما يتضح من سياق الورود. وأنظر أيضا: النميري، م س، ص.٣٠٥-هامش المحقق.

(٥٦) - نفسه، ص.٣٠٥.

(٥٧) - نفسه، ص.٣٠٥.

(٥٨) - نفسه.٢٢٣ -٢٢٥.

(٥٩) - النميري، م س،ص.٣٠١.

(٦٠) - نفسه،ص.٢٢٤.

(٦١) - المراكشي، سيرة أجود الأنجاد في مراتب الجهاد، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم ٥٩١٧، ص ص.٨١-٨٢.

- أيضا: محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط،٢٠٠٣، ص.٢٧١.

(٦٢) - ابن هذيل(علي بن عبد الرحمن بن هذيل الفزاري الأندلسي-ت بعد ٧٦٣هـ): حلية الفرسان وشعار الشجعان، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ١٩٩٧، ص.٨٧.

(٦٣) - نفسه، ص.نفسها.

(٦٤) - نفسه، ص.نفسها.

(٦٥) - أبو حامد الغرناطي، تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط١٤١٣،١هـ/١٩٩٣م، ص.٤١.

(٦٦) - النميري، م س، ص.٣٠٥.

(٦٧) - نفسه، ص.٣٥٢.

(٦٨) - والكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف، و الكشحان جانبا البطن من ظاهر وباطن، أنظر: ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٣/١٤٢٣م، المجلد:٧ ، ص.٦٦٨، مادة: كشح.

(٦٩) - النميري، م س، ص.٣٠٤.

(٧٠) - القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الاميرية، القاهرة، ١٩١م، ج٥، ص.٢٠٣.

(٧١) - النميري، م س، ص.٢٤٩.

(٧٢) - الوزان، م س، ج١،ص.٢٩١ .

(٧٣) - نفسه، ج١،ص.٢٩١.

(٧٤) - نفسه ، ج١، ص.٢٨٧.

(٧٥) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد١،ص.٢٧٣.

(٧٦) - ابن سماك العاملي، م س، ص.١١٥.

(٧٧) - الوزان، م س، ج١، ص.٢٨٨.

(٧٨) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد ١، ص.٢٧٥.

(٧٩) - النميري، م س، ص.٢٢٧.

(٨٠) - نفسه، ص ص.٢٢٦-٢٢٧.

(٨١) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد ١، ص.٣٢١.

(٨٢) - العمري ابن فضل الله، م س، ج٤، ص.١٣٠.

(٨٣) - ابن الحاج النميري، م س، ص.٢٢٣. الوزان، م س، ج١، ص.٢٨٨ .

(٨٤) - الوزان، م س، ج ١، ص.٢٨٨.

(٨٥) - نفسه، ج ١، ص.٢٨٨.

(٨٦) - ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد١، ص.٢٧٣.

(٨٧) - تاصوكايت نشيد حربي زناتي كان أفراد الجيش يرددونه في ساحة المعركة، إذ يتقدم الجيوش شخصا (شاعرا) يتولى المبادرة بالإنشاد مستعملا آلة موسيقية خاصة، ويدعى هذا الإنشاد "تاصوكايت". أنظر: المقدمة، المجلد:١، ص.٢٧٤. رضوان مبارك، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للنشر والتأليف والترجمة، مطابع سلا ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م، ج٦، ص.٢٠٦٦.

(٨٨) - العمري، م س، ج٤، ص.١٣٣.

(٨٩) - يبدو ذلك جليا من خلال محتوى القبتان فكان في"القبة الأولى (...)مصحف عثمان ابن عفان(...)أما القبة الأخرى ففيها صحيح البخاري وصحيح مسلم، أحسن ما ألف في الحديث". أنظر: ابن الحاج النميري، م س، ص ص.٢٢٥-٢٢٦.

(٩٠) - ابن خلدون، العبر، م س، ج٧،ص.٣٥٧.

(٩١) - ابن الحاج النميري، م س، ص.٤٩٧.

(٩٢) - ابن ابي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ١٩٧٣م، ص.١٣٠.

(٩٣) - ابن الحاج النميري، م س، ص.٤٩٨.

(٩٤) - نفسه، ص.٤٩٨.

(٩٥) - الوزان، م س، ج١، ص.٢٨٧.

(٩٦) - تذكر المصادر أن "أساطيل أبي الحسن[كانت] نحو الستمائة قطعة، فغرقت كلها، ونجا هو على لوح، وهلك من كان معه من أعلام المغرب(...) وكان غرق الأسطول على ساحل تدلس بين بجاية والجزائر" سنة٧٤٩ هـ. أنظر: ابن خلدون، العبر، م س، ج٧، ص.٣٦٥. الناصري، م س، ج٤، ص ص .١٦٠-١٦١.

(٩٧) - محمد حناوي، النظام العسكري بالأندلس في عصري الخلافة والطوائف، دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ط،٢٠٠٣، ص.٣٤١.

(٩٨) - عبد الفتاح عبادة، سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال، مصر، ١٩١٣، ص.٣.

(٩٩) - نفسه، ص. نفسها.

(١٠٠) - ابن الحاج النميري، م س، ص.٢٧٦.

(١٠١) - نفسه، ص.٣٥٤.

(١٠٢) - إبراهيم حركات، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، إفريقيا الشرق، البيضاء، ١٩٩٦م، ص.١٨٥.

(١٠٣) - عبد الفتاح عبادة، م س، ص.٧.

(١٠٤) - محمد المنوني، ورقات عن حضارة بني مرين، منشورا كلية الآداب، الرباط، ١٩٩٦م، ص.١١٠.

(١٠٥) - ويمكن التمييز بين مصطلح الطريدة (جمع طرائد) الوارد عند النميري، والطرادة (جمع طرادات) ، والطرادة سفينة حربية صغيرة الحجم، سريعة الجري، أنظر: عبد الفتاح عبادة، م س، ص.٦.

(١٠٦) - ابن الحاج النميري، م س، ص.٢٧٧.

(١٠٧) - نفسه، ص.٢٧٧.

(١٠٨) - مصطفى أبو ضيف، تاريخ الغرب الإسلامي من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، دار النشر المغربية، البيضاء، ١٩٨٥، ص.٤٢٢.

(١٠٩) - دوزي(رينهارت)، معجم القواميس العربية، نقله إلى العربية وعلق عليه، محمد سليم النعيمي، دار الرشيد للنشر، العراق، ط١، ١٤٠١/١٩٨١، المجلد:٣،ج،ص.١٣٧.

- ويبدو أن الحراقات هي من السفن الحربية التي استعملها العرب منذ فترات مبكرة من تاريخهم لأغراض متعددة منها نقل الخليفة المأمون العباسي(ت٢١٨هـ) لضيوفه عبر نهر دجلة "فكانت الحراقات المعدة لذلك ثلاثين ألفا".أنظر: ابن خلدون، المقدمة، م س، ج١،ص١٨٣. عبد الفتاح عبادة، م س، ص.٥.

(١١٠) - عبد الفتاح عبادة، م س، ص.٦.

(١١١) - نفسه، ص.٦.

(١١٢) - أنظر: ابن الحاج النميري، م س، هامش المحقق رقم ٣٦٢، ص.٣٤١.

(١١٣) - عبد الفتاح عبادة ، م س، ص.٣٦-٣٧.

- أيضا: مصطفى أبو ضيف، م س، ص.٤٢٢.
- أيضا: أرشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، القاهرة(دون تاريخ)، ص.٣٢٥.
- ويبدو أن هذا المصطلح قديم، فقد عرف في اللاتينية باسم chalandium: واسترجعه العرب عن طريق التعريب، فقالوا شلندي، وهي مراكب حربية لحمل المقاتلة والسلاح وتعادل في الأهمية الشيني والحراقة، أنظر: عبد الفتاح عبادة، م س، ص.٦.

(١١٤) - نفسه، ص.٢٧١.

(١١٥) - ابن خلدون، العبر، ج٧، ص.٣٦٥.

(١١٦) - نفسه، ص.٢٦٦.

(١١٧) - نفسه، ص.٢٧٣

(١١٨) - ابن الحاج النميري، م س، ص ص. ٢٧٢- ٢٧٣.

(١١٩) - أورد ابن خلدون قائلا: " الملند بتفخيم اللام منقولا من لغة الفرنجة(...)وإنما اختصت هذه المرتبة بملك إفريقية والمغرب، لأنهما جميعا على صفة البحر الرومي من جهة الجنوب"، أنظر: ابن خلدون، المقدمة، م س، المجلد١، ص.٢٦٦.

(١٢٠) - فقالوا ضمن أشعارهم: ثلاثة ليس لها أمان *** البحر والسلطان والزمان. المقري، نفح الطيب، م س، ج١، ص.٤٦.

(١٢١) - ابن الحاج النميري، م س، ص ص .٢٧٧-٢٧٠-٣٤١- المنوني، ورقات، م س، ص.١١٢.

(١٢٢) - نفسه، ص.٢٧٠.

(١٢٣) - محمد المنوني، ورقات، م س، ص ص.١٠٨-١٠٩.

الدكتور صالح محروس محمد محمد

أستاذ مشارك الجامعة الإسلامية بمنيسوتا الأمريكية

salehmahrous@gmail.com

Received: ١٢/١٢/٢٠٢٣

Revised: ٢٦/١٢/٢٠٢٣

Accepted: ١٥/١/٢٠٢٤

Published:٢٥/١/٢٠٢٤

التنافس البريطاني الإيطالي على جزر حنيش اليمنية في النصف الأول من القرن العشرين دراسة وثائقية

الملخص

توجد جُزر حنيش أمام الساحل المواجه لمدينة الخوخة الشهيرة، ويعد الأرخبيل أقرب الجزر اليمنية إلى الممرات الدولية إلى مضيق باب المندب مما أكسبها أهمية استراتيجية التي كانت سببا في التنافس البريطاني الإيطالي في السيطرة عليها في النصف الأول من القرن العشرين طبقا لملف وثائقي من الأرشيف البريطاني .

فاستخدمت بريطانيا معاهدة لوزان ١٩٢٣ من أجل السيطرة على الجُزر دون إعلام إيطاليا حتى لا تقتسمها معها لإن المادة ١٦ من لوزان لم تحدد إلى من تؤول هذه الجزر.

توثق الدراسة من خلال الوثائق البريطانية مخاوف الحكومة البريطانية من محاولات الحكومة الإيطالية لترسيخ نوع من السيطرة غير الرسمية على جزر مُعينة. وكانت خطة الحكومة الإيطالية لإنشاء منارة على جزيرة هايكوك الجنوبية الغربية تشكل مطالبة بالسيادة على الجزيرة. إنشاء قواعد عسكرية إيطالية على جُزُر حنيش وجزيرة جبل زقر. وأوضحت الدراسة تقارير عن محاولات قامت بها القواعد العسكرية الإيطالية لحصر صيد الأسماك واللؤلؤ في المياه المجاورة على مراكب الداو الشراعية التي لديها ترخيص من عَصَب. وبعد هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية انتهى النفوذ الايطالي على اريتريا وسارت حنيش تحت السيطرة البريطانية حتى استقلال اليمن الجنوبي نوفمبر ١٩٦٧م.

الكلمات المفتاحية: جزر حنيش- البحر الأحمر – اليمن – بريطانيا – إيطاليا

Abstract

The Hanish Islands are located in front of the coast facing the famous city of Al-Khokha, and the archipelago is the closest of the Yemeni islands to the international passages to the Bab al-Mandab Strait, which gave it strategic importance, which was the cause of the British-Italian competition to control it in the first half of the twentieth century, according to a documentary file from the British archive.

Britain used the Lausanne Treaty of ١٩٢٣ to control the islands without informing Italy so that it would not share them with it, because Article ١٦ of Lausanne did not specify who these islands would belong to.

The study documents through British documents the British government's fears of the Italian government's attempts to establish some form of informal control over certain islands. The Italian government's plan to establish a lighthouse on the southwestern island of Haycock constituted a claim to the island. Establishment of Italian military bases on Hanish Islands and Jabal Zuqar Island. The study revealed reports of attempts made by the Italian military bases to limit fishing and pearl fishing in the neighboring waters to dhows that have a license from Assab. After the defeat of Italy in World War II, Italian influence over Eritrea ended, and Hanish marched under British control until the independence of South Yemen in November ١٩٦٧.

key words Hanish Islands - Red Sea - Yemen - Britain - Italy

مقدمة الدراسة :

كانت الهيمنة على العالم في القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الثانية من نصيب البريطانيين وبطبيعة الحال كان السيطرة على البحر الأحمر من أهدافها لأهميته في طريق التجارة بين الشرق والغرب، مستغلة حالة الضعف التي كانت عليها الدولة العثمانية في نهاية القرن التاسع عشر فقد عرفت بالرجل المريض وكان لإيطاليا تواجد في اريتريا، لأهمية جُزر حنيش الاستراتيجية زاد التنافس البريطاني الإيطالي عليها. فاستغلت بريطانيا معاهدة لوزان مع الدولة العثمانية من أجل السيطرة على الجُزر اليمنية دون أعلام إيطاليا حتى لا تقتسمها معها لإن المادة ١٦ من لوزان لم تحدد إلى من تؤول هذه الجزر. والحقيقة أن الحديث عن جزر حنيش والمادة العلمية عنها قليلة ولقد حصل الباحث على تسعة وثائق من الأرشيف البريطاني توثق الصراع الاستعماري بين بريطانيا وإيطاليا على هذه الجزر، وتوثق مخاوف الحكومة البريطانية من محاولات الحكومة الإيطالية لترسيخ نوع من السيطرة غير الرسمية على بعض جزر حنيش. ورصدت الدراسة الخطة الحكومة الإيطالية لإنشاء منارة على جزيرة هايكوك الجنوبية الغربية لتطالب بالسيادة على الجزيرة، وأيضا إنشاء قواعد عسكرية إيطالية على جُزُر حنيش وجزيرة جبل زقر. مخاوف عبّرت عنها الأميرالية ووزارة الخارجية البريطانية من أن إنشاء هذه القواعد ربما يكون محاولة من الحكومة الإيطالية لفرض حقوق سيادتها على الجزر. مدى ما تمثله معاهدة لوزان (١٩٢٣) أو محادثات روما لسنة ١٩٢٧ (بين بريطانيا وإيطاليا) باعتبارها أساسًا للطعن في أية مطالبة إيطالية بالسيادة على الجزر. ولقد كتب السياسيين البريطانيين عن محاولات قامت بها العسكرية الإيطالية لحصر صيد الأسماك واللؤلؤ في المياه المجاورة على مراكب الداو الشراعية التي لديها ترخيص من عَصَب.

مشكلة الدراسة :

حاولت الدراسة أن تجيب عن عدة أسئلة، أسباب التنافس الاستعماري البريطاني الايطالي على جزر حنيش اليمنية ؟ هل وقعت جزر حنيش اليمنية تحت الاحتلال البريطاني ؟ هل نجحت إيطاليا في فرض نفوذها على بعض جزر حنيش ؟ بماذا انتهى التنافس البريطاني الايطالي على جزر حنيش

أهمية الدراسة :

تعد هذه الدراسة أول دراسة وثائقية عن التنافس البريطاني الايطالي على جزر حنيش اليمنية ذات الأهمية الاستراتيجية في البحر الأحمر بالقرن من السواحل اليمنية ومضيق عدن .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى إظهار الأهمية الاستراتيجية لجزر حنيش اليمنية، ورغبة بريطانيا في إبعاد أي قوى عنها لأنها في طريق التجارة بين الشرق والغرب والطريق إلى مضيق عدن ثم المحيط الهندي. وأيضا اظهرت الأطماع الايطالية في التواجد على هذه الجزر ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية .

منهج البحث:

استخدم الباحث المنهج التاريخي التحليلي النقدي القائم على عرض الوقائع والأحداث التاريخية المستند على الوثائق والمراجع التاريخية واستنباط الحقائق منها وما يترتب عليها من نتائج من خلال الشرح والتفسير والتحليل والمقارنة. وهي دراسة تحليلية تاريخية للتنافس البريطاني الايطالي على جزر حنيش اليمنية .

أولًا- التعريف بجزر حنيش وأهميتها الاستراتيجية:

جزر حنيش توجد أمام الساحل المواجه لمدينة الخوخة الشهيرة، ويعد الأرخبيل أقرب الجزر اليمنية إلى الممرات الدولية إلى مضيق باب المندب وهذه الجزر تختلف عن بعضها من حيث بعدها عن الساحل.(١) ؛ مما أكسبها أهمية استراتيجيه. ويتألف هذا الأرخبيل من : جزيرة حنيش الكبرى ، وجزيرة حنيش الصغرى، وجزيرة زقر ، بالإضافة إلى بعض الجزر الصغيرة مثل : - جزيرة القمة - جزيرة الدارعيل - جزيرة المشاجرة -جزيرة هايكوك - جزيرة كوين- جزيرة المدوره الشمالية -جزيرة المدورة- جزيرة الصخر- جزيرة القمتين -جزيرة الوسطي -جزيرة سيول حنيش

موقع جزر حنيش

تقع جزر أرخبيل حنيش جنوب البحر الأحمر في المياه الإقليمية للجمهورية اليمنية ، وتبعد عن الساحل اليمني بمسافة تتراوح بين ١٨-٢٨ ميلاً بحرياً، في السواحل المواجه لمدينة الخوخة التي تقع على بعد ١٣٠ كم جنوب مدينة الحديدة، وعلى بعد ٤٠ كم شمال مدينة المخا. أهم هذه الأرخبيل جزيرة حنيش الكبرى التي تقع جنوب جزيرة حنيش الصغرى وتبعد عنها بمسافة (٣.٥) ميلاً بحرياً على خط عرض ١٣.٤٤˚ درجة شمال خط الاستواء وخط طول ٤٢.٥٤˚ درجة شرق خط جرينتش، وتبعد عن الخوخة بحوالي (٢٦) ميلاً بحرياً غرباً، كما تبعد الجزيرة عن الساحل اليمني بحوالي (٢٦) ميلاً بحرياً، وتبلغ مساحتها (٦٥) كم٢ وتتكون الجزيرة من مرتفعات جبلية صخرية في معظم المساحة، وتقع بعض المنخفضات في عدة أماكن من الجزيرة وأعلى مرتفع في الجزيرة يصل إلى حوالي (٤٣٠) متراً. أما جزيرة حنيش الصغرى هي عبارة عن جزيرة بركانيه صخرية، وتتواجد بها العديد من السلاسل الجبليه على طول الجريرة ، كما يتواجد في وسط الجريرة جبل شديد التضاريس والوعورة، يبلغ ارتفاعه ٤١٥ متر فوق مستوى سطح البحر ، وتوجد عليها العديد من التلال التي تقطعها أوديه عميقة تنحدر نحو البحر ، ويغطى سواحلها ترسبات شاطئيه ، وغرين وطين ورواسب نهريه وديانيه ، وجزء كبير من الجريرة تغطيه رواسب المتكونة من الرماد البركاني وتقع جنوب جزيرة زقر على بعد (١٠) أميال بحرية شمال شرق جزيرة حنيش الكبرى، وتبلغ مساحتها حوالي (٩) كم٢، وتبعد عنها مسافة (٢) ميلاً بحرياً، وتبعد عن الخوخة بمسافة (٢٦) ميلاً بحرياً شمال غرب، وعن الساحل اليمني مسافة (٢٠.٥) ميلاً بحرياً. ويتواجد الصيادون اليمنيون في جزر أرخبيل حنيش الذين يأتون من الساحل اليمني القريب ويقطنون هذه الجزر لعدة أشهر في فصل الصيف. هذه الجزيرة تتشابه في تركيبها الجيولوجي مع جزيرة حنيش الكبرى ومن الجزر التي تحيط بها هي جزيرة المنخفضة والتي تقع شرق هذه الجزيرة. ومن الجزر المهمة أيضًا جزيرة جبل زقر : تقع جنوب غرب جزيرة أبو علي وتبعد عنها مسافة (٢.٥) ميلاً بحرياً، عند خط عرض ١٤٠٠˚ درجة شمال خط الاستواء وخط طول ٤٥.٤٢ درجة شرق جرينتش، وتبعد عن الساحل اليمني مسافة (٣٣) كم، وتبلغ مساحتها حوالي (١٢٠) كم. أما جزيرة سيول حنيش فتقع جنوب جزيرة حنيش الكبرى وتبعد عنها مسافة (٢.٧) ميلاً بحرياً، وتبعد عن الساحل اليمني مسافة (٣٠) ميلاً بحرياً، وتبلغ مساحتها حوالي (٣) كم^{٢}. كما يضم أرخبيل حنيش جزراً أخرى مثل: (الصخر، المستديرة، هايكوك، الدراعيل، المنخفضة، اللسان، الغربية، القرش، جزيرة أبو علي، المرتفعة العادية).

يتأمن الوصول إلى جزر أرخبيل حنيش عبر الطرق البحرية، حيث تتصل بكل المراسي في الشواطئ الساحلية بجزر أرخبيل حنيش مدينة الخوخة، وقرية قطابا وقرية موشج والمناطق المجاورة، كما يتأمن الوصول إلى جزر أرخبيل حنيش عن طريق الموانئ البحرية اليمنية التالية: ميناء المخا: الذي يقع على بعد (٤٠) كم جنوب ساحل مدينة الخوخة. ميناء الحديدة: الذي يقع على بعد (١٣٠) كم شمال ساحل مدينة الخوخة. ميناء عدن: الذي يقع على بعد (٣٤٠) كم جنوب شرق ساحل مدينة الخوخة. و توجد أربعة مطارات دولية تخدم الوصول إلى جزر أرخبيل حنيش وهي: - مطار الحديدة الدولي: الذي يقع على بعد (١٣٠) كم شمال ساحل مدينة الخوخة. - مطار تعز الدولي: الذي يقع على بعد (١٨٠) كم جنوب شرق ساحل مدينة الخوخة. - مطار عدن الدولي، الذي يقع على بعد (٣٤٠) كم جنوب شرق ساحل مدينة الخوخة. - مطار صنعاء الدولي: الذي يقع على بعد (٣٨٤) كم شمال ساحل مدينة الخوخة. كما يتم ربط الساحل اليمني بطريق استراتيجي جديد (جاري تنفيذه) هو الطريق الساحلي الدولي الذي يربط الشريط الساحلي اليمني بالدولتين الشقيقتين الجارتين المملكة العربية السعودية عبر ميدي بمحافظة حجة، وسلطنة عمان عبر مدينة حوف بمحافظة المهرة. و تعتبر جزر أرخبيل حنيش من أجمل المناطق البحرية للغوص ومؤهلة لاجتذاب السياح لجمال الطبيعية البحرية تحت سطح البحر، وجمال الشعاب المرجانية الموجودة، ولوفرة وتنوع الأسماك فيها. (٢)

ثانيًا- بريطانيا وجزر حنيش ومعاهدة لوزان(٣)

مع دخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى في مايو ١٩١٥شعرت وزارة الخارجية البريطانية بالقلق لإنها كانت تدرك اهتمام إيطاليا بالساحل الشرقي للبحر الأحمر فوجد الانجليز ضرورة سرعة احتلال هذه الجزر وتم بالفعل في ٦ يوليو ١٩١٥ فاستولوا على حنيش وزقر وكمران وأنزلت الجنود الانجليز بها واستمر ذلك لمدة شهرين ثم تم سحب الجنود والاكتفاء برفع العلم البريطاني ومراقبته بالدورية البحرية البريطانية (٤)

الحقيقة ما كُتب عن هذه الجزر قليل رغم أهميتها الاستراتيجية لكن الارشيف البريطاني به الكثير من الوثائق التي تناولت هذه الجزر . ففي الوثيقة رقم (١) التي أرخت بتاريخ العاشر من ديسمبر ١٩٣٥م تقرير بعنوان جزر حنيش الكبرى يوضح التنافس البريطاني الايطالي عليها . سأل اللورد لويد عما إذا كان جزر حنيش الكبرى في البحر الأحمر ضمن احتلال بريطانيا العظمى..ورد عليه (إيرل ستان الأمل) وكيل وزارة

الخارجية للشؤون الأجنبية: أن جزر حنيش والسيطرة عليها غير محدد بموجب المادة ١٦ من معاهدة لوزان ، الفقرة الأولى منها (تتخلى تركيا بموجب هذه المادة عن جميع الحقوق في الجزر الواقعة خارج الحدود المذكورة في المعاهدة الحالية والجزر بخلاف تلك التي لها سيادتها عليها معترف بها في المعاهدة المذكورة ، و هذه الأراضي والجزر يجري تسويتها من قبل الأطراف المعنية " وذكرت الوثيقة إنشاء موقع مسلح إيطالي صغير(قاعدة عسكرية) على جزر حنيش الكبرى في ديسمبر ١٩٢٩ من أجل حماية دوات الصيد. ويقوم سكان إريتريا بالصيد عليها. وفي عام ١٩٣١ ، قامت الحكومة الإيطالية ، في استجابة لطلب من جلالة الملك الحكومة ، أعطت تأكيدا مرضيا أن إنشاء الشركة الإيطالية والتواجدعلى هذه الجزر لا يعني المطالبة الإيطالية بهذه الجزر نفسها. (٥)

ويسأل اللورد لويد The Lord Lloyd وزير الخارجية سؤال ولا يريد الاجابة الشفهية. اللورد لويد - للتساؤل عما إذا كانت جزر حنيش الكبرى في البحر الأحمر تحت الاحتلال الانجليزي ، وكم مدة ذلك. (٦)

ثالثًا- الوجود الإيطالي في زاقر وحنيش:

وفق الوثائق البريطانية تواجدت إيطاليا في جزيرة زاقر وحنيش وكان لها قاعدة عسكرية في زقر وشركة صيد عليها أيضا مما أثار مخاوف الإنجليز من زيادة النفود الإيطالي .

وفي خطاب احتجاج بريطانيا عن التواجد الايطالي في جزيرة جبل زقر ارسله جي دبليو ريندي G.W. RENDEL إلى مجلس اللوردات البريطاني وأسل نسخة منه لمكتب الهند ووزارة الدفاع والمستعمرات بخصوص احتتاج الحكومة البريطانية على الايطاليين لانهم ينبنوا موقع غير مطابق للتعليمات وأنهم يريدون تقنيين وضعهم الدولي في جزر حنيش وفق ذلك. (٧)

وردت الحكومة الايطالية برسالة رقم ٤٥١ ٠ أبلغت الانجليز رسميًا ذلك المنشور الإيطالي في جبل الزقر تبنى موقفًا م غير مطابق للتعليمات ". أكدوا لي أن صيادي إيطاليا في المستقبل في مجموعة جزر حنيش سيكونوا وفق وضعهم الدولي والتصرف وفقاً لذلك. (٨)

وفي وثيقة أخرى تحدثت عن تواجد الشركة الايطالية لصيد الاسماك في جزيرة جبل زاقر. (٩) وحددت الوثيقة رقم (٦) هدف التواجد الايطالي في جبل زاقر وجزر حنيش الكبرى وظيفتهم هي حماية قوارب

الصيد العاملة هناك في المنطقة وفق امتياز الصيد ، الذي يغطي معظم الساحل الإريتري الذي تم منحه لإيطاليا يؤكد التواجد الايطالي انتشار اللغة الايطالية بهما -(١٠)

وفي الوثيقة رقم (٧)وجود قوات عسكرية ايطالية على حنيش لحماية سفن الصيد الايطالية وبريطانية تترقب لها (١١)وفي الوثيقة رقم (٨)يوضح ما قالت إيطاليا عن أن جبل زاقر ملكية إيطاليه . (١٢) جدير بالذكر أن إرتريا الإيطالية أول مستعمرة لمملكة إيطاليا. تم إنشاؤها في عام ١٨٩٠ (ولكن تم قيام أولى المستوطنات الإيطالية في عام ١٨٨٢ حول عصب واستمرت رسميا حتى عام بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية ١٩٤٧.

في الوثيقة رقم (٩) توضح أن لا الإيطالين ولا البريطانيين لهم حق في هذه المنطقة وفق معاهدة لوزان يقول أن جزيرة جبل الزقر في الجنوب البحر الأحمر ، كما هو الحال بالنسبة لبعض الجزر الأخرى في نفس المنطقة ، تقع بين الموقعين على معاهدة لوزان ، و لا نحن ولا الإيطاليين لدينا صالح المطالبة الدولية بهم. من جهة أخرى من ناحية ، كان الإيطاليون يحاولون ذلك يثبتوا أنفسهم بشكل غير رسمي على مختلف الجزر المعنية ، ولا سيما جزر حنيش ، والتمثيلات لديها نيابة عن الحكومة الإيطالية. فكانت الشكوى لانجليز للفت انتباه الحكومة الإيطالية لعدم التوسع في هذه الجزر ، وهذا ضروري الخطوات التي اتخذها لمنع تكرارها. . (١٣)

وفي الوثيقة رقم (١٠)ترد الخارجية البريطانية أنه لا يوجد مبرر قانوني لمحاولات تقييد هؤلاء الصيادين الإيطاليين حيث يصطادوا الأسماك واللؤلؤ في المياه المجاورة على مركب شراعي يحمل تصريحًا من عصب * مما يضر بالمصالح التجارية البريطانية . (١٤)

رابعًا- نتائج التنافس البريطاني الايطالي على جزر حنيش من خلال الوثائق البريطانية:

١- أهمية جُزر حنيش الاستراتيجية مما زاد من التنافس البريطاني الإيطالي عليها وأن السيادة الأكبر عليها كان لبريطانيا

٢- استخدمت بريطانيا معاهدة لوزان من أجل السيطرة على الجُزر دون أعلام إيطاليا حتى لا تقتسمها معها لأن المادة ١٦ من لوزان لم تحدد إلى من تؤول هذه الجزر.

٣- توثق مخاوف الحكومة البريطانية من محاولات الحكومة الإيطالية لترسيخ نوع من السيطرة غير الرسمية على جزر مُعينة. و كانت خطة الحكومة الإيطالية لإنشاء منارة على جزيرة هايكوك الجنوبية الغربية تشكل مطالبة بالسيادة على الجزيرة. إنشاء قواعد عسكرية إيطالية على جُزُر حنيش وجزيرة جبل زقر. مخاوف عبّرت عنها الأميرالية ووزارة الخارجية من أن إنشاء هذه القواعد ربما يكون محاولة من الحكومة الإيطالية لفرض حقوق سيادتها على الجزر. مدى ما تمثله معاهدة لوزان (١٩٢٣) أو محادثات روما لسنة ١٩٢٧ (بين بريطانيا وإيطاليا) باعتبارها أساسًا للطعن في أية مطالبة إيطالية بالسيادة على الجزر. تقارير عن محاولات قامت بها القواعد العسكرية الإيطالية لحصر صيد الأسماك واللؤلؤ في المياه المجاورة على مراكب الداو الشراعية التي لديها ترخيص من عَصَب.

٤- بعد هزيمة ايطاليا في الحرب العالمية الثانية انتهى النفوذ الايطالي على اريتريا وسارت حنيش تحت السيطرة البريطانية حتى استقلال اليمن الجنوبي نوفمبر ١٩٦٧م

٥- بعد ذلك حدث نزاع الحدود اليمنية-الإريترية هو نزاع وقع بين اليمن وإريتريا على جزيرة حنيش في البحر الأحمر، استمر القتال فيها من ١٥ ديسمبر ١٩٩٥ إلى ١٧ ديسمبر ١٩٩٥. في ١٩٩٨ أعلنت لجنة التحكيم الدائمة، أن أرخبيل حنيش ينتمي لليمن.

المراجع

١) موقع مقاتل في الصحراء
http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/Siasia٢/karn-Afric/sec١٥.doc_cvt.htm

٢) المركز الوطني للمعلومات اليمن https://yemen-nic.info/tourism_site/this_site/

٣) أطلق على تلك المعاهدة الجديدة معاهدة لوزان الثانية، تمييزا لها عن معاهدة لوزان الأولى "اتفاقية أوشي" التي أُبرمت بين إيطاليا والدولة العثمانية في ١٨ أكتوبر/تشرين الأول عام ١٩١٢. كانت معاهدة لوزان الثانية هي شهادة الوفاة الرسمية للدولة العثمانية على المستوى القانوني الدولي، وميلاد الجمهورية التركية المعاصرة في عام ١٩٢٣، قبل حدث إعلان إلغاء الخلافة الإسلامية العثمانية الشهير في عام ١٩٢٤. تألّفت معاهدة لوزان من ١٤٣ مادة، تتعلق بتنظيم وضع تركيا الدولي الجديد، وترتيب علاقتها بدول الحلفاء المنتصرين في الحرب، ورسم الجغرافيا السياسية لتركيا الحديثة وتعيين حدودها مع اليونان وبلغاريا، وتنازل الدولة التركية النهائي عن ادعاء أي حقوق سياسية ومالية وأي حق سيادي في الشام والعراق ومصر والسودان وليبيا وقبرص، بجانب تنظيم استخدام المضايق البحرية التركية في وقت الحرب والسلم. معاهدة لوزان. فرسمت لوزان حدود ومعالم الجغرافيا السياسية للشرق الأوسط بكامله خلال العقود التالية لتوقيع تلك المعاهدة. فحدّدت معاهدة لوزان مصير سكان المنطقة وفق مبدأين رئيسيين هما: تكريس الحدود السياسية الوطنية، ومبدأ الجنسية الذي ارتبط بـ "هوية" الدول الجديدة التي أنشأتها المعاهدة، أو نتجت منها، أو رسمت حدودها باعتبارها بديلا عن الجنسية العثمانية السابقة. في هذا السياق تم وضع لبنان وسوريا تحت الانتداب الفرنسي، وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطاني.انظر الترجمة الكاملة للمعاهدة في عادل رفيق :النص الكامل لمعاهدة لوزان ١٩٢٣ المعهد المصري للدراسات اغسطس ٢٠٢٠

٤) سيد مصطفى سالم : البحر الأحمر والجزر اليمنية تاريخ وقضية دار الميثاق صنعاء ٢٠٠٦ ص ١٠٨

٥) انظر الوثيقة رقم ١ بملحق البحث تقرير عن التواجد البريطاني والإيطالي على جزر حنيش الكبرى IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

٦) انظر الوثيقة رقم ٢ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

٧) انظر الوثيقة رقم ٣ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

٨) انظر الوثيقة رقم ٤ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

٩) انظر الوثيقة رقم ٥ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

١٠) انظر الوثيقة رقم ٦ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

١١) انظر الوثيقة رقم ٧ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

١٢) انظر الوثيقة رقم ٨ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

١٣) انظر الوثيقة رقم ٩ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

١٤) انظر الوثيقة رقم ١٠ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

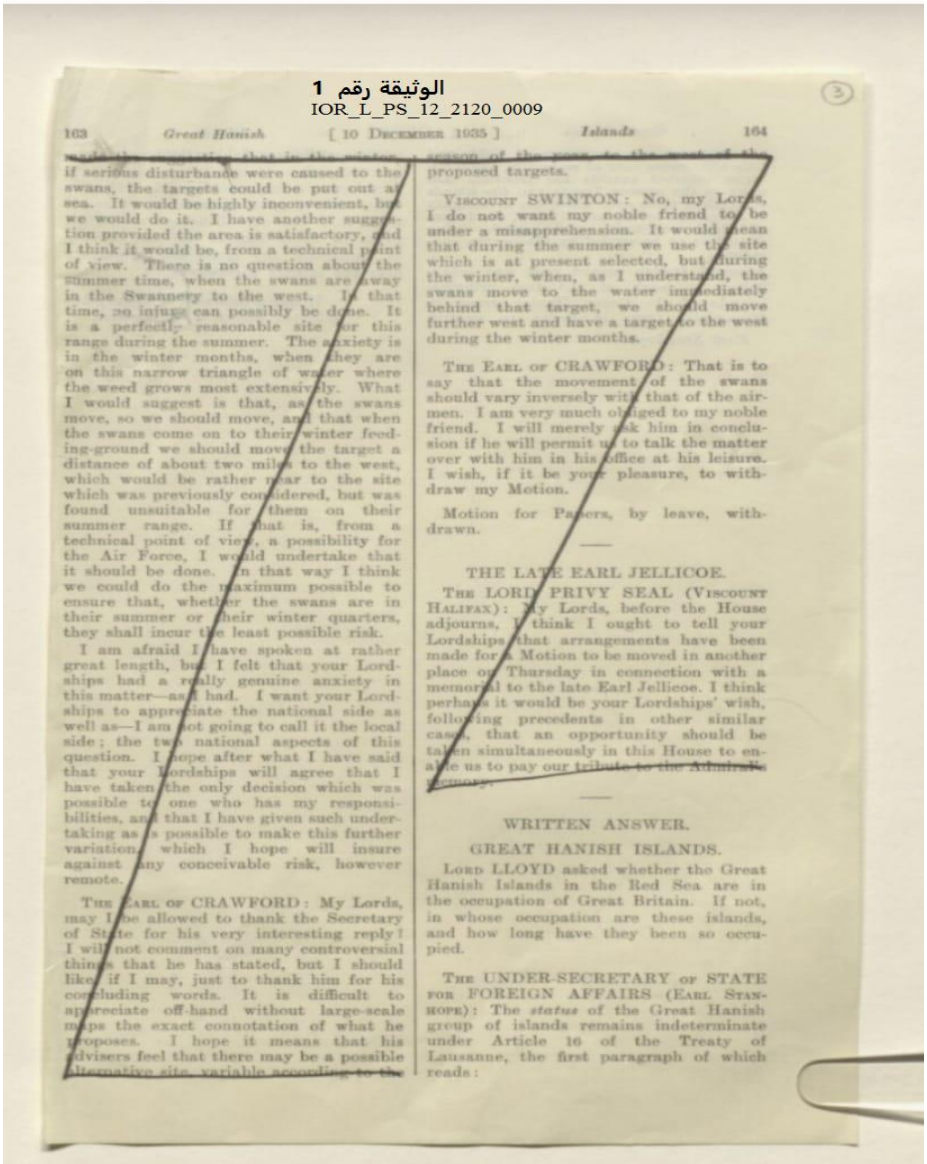

الوثيقة رقم 1
IOR_L_PS_12_2120_0009

163 *Great Hanish* [10 DECEMBER 1935] *Islands* 164

if serious disturbance were caused to the swans, the targets could be put out at sea. It would be highly inconvenient, but we would do it. I have another suggestion provided the area is satisfactory, and I think it would be, from a technical point of view. There is no question about the summer time, when the swans are away in the Swannery to the west. In that time, no injury can possibly be done. It is a perfectly reasonable site for this range during the summer. The anxiety is in the winter months, when they are on this narrow triangle of water where the weed grows most extensively. What I would suggest is that, as the swans move, so we should move, and that when the swans come on to their winter feeding-ground we should move the target a distance of about two miles to the west, which would be rather near to the site which was previously considered, but was found unsuitable for them on their summer range. If that is, from a technical point of view, a possibility for the Air Force, I would undertake that it should be done. In that way I think we could do the maximum possible to ensure that, whether the swans are in their summer or their winter quarters, they shall incur the least possible risk.

I am afraid I have spoken at rather great length, but I felt that your Lordships had a really genuine anxiety in this matter—as I had. I want your Lordships to appreciate the national side as well as—I am not going to call it the local side; the two national aspects of this question. I hope after what I have said that your Lordships will agree that I have taken the only decision which was possible to one who has my responsibilities, and that I have given such undertaking as is possible to make this further variation, which I hope will insure against any conceivable risk, however remote.

THE EARL OF CRAWFORD: My Lords, may I be allowed to thank the Secretary of State for his very interesting reply? I will not comment on many controversial things that he has stated, but I should like, if I may, just to thank him for his concluding words. It is difficult to appreciate off-hand without large-scale maps the exact connotation of what he proposes. I hope it means that his advisers feel that there may be a possible alternative site, variable according to the proposed targets.

VISCOUNT SWINTON: No, my Lords, I do not want my noble friend to be under a misapprehension. It would mean that during the summer we use the site which is at present selected, but during the winter, when, as I understand, the swans move to the water immediately behind that target, we should move further west and have a target to the west during the winter months.

THE EARL OF CRAWFORD: That is to say that the movement of the swans should vary inversely with that of the airmen. I am very much obliged to my noble friend. I will merely ask him in conclusion if he will permit us to talk the matter over with him in his office at his leisure. I wish, if it be your pleasure, to withdraw my Motion.

Motion for Papers, by leave, withdrawn.

THE LATE EARL JELLICOE.

THE LORD PRIVY SEAL (VISCOUNT HALIFAX): My Lords, before the House adjourns, I think I ought to tell your Lordships that arrangements have been made for a Motion to be moved in another place on Thursday in connection with a memorial to the late Earl Jellicoe. I think perhaps it would be your Lordships' wish, following precedents in other similar cases, that an opportunity should be taken simultaneously in this House to enable us to pay our tribute to the Admiral. [illegible]

WRITTEN ANSWER.

GREAT HANISH ISLANDS.

LORD LLOYD asked whether the Great Hanish Islands in the Red Sea are in the occupation of Great Britain. If not, in whose occupation are these islands, and how long have they been so occupied.

THE UNDER-SECRETARY OF STATE FOR FOREIGN AFFAIRS (EARL STANHOPE): The *status* of the Great Hanish group of islands remains indeterminate under Article 16 of the Treaty of Lausanne, the first paragraph of which reads:

الوثيقة رقم ١ ٠٠٠٩_٢١٢٠_١٢_IOR_L_PS

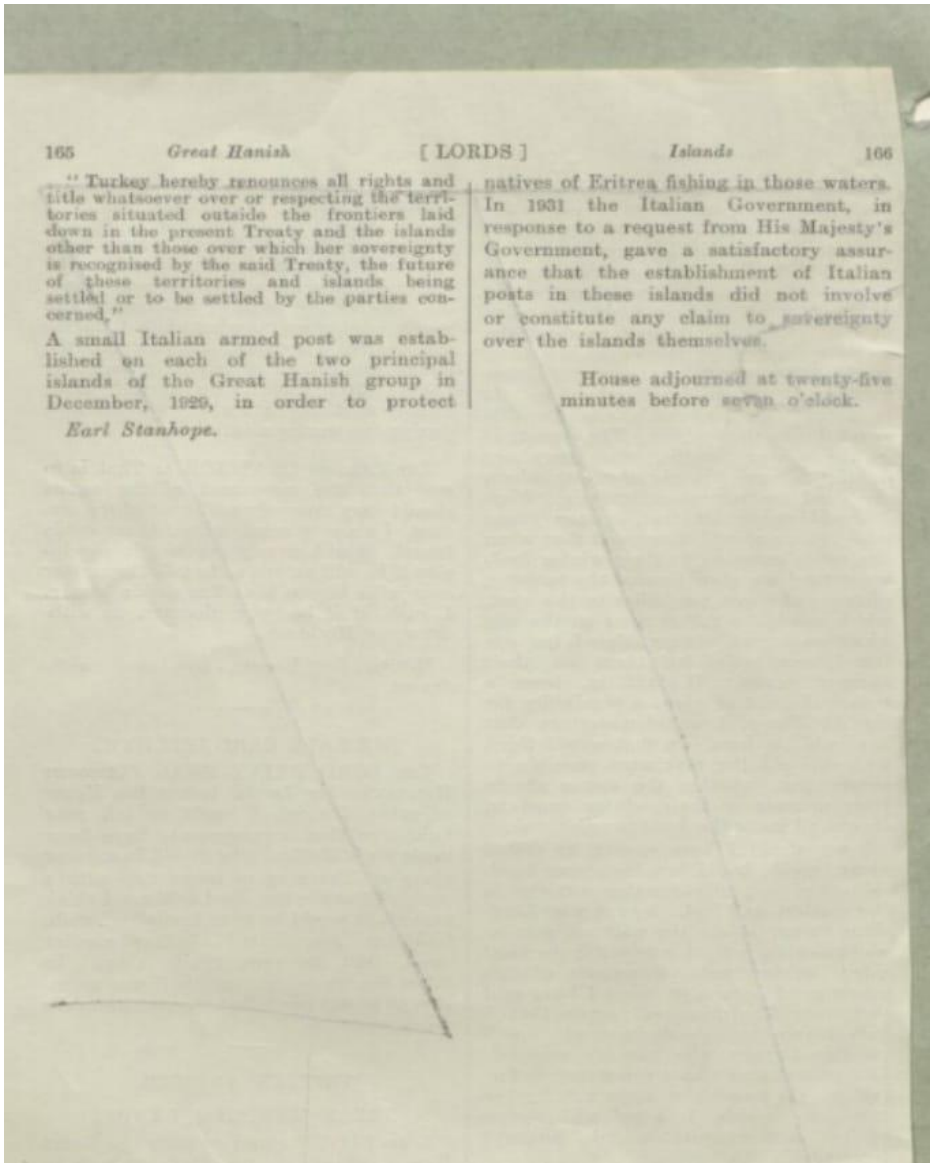

165 *Great Hanish* [LORDS] *Islands* 166

"Turkey hereby renounces all rights and title whatsoever over or respecting the territories situated outside the frontiers laid down in the present Treaty and the islands other than those over which her sovereignty is recognised by the said Treaty, the future of these territories and islands being settled or to be settled by the parties concerned."

A small Italian armed post was established on each of the two principal islands of the Great Hanish group in December, 1929, in order to protect natives of Eritrea fishing in those waters. In 1931 the Italian Government, in response to a request from His Majesty's Government, gave a satisfactory assurance that the establishment of Italian posts in these islands did not involve or constitute any claim to sovereignty over the islands themselves.

Earl Stanhope.

House adjourned at twenty-five minutes before seven o'clock.

تابع الوثيقة رقم ١ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

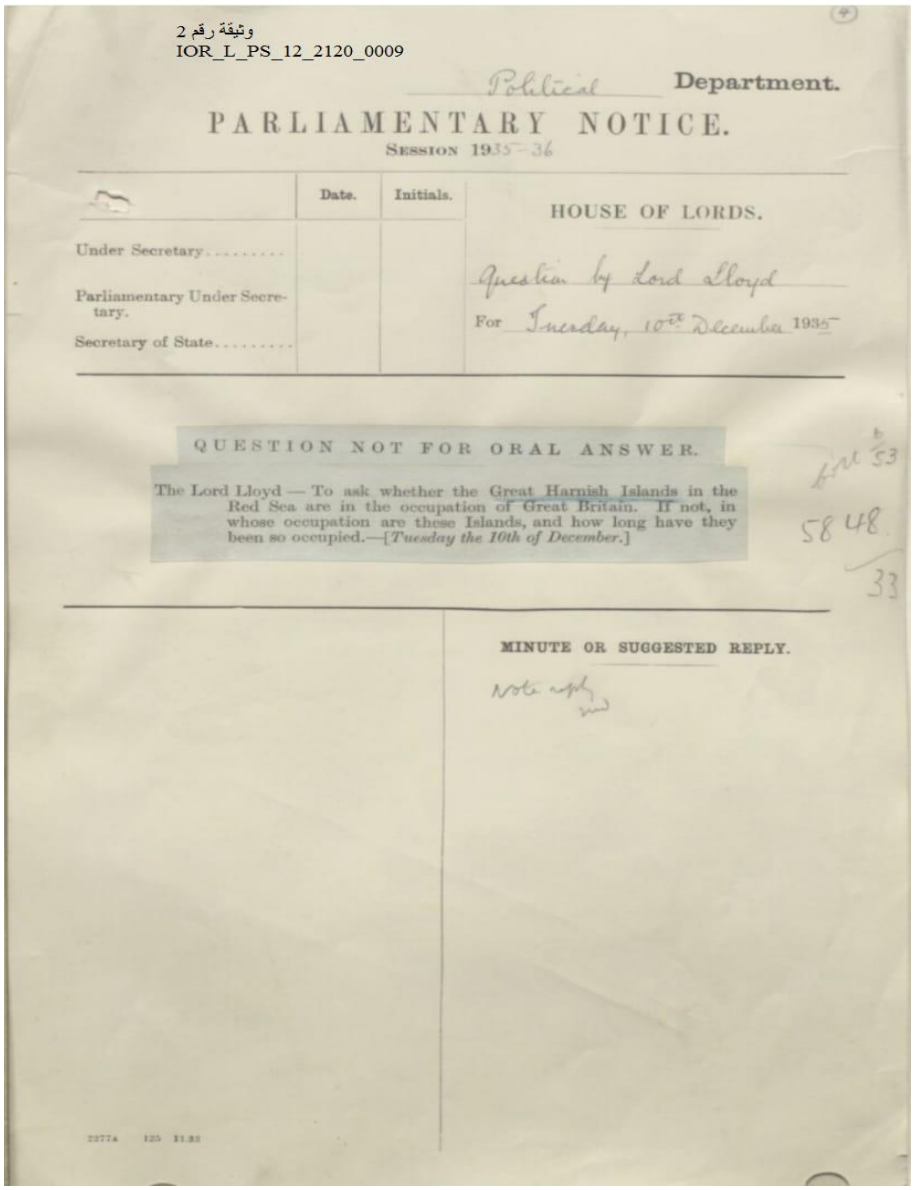

وثيقة رقم 2
IOR_L_PS_12_2120_0009

Political Department.

PARLIAMENTARY NOTICE.

SESSION 1935-36

	Date.	Initials.
Under Secretary.....		
Parliamentary Under Secretary.		
Secretary of State.....		

HOUSE OF LORDS.

Question by Lord Lloyd

For Tuesday, 10th December 1935

QUESTION NOT FOR ORAL ANSWER.

The Lord Lloyd — To ask whether the Great Harnish Islands in the Red Sea are in the occupation of Great Britain. If not, in whose occupation are these Islands, and how long have they been so occupied.—[*Tuesday the 10th of December.*]

MINUTE OR SUGGESTED REPLY.

Note sent

2377A 125 11.35

الوثيقة رقم ٢ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

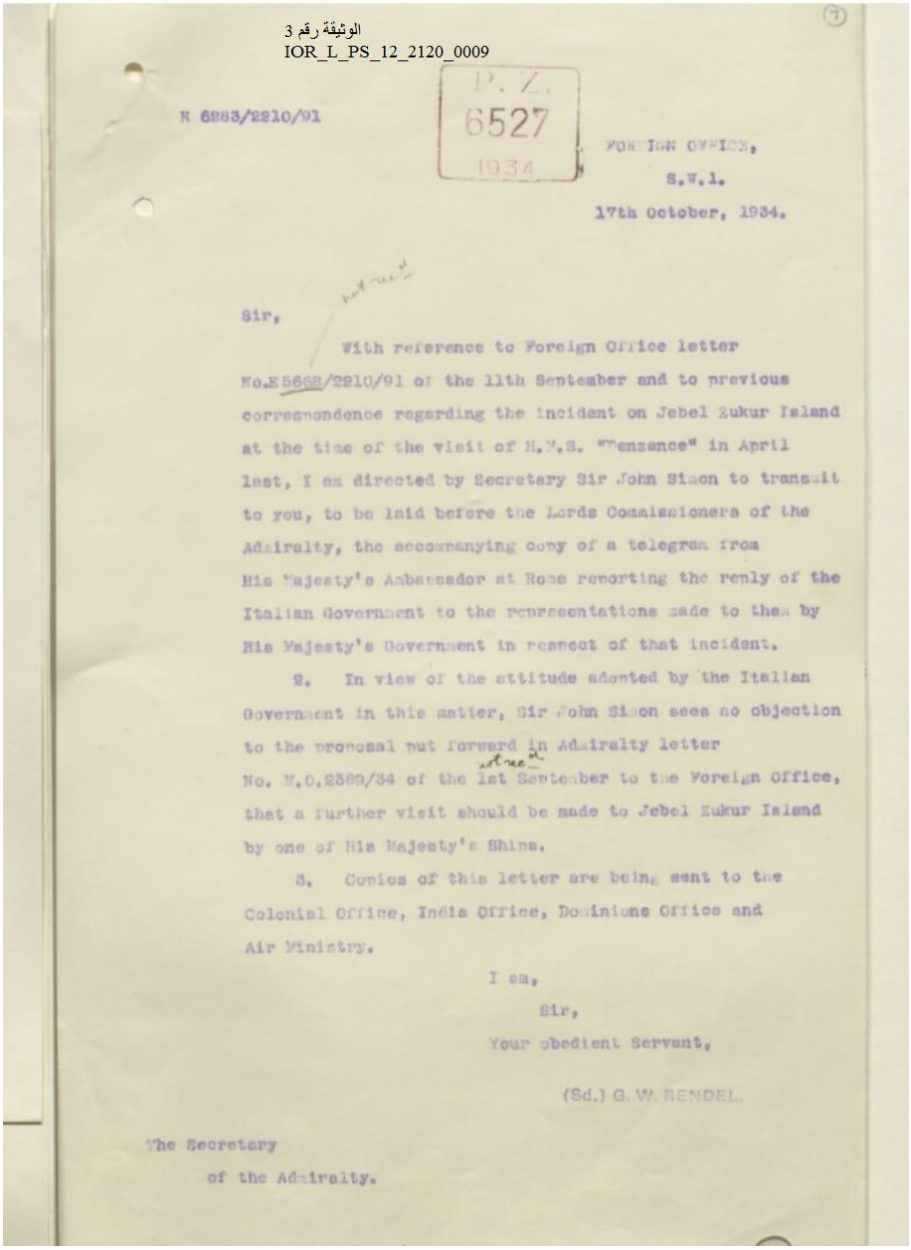

الوثيقة رقم 3
IOR_L_PS_12_2120_0009

P. Z.
6527
1934

R 6283/2210/91

FOREIGN OFFICE,
S.W.1.
17th October, 1934.

Sir,

With reference to Foreign Office letter No.E 5668/2210/91 of the 11th September and to previous correspondence regarding the incident on Jebel Zukur Island at the time of the visit of H.M.S. "Penzance" in April last, I am directed by Secretary Sir John Simon to transmit to you, to be laid before the Lords Commissioners of the Admiralty, the accompanying copy of a telegram from His Majesty's Ambassador at Rome reporting the reply of the Italian Government to the representations made to them by His Majesty's Government in respect of that incident.

2. In view of the attitude adopted by the Italian Government in this matter, Sir John Simon sees no objection to the proposal put forward in Admiralty letter No. M.O.2389/34 of the 1st September to the Foreign Office, that a further visit should be made to Jebel Zukur Island by one of His Majesty's Ships.

3. Copies of this letter are being sent to the Colonial Office, India Office, Dominions Office and Air Ministry.

I am,
Sir,
Your obedient Servant,

(Sd.) G. W. RENDEL.

The Secretary
of the Admiralty.

الوثيقة رقم ٣ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

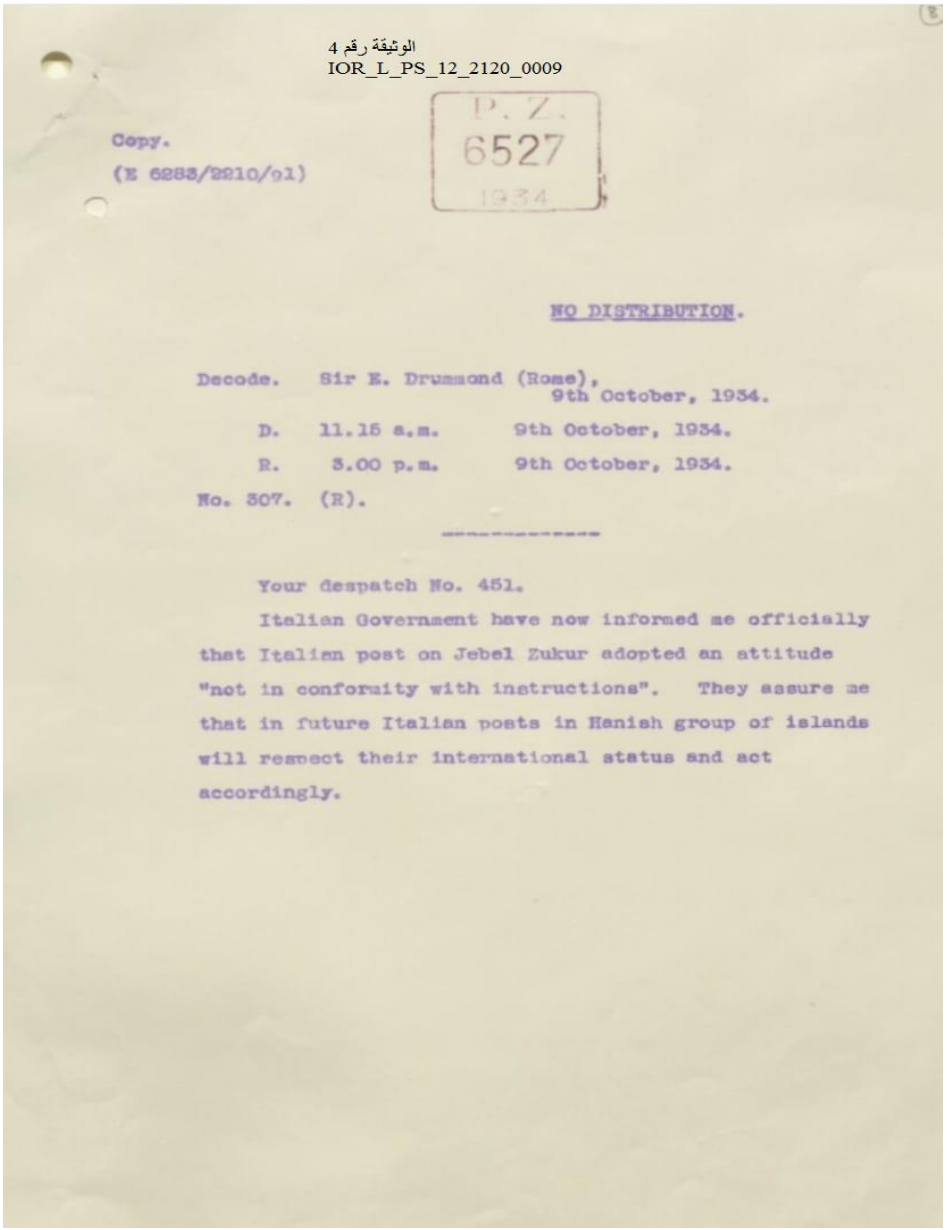

الوثيقة رقم 4
IOR_L_PS_12_2120_0009

P. Z.
6527
1934

Copy.
(E 6283/2210/91)

NO DISTRIBUTION.

Decode. Sir E. Drummond (Rome),
9th October, 1934.

D. 11.15 a.m. 9th October, 1934.

R. 3.00 p.m. 9th October, 1934.

No. 307. (R).

Your despatch No. 451.

Italian Government have now informed me officially that Italian post on Jebel Zukur adopted an attitude "not in conformity with instructions". They assure me that in future Italian posts in Hanish group of islands will respect their international status and act accordingly.

الوثيقة رقم ٤ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

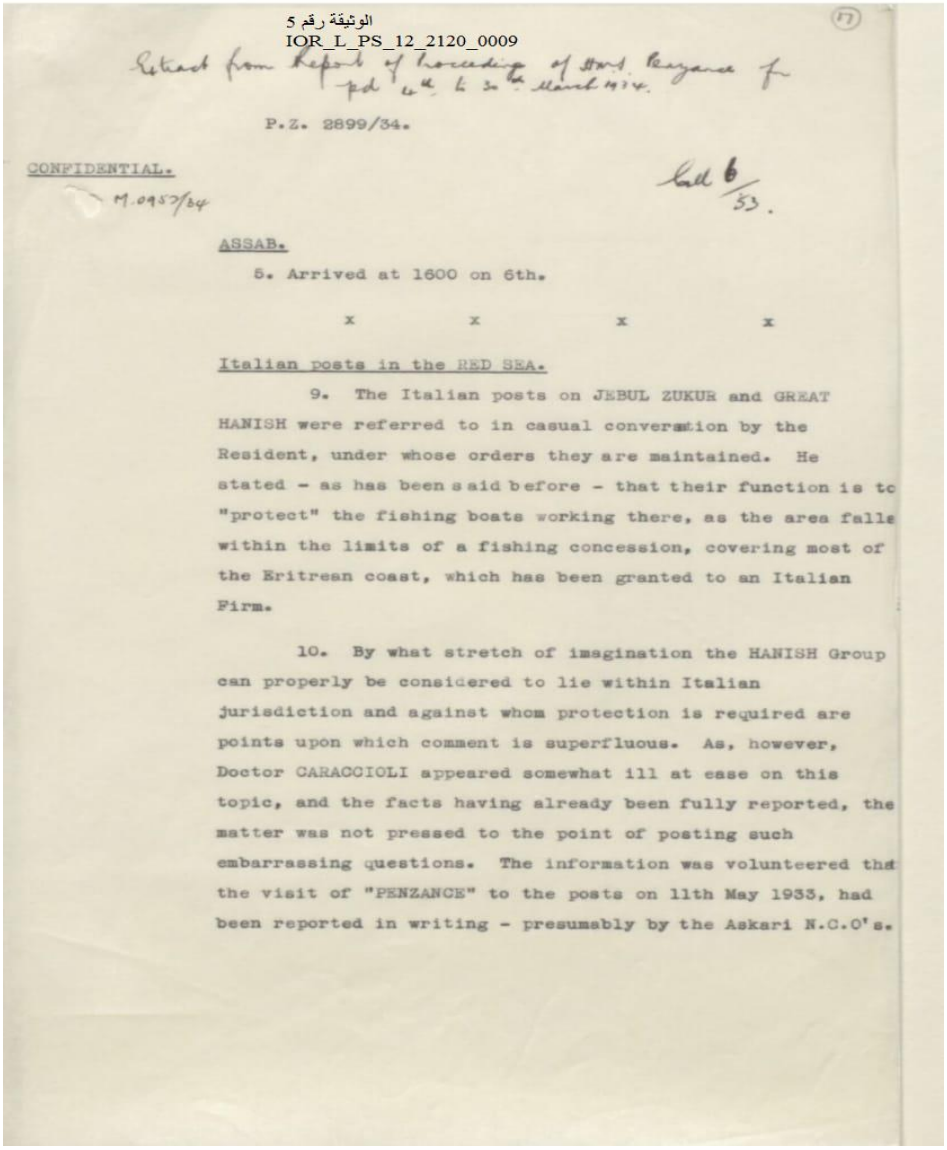

الوثيقة رقم 5
IOR_L_PS_12_2120_0009

Extract from Report of Proceedings of H.M.S. Penzance for period 4th to 30th March 1934.

P.Z. 2899/34.

CONFIDENTIAL.

M.0957/34

Call 6/53.

ASSAB.

5. Arrived at 1600 on 6th.

x x x x

Italian posts in the RED SEA.

9. The Italian posts on JEBUL ZUKUR and GREAT HANISH were referred to in casual conversation by the Resident, under whose orders they are maintained. He stated - as has been said before - that their function is to "protect" the fishing boats working there, as the area falls within the limits of a fishing concession, covering most of the Eritrean coast, which has been granted to an Italian Firm.

10. By what stretch of imagination the HANISH Group can properly be considered to lie within Italian jurisdiction and against whom protection is required are points upon which comment is superfluous. As, however, Doctor CARACCIOLI appeared somewhat ill at ease on this topic, and the facts having already been fully reported, the matter was not pressed to the point of posting such embarrassing questions. The information was volunteered that the visit of "PENZANCE" to the posts on 11th May 1933, had been reported in writing - presumably by the Askari N.C.O's.

الوثيقة رقم ٥ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

الوثيقة رقم 6
IOR_L_PS_12_2120_0009

(13)

COPY.

FROM THE COMMANDING OFFICER, H.M.S. CALCUTTA, AT HANKOW.

Dated 4th May 1934. No.6/127.

TO THE COMMANDER IN CHIEF, THE NORE.
(Copies to:- The Commander-in-Chief, China.
The Rear Admiral, Yangtse.)

---

* * * *

10. On reaching Jebel Zukur it was observed that the Italian Post (Fishing Company) was still on the island. The Post is situated on the foreshore of the small sandy bay between Near Island and the main land of Jebel Zukur Island (see Chart 453). It is not visible from the westward or south-westward.

* * * *

(Signed) E.Rotherham.

CAPTAIN.

ENCLOSURE IN WEEKLY LETTER
No. 27 5 JUL 1934

الوثيقة رقم ٦ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

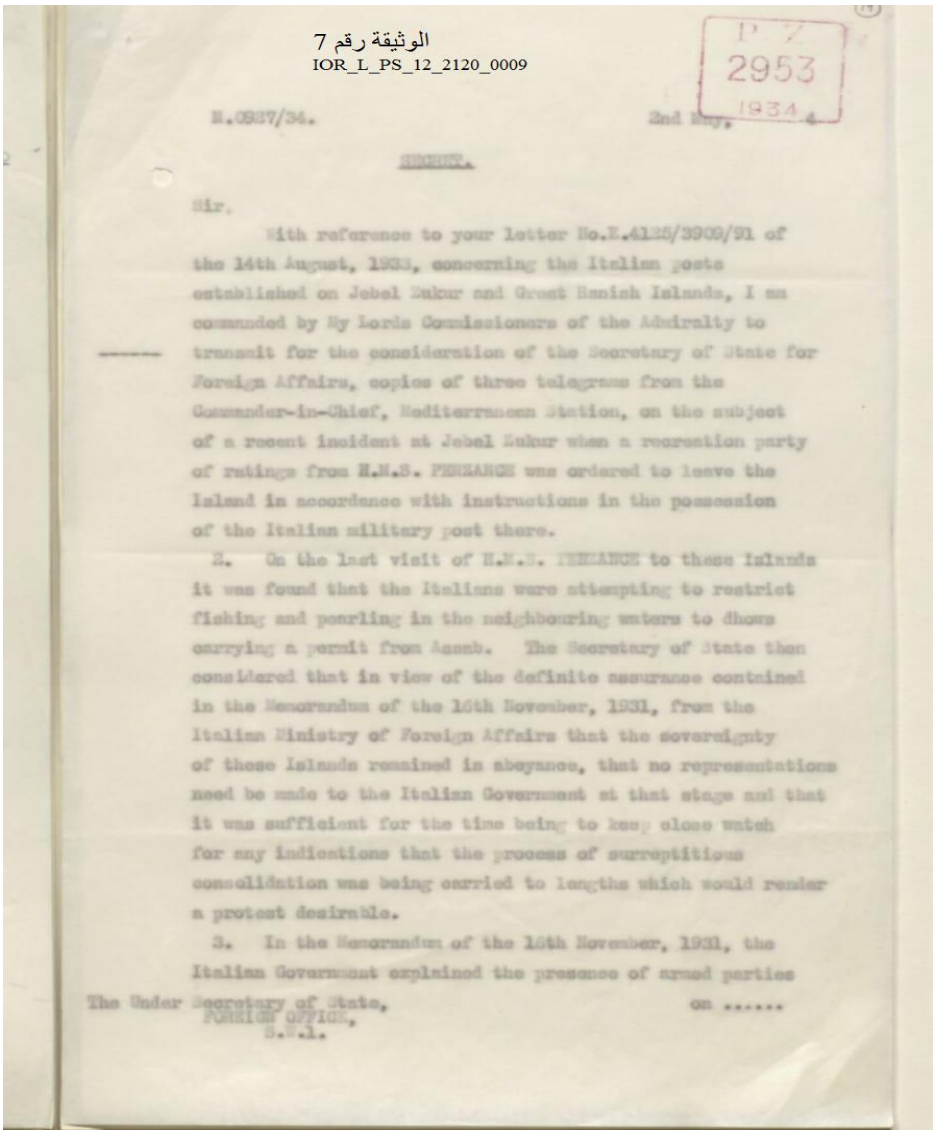

الوثيقة رقم 7
IOR_L_PS_12_2120_0009

P.Z.
2953
1934

E.0927/34. 2nd May,

SECRET.

Sir,

With reference to your letter No.E.4125/3909/91 of the 14th August, 1933, concerning the Italian posts established on Jebel Zukur and Great Hanish Islands, I am commanded by My Lords Commissioners of the Admiralty to transmit for the consideration of the Secretary of State for Foreign Affairs, copies of three telegrams from the Commander-in-Chief, Mediterranean Station, on the subject of a recent incident at Jebel Zukur when a recreation party of ratings from H.M.S. PENZANCE was ordered to leave the Island in accordance with instructions in the possession of the Italian military post there.

2. On the last visit of H.M.S. PENZANCE to these Islands it was found that the Italians were attempting to restrict fishing and pearling in the neighbouring waters to dhows carrying a permit from Assab. The Secretary of State then considered that in view of the definite assurance contained in the Memorandum of the 16th November, 1931, from the Italian Ministry of Foreign Affairs that the sovereignty of these Islands remained in abeyance, that no representations need be made to the Italian Government at that stage and that it was sufficient for the time being to keep close watch for any indications that the process of surreptitious consolidation was being carried to lengths which would render a protest desirable.

3. In the Memorandum of the 16th November, 1931, the Italian Government explained the presence of armed parties

The Under Secretary of State, on .....
FOREIGN OFFICE,
S.W.1.

الوثيقة رقم ٧ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

الوثيقة رقم 8
IOR_L_PS_12_2120_0009

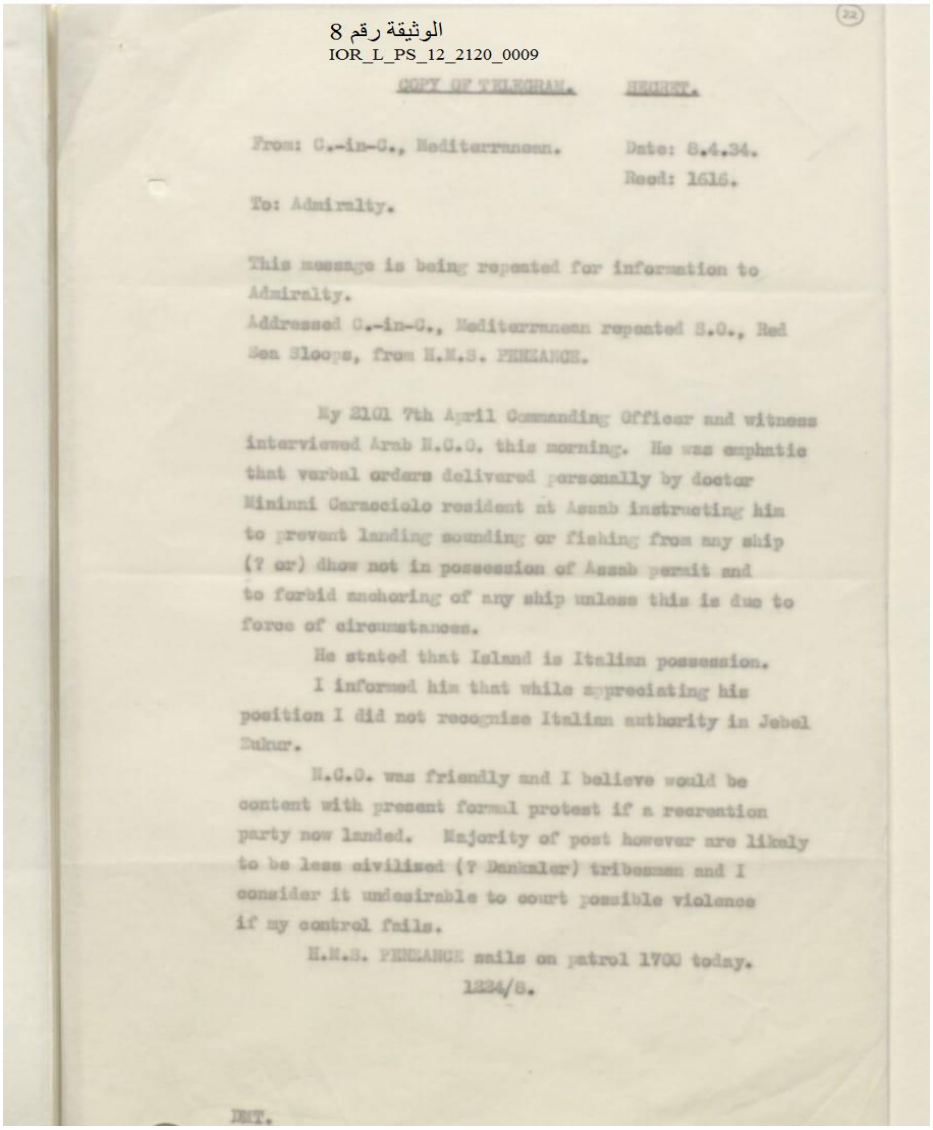

COPY OF TELEGRAM. SECRET.

From: C.-in-C., Mediterranean. Date: 8.4.34.
Rcvd: 1616.

To: Admiralty.

This message is being repeated for information to Admiralty.
Addressed C.-in-C., Mediterranean repeated S.O., Red Sea Sloops, from H.M.S. PENELOPE.

My 2101 7th April Commanding Officer and witness interviewed Arab H.C.O. this morning. He was emphatic that verbal orders delivered personally by doctor Mininni Carnaciolo resident at Assab instructing him to prevent landing sounding or fishing from any ship (? or) dhow not in possession of Assab permit and to forbid anchoring of any ship unless this is due to force of circumstances.

He stated that Island is Italian possession.

I informed him that while appreciating his position I did not recognise Italian authority in Jebel Dukur.

H.C.O. was friendly and I believe would be content with present formal protest if a recreation party now landed. Majority of post however are likely to be less civilised (? Danakler) tribesmen and I consider it undesirable to court possible violence if my control fails.

H.M.S. PENELOPE sails on patrol 1700 today.

1234/8.

DBT.

الوثيقة رقم ٨ ٠٠٠٩_١٢_٢١٢٠_IOR_L_PS

وثيقة رقم 9
IOR_L_PS_12_2120_0009

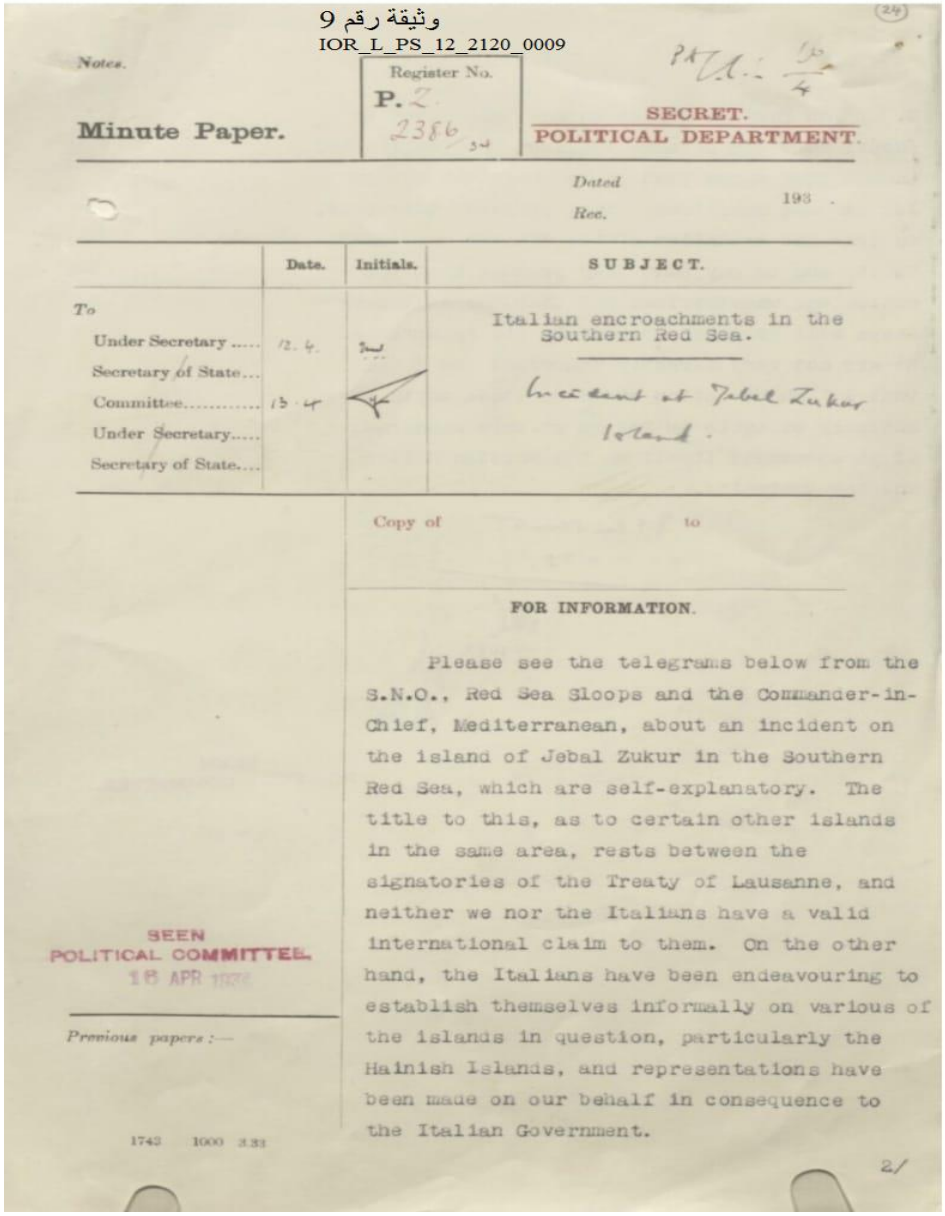

Notes.

Minute Paper.

Register No. P. 2386/34

SECRET. POLITICAL DEPARTMENT.

Dated

Rec. 193 .

	Date.	Initials.	SUBJECT.
To			Italian encroachments in the Southern Red Sea.
Under Secretary	12.4.		Incident at Jebel Zukur Island.
Secretary of State...			
Committee.....	13.4		
Under Secretary.....			
Secretary of State....			

Copy of to

FOR INFORMATION.

Please see the telegrams below from the S.N.O., Red Sea Sloops and the Commander-in-Chief, Mediterranean, about an incident on the island of Jebal Zukur in the Southern Red Sea, which are self-explanatory. The title to this, as to certain other islands in the same area, rests between the signatories of the Treaty of Lausanne, and neither we nor the Italians have a valid international claim to them. On the other hand, the Italians have been endeavouring to establish themselves informally on various of the islands in question, particularly the Hainish Islands, and representations have been made on our behalf in consequence to the Italian Government.

SEEN
POLITICAL COMMITTEE.
15 APR 1926

Previous papers :—

1743 1000 3.31

2/

الوثيقة رقم ٩ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

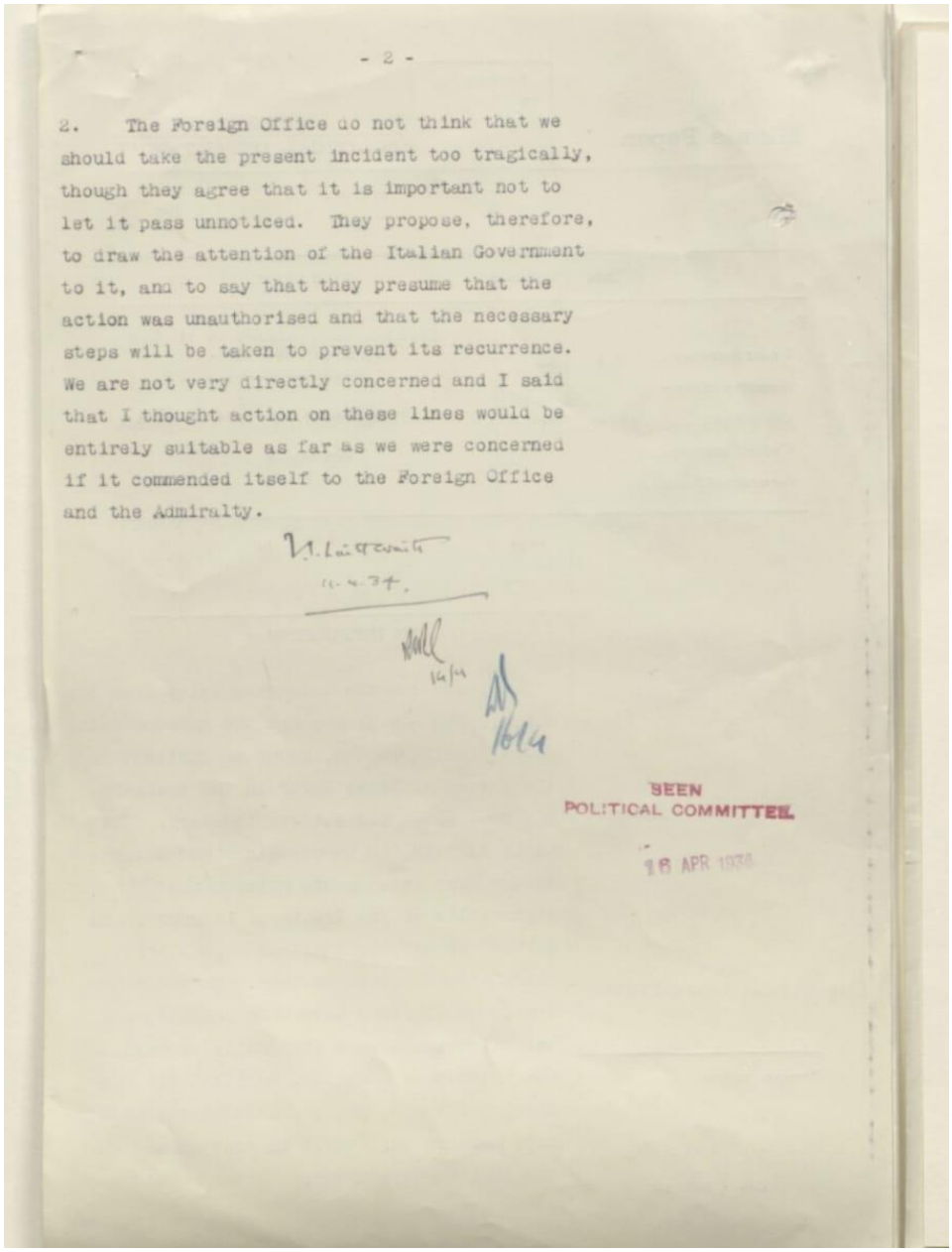

- 2 -

2. The Foreign Office do not think that we should take the present incident too tragically, though they agree that it is important not to let it pass unnoticed. They propose, therefore, to draw the attention of the Italian Government to it, and to say that they presume that the action was unauthorised and that the necessary steps will be taken to prevent its recurrence. We are not very directly concerned and I said that I thought action on these lines would be entirely suitable as far as we were concerned if it commended itself to the Foreign Office and the Admiralty.

SEEN
POLITICAL COMMITTEE
18 APR 1934

تابع الوثيقة رقم ٩ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

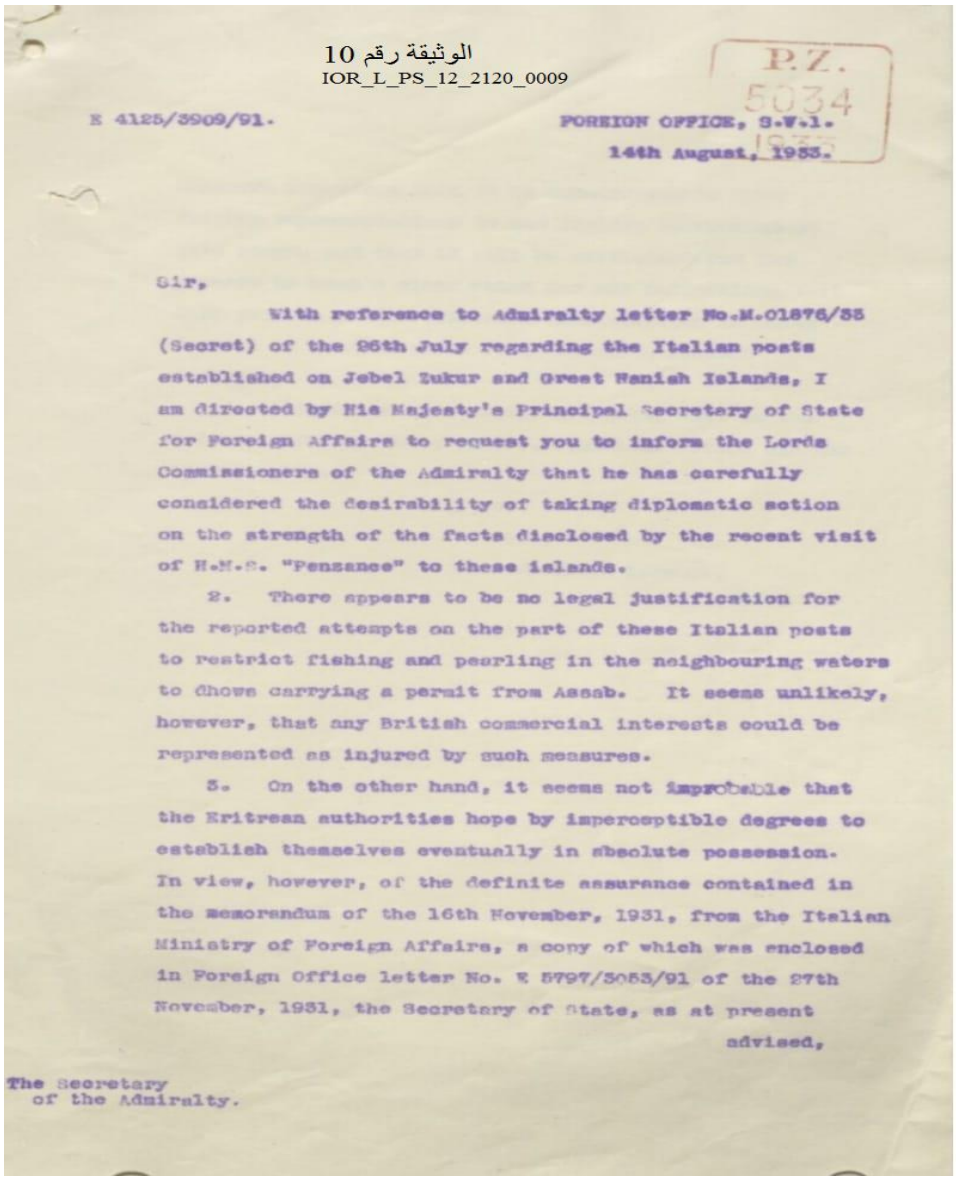

الوثيقة رقم 10
IOR_L_PS_12_2120_0009

P.Z. 5034 1933

E 4125/3909/91.

FOREIGN OFFICE, S.W.1.
14th August, 1933.

Sir,

With reference to Admiralty letter No.M.01876/33 (Secret) of the 26th July regarding the Italian posts established on Jebel Zukur and Great Hanish Islands, I am directed by His Majesty's Principal Secretary of State for Foreign Affairs to request you to inform the Lords Commissioners of the Admiralty that he has carefully considered the desirability of taking diplomatic action on the strength of the facts disclosed by the recent visit of H.M.S. "Penzance" to these islands.

2. There appears to be no legal justification for the reported attempts on the part of these Italian posts to restrict fishing and pearling in the neighbouring waters to dhows carrying a permit from Assab. It seems unlikely, however, that any British commercial interests could be represented as injured by such measures.

3. On the other hand, it seems not improbable that the Eritrean authorities hope by imperceptible degrees to establish themselves eventually in absolute possession. In view, however, of the definite assurance contained in the Memorandum of the 16th November, 1931, from the Italian Ministry of Foreign Affairs, a copy of which was enclosed in Foreign Office letter No. E 5797/3053/91 of the 27th November, 1931, the Secretary of State, as at present advised,

The Secretary
of the Admiralty.

الوثيقة رقم ١٠ IOR_L_PS_١٢_٢١٢٠_٠٠٠٩

د. أسماء إذبلا
مفتشة تربوية – أكاديمية الدرار البيضاء – سطات (المغرب)
asmaaidaballa@gmail.com

Received: 20/12/2023
Revised: 4/1/2024
Accepted: 20/1/2024
Published:25/1/2024

طرق التدريس الحديثة ودورها في تطوير الدرس الفقهي
" طرق تدريس المهارات الفقهية نموذجا "

الملخص

تعد المهارات عنصرا أساسيا في تعليم المواد الدراسية عموما والشرعية على وجه الخصوص؛ فالمواد الشرعية تتضمن إلى جانب رصيدها المعرفي منظومة من القيم ومجموعة من المهارات لا يكتمل تحصيل الطالب لهذه المواد إلا بالتمكن منها جميعها على مستوى التنظير والممارسة.

والمهارات الفقهية تحتاج لتعلمها من قبل طلبة العلم الشرعي اعتماد طريقة في التدريس تزاوج بين الجانب النظري والتطبيقي؛ إذ التمكن من المعارف الشرعية وحدها لا يكفي لتكوين جيل من الطلبة يقوى على ممارسة الفقه وتنزيله، بل لا بد من مباشرة عمل الفقيه عن طريق التدرب على مهاراته للتمكن من قدراته؛ لذا فإن تدريس المهارات الفقهية يحتاج إلى اعتماد طرق التدريس النشيطة التي تجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية، وهذا لا يعني الاستغناء المطلق عن الإلقاء بجميع أشكاله في المدرجات الجامعية، بل المقصود المزاوجة بين تقديم المعارف الشرعية إلى طلبة العلم، وبين وضعهم في مواقف تعليمية مبرمجة لتدريبهم على المهارات الفقهية.

الكلمات المفتاحية: الدرس الفقهي – المهارات الفقهية – طرق التدريس.

Abstract

Skills are an essential element in teaching school subjects in general and Sharia in particular, as Sharia subjects include, in addition to their knowledge balance, a system of values and a set of skills.

Jurisprudence skills need to be learned by students to adopt a method of teaching that marries the theoretical and practical aspects, as mastery of legal knowledge alone is not enough to form a generation of students who are able to practice and download jurisprudence.

Therefore, the teaching of jurisprudential skills needs to adopt active teaching methods that make the learner at the heart of the educational and learning process; its main goal is to train the student and train him to become a producer of knowledge and not just a consumer of it.

Keywords: Fiqh lesson - jurisprudential skills - teaching method

المقدمة

تعد طرق التدريس باختلاف أنواعها و صيغها الموصلات أو من وسائل الاتصال الحقيقية الحاملة لرسالة التعلم، سواء كان محتوى هذه الرسالة معرفة أو قيمة أو مهارة أو غير ذلك.

وبتطور نظريات التربية في السنوات الأخيرة، التي أصبحت تعتمد في تكوينها وتطبيقها على استعدادات الفرد وحاجاته وحاجات المجتمع، وظروف البيئة، وبنمو علم النفس نموا امتد أثره، فيما امتد إليه من ميادين، إلى ميدان التربية، نشطت التجارب والأبحاث في الحقل التربوي، وسلط الضوء على مجموعة من طرق التدريس التي تجعل الطالب في قلب عملية التدريس.

و تعد طرق التدريس مجالا خصبا للبحث، خصوصا في علاقتها بالعلوم الشرعية، لما تحمله هذه العلوم من قيم سلوكية وأخلاقية، ومهارات، و ما ارتبطت به من طرق فردية أساءت لها بشكل ولد لدى الطلبة نفورا من تعلمها، فأهمية الطريقة تتركز بالأساس في كيفية استغلال محتوى المادة بشكل يمكن الطلبة من الوصول إلى الهدف المتوخى من دراستها وفق تسلسل منطقي يضمن إشراكه في الفعل التربوي، الشيء الذي يولد في نفسه الرغبة و الإقبال على تعلم هذه المادة أو تلك.

ومن المتفق عليه عند علماء التربية اعتبار الطريقة خادمة للمادة التعليمية التعلمية محققة لأهدافها بشكل يراعي الفئة المستهدفة، ولكل مادة دراسية طرق تناسب محتواها الديالكتيكي؛ إذ لا يمكن تصور طريقة في التدريس صالحة لكل المواد الدراسية ولكل المستويات العمرية، هنا يظهر بجلاء دور الأستاذ في حسن انتقاء ما يناسب من الطرق حسبما تقتضيه طبيعة المادة المدرسة.

مشكلة الدراسة:

الملاحظ في الساحة التعليمية التعلمية عموما، وفي مجال تدريس العلوم الإسلامية على وجه الخصوص، بعد الطريقة عن المادة المدرسة، بشكل أصبحت فيه الطريقة عبارة عن مجموعة من الخطوات يلم بها الأستاذ ويتدرب عليها ويستخدمها في كل المواقف بغض النظر عن طبيعة المادة المدرسة، وهذا ما أدى إلى:

١. جفاف المادة الدراسية.

٢. عدم وضوح الهدف من دراسة المادة الدراسية في أذهان الطلبة.

٣. انعدام أثر المادة الدراسية في حياة الطلبة وفي تنمية ملكاتهم الفكرية.

ومن هنا يمكن أن نتساءل:

- كيف يمكن لطرق التدريس أن تسهم في تكوين العقل الناقد، وتحصيل المناعة الفكرية لدى الطلبة والمتعلمين؟
- ما هي المبادئ العامة التي وقف عندها الباحثون، لترشيد عمل الأستاذ في اختيار أنسب الطرق لدرسه؟

- وما هي المعايير المعتمدة في اختيار وقياس مدى فاعلية هذه الطريقة أو تلك في موقف تعليمي بعينه؟

أهمية الدراسة:

يتم التركيز في هذه المقالة على طرق تدريس المهارات الفقهية، ولهذا الاختيار دواع ذاتية وأخرى موضوعية:

الدواعي الذاتية: يمكن اختزالها في تجربتي في الميدان التربوي؛ حيث اشتغلت في الأسلاك التعليمية الثلاث (الابتدائي – الثانوي الإعدادي – الثانوي التأهيلي) والآن أشتغل في مجال التفتيش التربوي، مما ولد لدي اهتماما خاصا بمجال طرق التدريس عموما، دراسة وتأليفا، وقد ولد هذا الاهتمام رغبة ملحة في الاستفادة من التراكم النظري الحاصل في هذا الميدان.

الدواعي الموضوعية: ترجع بالأساس إلى ندرة الدراسات في الموضوع، وتفاقم الحديث داخل الوسط الجامعي عن ظاهرة ضعف دافعية الطلبة وتدني مستوى تحصيلهم العلمي، الأمر الذي دفعني للبحث عن الأسباب الرئيسة لهذا التفاقم.

أهداف الدراسة:

الغاية من هذا البحث معالجة إشكالية تدريس المهارات الفقهية في المؤسسات الجامعية لطلبة العلوم الشرعية.

ويهدف بالأساس إلى تطوير تدريسية العلوم الشرعية عموما والفقهية على وجه الخصوص، وذلك من خلال تسليط الضوء على طرق التدريس في البيداغوجيات الحديثة وبيان دورها في تنمية الملكات الفكرية والمهارات الفقهية لدى طلبة العلم الشرعي، مع التركيز على تقديم أمثلة ومقترحات توضح التصور العام للدرس الفقهي في ظل ما وصلت إليه الأبحاث التربوية في مجال طرق التدريس.

منهجية الدراسة:

هذا البحث يتناول بالدراسة موضوع طرق التدريس في علاقتها بالدرس الفقهي، وقد وقع الاختيار على المهارات الفقهية باعتبارها كفايات أساس لا بد منها للطالب والباحث في المجال الفقهي، وهذا يتطلب اعتماد منهجية تزاوج بين الوصف والتحليل إلى جانب التركيب الذي تقتضيه عملية تنزيل الخطوات

الإجرائية لطرق التدريس المعنية بالدراسة على الدرس الفقهي في مرحلة من المراحل التعليمية بالمدارس والجامعات.

تقسيم الدراسة:

لدراسة هذا الموضوع، أقترح تناوله في محورين أساسيين:

المحور الأول: طرق التدريس ومبادئها العامة.

المحور الثاني: المهارات الفقهية وطرق تدريسها.

خـــــاتمة: تتضمن أهم الخلاصات المتعلقة بدور طرق التدريس الحديثة في تطوير الدرس الفقهي.

المحور الأول: طرق التدريس ومبادئها العامة

أولا: مفهوم طرق التدريس.

تعددت تعريفات الباحثين لطرق التدريس واختلفت مرجعياتهم في تناول المفهوم، وفي ما يلي عرض موجز لبعضها:

يعرف ميالاري الطرق البيداغوجية بأنها: "مجموعة من المقاصد والأهداف والتطبيقات التربوية، الملتحمة، الموجهة نحو هدف مقبول، أو تم الإعلان عنه مسبقا".[١] ويضيف قائلا: "إنه من السهل الحديث ووصف الطريقة البيداغوجية على المستوى النظري، غير أنها لا تظهر في الواقع إلا من خلال شخصية المدرس الذي يستخدمها في ظروف معينة ومع مجموع تلاميذه الذين لهم بدورهم خصائصهم الخاصة".[٢] وعرفها الحسن اللحية بقوله: " هي مجموعة من المحاولات المصاغة والمطبقة حسب مبادئ محددة، لبلوغ معارف ومهارات تتطابق و الأهداف التربوية"[٣]. وجاء في معجم علوم التربية لمجموعة من الباحثين: طرق التدريس: مجموع الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرس و التي تبدو آثارها على ما يتعلمه المتعلمون.[٤]

وعرفتها الدكتورة فاطمة الحسيني بقولها: "هي العمليات المنفذة من طرف المدرس في علاقة مع تقديم المحتويات قصد تحقيق أهداف معينة بمعية المتعلمين".[٥]

وهي" مجموع الخطوات و القواعد و الإجراءات التي يقوم بها المدرس بقصد تنظيم عمله لبلوغ هدف تعليمي تربوي".[٦]

وتعتبر من المكونات الأساسية للعملية التعليمية التعلمية، من خلالها يتفاعل كل من المدرس والطالب من خلال أنشطة و إجراءات تتوخى تحقيق الأهداف المرسومة.

يظهر من خلال ما سبق من التعريفات أن هناك مجموعة من المحددات تشكل في مجموعها مفهوما لطريقة التدريس وهي في الآن ذاته تميزه عن غيره من المفاهيم وأهمها:

- طرق التدريس شكل من أشكال التواصل بين المدرس و الطالب داخل العملية التعليمية التعلمية.
- تعتبر الطريقة الجسر الرابط بين المكونات الأساسية للعملية التعليمية التعلمية "المدرس – المتعلم – المحتوى الديداكتيكي".
- و هي مجموعة من الأنشطة و الإجراءات التي تظهر أثرها في تعلمات الطلبة.
- تهدف إلى تحقيق الأهداف المسطرة.
- وهي عبارة عن مجموعة من العمليات مطبقة وفق مبادئ و مرجعية محددة.
- طرق التدريس تتنوع حسب طبيعة الدرس والمادة الدراسية والفئة المستهدفة.

ثانيا: المبادئ العامة لطرق التدريس الفاعلة.

إن تأثر طريقة التدريس بالفلسفة ونظريات علم النفس أفرز في الساحة التعليمية التعلمية طرقا متعددة؛ إلا أنها في مجملها تستند إلى مبادئ عامة وقف عندها الباحثون، ولترشيد عمل الأستاذ في اختيار الأنسب منها لدرسه لا بد من الاعتماد على معايير للاختيار وأخرى لقياس مدى فاعلية هذه الطريقة أو تلك في موقف تعليمي بعينه.

ومهما تنوعت طرق التدريس تبقى هناك مبادئ مشتركة على المدرس مراعاتها، ولقد أولى كثير من الدارسين والمهتمين بشؤون التربية اهتماما بالغا بهذه المبادئ العامة، ومن بينهم ابن خلدون والغزالي وهربارت.

وفيما يلي بيان مختصر لأهم المبادئ العامة لطرق التدريس:

أ. التدرج من المعلوم إلى المجهول.

تثبت المعلومات الجديدة إذا ارتبطت بما هو معلوم لدى الطالب أي أن التعلم يبدأ من خبرة الطالب، ثم يتدرج ليواكب مستواه واستعداده، لأن الجديد يكون غريبا لا يؤلف بسهولة؛ ولضمان تماسك الحقائق في الذهن وبناء الشبكة المفاهيمية نحتاج إلى ربط القديم بالجديد.

من هنا تظهر ضرورة الانطلاق من تمثلات الطلبة حول الموضوع المدرَّس، وهي عبارة عن أفكار مسبقة تكونت لديهم من جراء خبرتهم السابقة في محيطهم السوسيوثقافي، وهي غالبا ما تكون خاطئة أو غير دقيقة في حيثياتها.

ب. التدرج من السهل إلى الصعب.

في هذا الصدد يقول الإمام ابن خلدون في مقدمته " اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان علم التدريج شيئا فشيئا وقليلا قليلا."[٧]

و يقول الإمام الغزالي " إن العلوم مرتبة ترتيبا طبيعيا، وبعضها طريق إلى بعض والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج..."[٨]

تتضح من خلال ما سبق أهمية مراعاة التدرج بمدارك الطلبة من السهل إلى الصعب في سيرورة بناء تعلماتهم، فكلما كانت طبيعة المحتوى التعليمي مترابطة ومتناسقة يبني بعضها بعضا، يكون التعليم والتعلم ممكنين، وبهذا يكون المحتوى قد حقق أهم خاصية من خصائصه ضمن المقاربة الحديثة والمتمثلة في الانسجام مع الخصائص النفسية والعقلية والاجتماعية للمتعلمين.

ج. التدرج من البسيط إلى المركب.

وتنبني هذه القاعدة على أساس أن العقل في إدراكه للأشياء يبدأ بما هو بسيط إلى ما هو معقد.

يتقاطع هذا المبدأ إلى حد كبير مع المبدأ السابق؛ لاشتراكهما في التدرج بمدارك الطلبة لتحقيق الترابط والتماسك بين المعارف والمعلومات وفق تسلسل منطقي، فالتدريس الفعال هو الذي يواكب النمو المعرفي لدى الطالب، ويلائم نواتج تعلمه، ويساعده على تحقيق درجة أعلى من المعالجة للمعلومات والاكتشاف القائم على شبكته المفاهيمية.

د. التدرج من المحسوس إلى المعقول.

يقول إخوان الصفا " المعقولات هي في أوائل العقول ليست شيئا سوى رسوم المحسوسات الجزئية ملتصقة بطريقة الحواس "[٩]

من هنا تظهر ضرورة التدرج من الأمثلة والتجارب الحسية إلى المدركات الكلية المعنوية؛ لأن أول مدركات الطالب هي المدركات الحسية، ومنها يتم الانطلاق لبناء ما هو معقول؛ لضمان ترسيخ هذا الأخير في ذهنه.

ثالثا: أنواع طرق التدريس

الطرق التربوية كثيرة في كتب التربية، لدرجة يجد الباحث فيها صعوبة بالغة في الخروج بتقسيم نهائي لها، إذ كل واحد من المؤلفين له وجهة نظره في التقسيم، تختلف باختلاف الأساس المعتمد عليه.

والنماذج المقترحة متنوعة بشكل كبير، وذلك راجع إلى منطلقات واضعيها، فالمعايير مختلفة ومتنوعة، وغالبا ما نرى مصنفات التربية تقسم الطرائق إلى ثلاثة أنواع أساسية وهي الطرائق التقليدية والطرائق الاستجوابية والطرائق النشيطة؛ و هناك كذلك تصنيف ديكورت وتصنيف ميالاري للطرائق البيداغوجية، ولأن موضوع المداخلة متعلق بتدريس العلوم الشرعية فإننا نركز على الطرق الأربعة الملائمة لطبيعة المادة: الإلقائية الاستقرائية والاستنباطية والبنائية.

أولا: التقسيم الثلاثي لطرائق التدريس[١٠].

- **الطرائق التقليدية:** تعتمد على تصور مميز للعمل التربوي، يقول جان كلود فيليو: تعتمد التربية التقليدية على الفرضية القائلة بأن المجتمع ثابت وغير متطور، لذلك تراها تحاول تكوين أطفال قادرين، عند بلوغهم مرحلة الكهولة، على التكيف مع قيم هذا المجتمع ومن هنا جاء لجوء التربية التقليدية إلى تلقين التلاميذ مضامين جاهزة ومضبوطة بصفة مسبقة، أي إلى تلقينهم مجموعة من المعارف والقيم والرموز التي تعتقد أنها صالحة لجعل الفرد يتلاءم مع وسطه الاجتماعي ويسعد بالعيش فيه.[١١]

وهي طرق تجعل من المدرس المصدر الوحيد للمعرفة، وتنظر للتلميذ باعتباره صفحة بيضاء، فهي لا تعير اهتماما لخبرات المتعلم السابقة ولا تنطلق منها لبناء المعارف وترسيخ القيم والخبرات، كما انها ترتكز على محورية المدرس والمعرفة.

- **الطريقة الاستجوابية**: تعتمد هذه الطريقة غالبا على سؤال المعلم وجواب التلاميذ، وهي من أكثر الطرائق التربوية شيوعا في فصولنا، بل ومثالا يتوق أغلب المدرسين إلى تحقيقه، ظنا منهم أنها تدخل ضمن الطرائق النشيطة.

ومن المآخذ الرئيسة على الطريقة الاستجوابية تقييد المسار الفكري للمتعلم، وفي هذا الشأن يقول **بوستيك**: إن الطريقة الاستجوابية تحتوي على التباس جوهري، فهي من ناحية تتوق إلى جعل التلميذ يكتشف المعارف بنفسه، لكنها تخضعه بشدة إلى طريقة تفكير المعلم.[١٢]

ذلك أن الأسئلة التي يلقيها المدرس على تلاميذه من شأنها أن تضبط للفصل مسارا فكريا لا يمكن للتلاميذ أن يحيدوا عنه؛ فالتلميذ الذي يشارك في بناء الدرس يجيب على أسئلة المدرس أكثر مما يجيب عن تساؤلاته الفردية، زيادة على كون العقد الضمني الذي يربط بين طرفي الوضعية التربوية غالبا ما يجبر التلميذ على إجابة المدرس لا الإجابة عن سؤال الدرس، وهما أمران جد مختلفين.[١٣]

- **الطرائق النشيطة**: تفرض أن يكون المتعلم القطب الفاعل في الفصل، وهو القائم بالأعمال الموصلة إلى اكتشاف المعارف، فهي تهتم بتوفير فرص للمتعلم للبحث والاستقصاء والكشف عن المعارف والخبرات ذاتيا، وتعمل على تنمية قدراته العقلية والتفكيرية بحيث يصبح قادرا على اكتساب المعرفة ونقدها وتوظيفها.

وتعتمد الطرائق النشيطة على المبدأ القائل بأن الطالب هو مركز العملية التعليمية التعلمية، يقول كلاباراد في هذا الصدد: من الواجب أن تكون الطرائق والمناهج هي التي تحوم حول المتعلم لا أن يكون المتعلم هو الذي يحوم حول برنامج قد ضبط بمعزل عنه.[١٤]

وتمثل أعمال كل من ديوي وكلاباراد وبياجيه الركيزة النظرية التي مكنت من انطلاق الطرائق النشيطة وتطورها خلال النصف الأول من القرن العشرين.

ثانيا: تصنيف ديكورت.

" ينطلق ديكورت في تصنيفه من الإقرار بوجود علاقة بين المدرس والمتعلم في كل طريقة تربوية مهما تنوعت، وهذه العلاقة تكون دائما مرتبطة بالمحتوى التعليمي، وعلى هذا الأساس يقدم ديكورت أربع مجموعات من الطرق التربوية[١٥] وهي:

- **المجموعة الأولى:** يكون المدرس في إطارها هو الذي يقوم بدور تقديم وعرض المادة الدراسية، ويطلق ديكورت على هذه المجموعة اسم "أشكال العمل الإلقائي".
- **المجموعة الثانية:** وفي إطارها يكون المدرس و المتعلمون مشاركين في سيرورة تواصلية يصبح فيها المحتوى نتيجة لعطاءات هؤلاء المشاركين، ويطلق ديكورت على هذه المجموعة اسم "أشكال الحوار".
- **المجموعة الثالثة:** وفي إطارها " يمارس المتعلمون أنشطة متنوعة لا يسيرها المدرس إلا بصورة غير مباشرة؛ كإدماج كتاب مدرسي في إطار العمل، أو اقتراح وسيلة معينة من الوسائل الديداكتيكية " ويطلق ديكورت على هذه المجموعة اسم "أشكال البحث".
- **المجموعة الرابعة:** تقوم على أساس عمل المجموعات الذي يعد شكلا من أشكال النشاط التعليمي / التعلمي الذي يقوم أساسا بين المتعلمين.

ثالثا: الطريقة الإلقائية والأسس التي تقوم عليها.

جاء في معجم علوم التربية: " طريقة الإلقاء، طريقة يتولى فيها المدرس القيام بالنشاط الأكبر في

عملية التدريس والشرح؛ فهو الذي يقوم وحده بإلقاء موضوع الدرس طوال الحصة، مع بعض المناقشات الفرعية، ويكتفي المتعلمون بتلقي المعلومات وتدوينها، إلى جانب عدة أسئلة للمراجعة والتطبيق في نهاية الدرس "[١٦]

ويطلق عليها البعض طريقة المحاضرة أو الطريقة التلقينية، وقد ارتبطت هذه الطريقة بالتدريس منذ أقدم العصور على أساس أن المدرس هو مالك للمعرفة، والمتعلم مجرد مستهلك لها.

وتعتمد الطريقة الإلقائية أو التلقينية، كما يدل عليها اسمها على تلقين المعلومات للطلبة في غياب شبه تام لتدخل هؤلاء في مختلف عمليات التعلم. وتمتاز بعدة خصائص منها:

- مركزية المدرس: يعتبر المدرس في الطريقة الإلقائية هو المصدر الوحيد للمعارف، هو الذي ينتقي مفردات مادته ويقدمها جاهزة للتلاميذ.
- طرق موحدة لا تراعي الفوارق الفردية بين المتعلمين؛ لأنها لا تتمركز على نشاط المتعلم، ولذلك فهي تعتبر المتعلمين كلهم متساوون في نسب الذكاء وطريقة الاستيعاب.
- مركزية المعرفة وهيمنتها على القيم والمهارات؛ إذ أنه لا يتصور اكتساب القيم أو التدرب على مهارات في ظل الاقتصار في العملية التعليمية التعلمية على الطرق الإلقائية أو التلقينية.

ورغم كل الانتقادات التي وجهت للطريقة الإلقائية باعتبارها لا تنتج إلا أفرادا مشلولين على مستوى الخبرة، كما أنها تكبح حرية المتعلم في التفاعل والإبداع، فهذه الطريقة لا غنى عنها في تقديم مجموعة من المعارف على أن لا تكون سائدة في الحصة بكاملها، بل في إطار تنويع الطرق تبقى لهذه الطريقة وجود حتمي في وضعيات ديداكتيكية مناسبة.

ويقول محمد الدريج في نفس السياق:" يجب أن نعترف، أن هناك بعض المواقف لا يمكن الاستغناء فيها عن الأشكال الإلقائية، فكثيرا ما يحتاج المدرس إلى إيصال فكرة غامضة أو فكرة جديدة أو غيرها بأسلوب خطابي إلقائي يعتمد الشرح و الإلقاء، أفكار يصعب التوصل إلى إدراك معناها بواسطة الحوار أو غيره من أشكال العمل الديداكتيكي"[١٧] .

ويستعرض محمد زياد حمدان مجموعة من الحالات التعليمية التعلمية لاستعمال طريقة الإلقاء، منها:

١. كون عدد المتعلمين أكثر من أربعين.

٢. كون المناسبة التعليمية متمثلة في تقديم خبرة أو حادثة أو معلومات تمهيدية لاحقة.

٣. كون المادة المنهجية جديدة تماما و غير متوفرة في الكتاب المقرر أو الكتاب المقرر غير متوفر للمتعلمين.

٤. كون المناسبة التعليمية متمثلة في توضيح جوانب أو قضايا هامة لمناقشة لاحقة.

٥. كون المادة المنهجية صعبة جافة تحتوي على مصطلحات ومفاهيم يتعذر على المتعلمين تحصيلها.

٦. الرغبة في تنويع طرق التعليم المنهجي، وإغناء التربية المنهجية.[١٨]

المحور الثاني: المهارات الفقهية وطرق تدريسها

أولا: مفهوم المهارات الفقهية.

١- تعريف المهارة الفقهية

أ. تعريف المهارة لغة واصلاحا

يطلق لفظ المهارة في اللغة ويراد به الحذاقة والدقة في الصناعة وغيرها، ومنه الماهر، وهو الحاذق، كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي أخرجه مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قال الرسول صلى الله عليه وسلم (**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران)**[١٩]. وأخرجه البخاري عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران)**.[٢٠]

جاء في اللسان: مَهَر بالشيء مهارة، ومهِر بكسر الهاء أيضا فهو ماهر: أي حاذق. اه[٢١]ويقال مهر في العلم وفي الصناعة وغيرهما[٢٢] ومَهَرَ الرجل مَهارةً، إذا أحكمَ الشيء، ومنه قيل: سابح ماهر. والمَهارة

بكل شيء: الحذاقة به والإقدام عليه، وأصل ذلك في السباحة ثم كثر في كلامهم حتى استعملوه في الخطابة فقالوا: خطيب ماهر.[٢٣]

والمهارة اصطلاحا معناها التمكن من إنجاز مهمة بكيفية محددة وبدقة متناهية وسرعة في التنفيذ، وهي تحتاج إلى وقت وجهد وتدريب مقصود، وتعددت تقسيمات الباحثين لأنواع المهارات، فمنهم من قسمها إلى مهارات حياتية، مهارات أساسية، مهارات التفكير العالية وغيرها.

ب. تعريف الفقه لغة واصطلاحا

أصل الفقه: إدراكُ الشَّيء، والعِلْمُ به، والفهمُ له؛ تقول: فَقِهْتُ الحديث أَفْقَهُه، وأوتِي فلان فِقْهاً في الدين أَي فهما فيه، وكل عِلْم بشيء فهو فقه. قال الله سبحانه وتعالى: **(يسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا)** (الإسراء ٤٤)

وفَقِهَ بكسر القاف: فَهِمَ، وفَقَهَ بفتحها: سبق غيره إلى الفهم، أما فَقُهَ بضمها: أي صارَ فَقيهاً، وسادَ الفُقَهاءَ، وصار الفقه له سجية. يقال: رجل فَقِيهٌ، وقد فَقُهَ يَفْقُه فَقاهةً.

وقد اختص بذلك علمُ الشّريعة؛ لسِيادَتِه، وشرفه، وفضلِ على سائر أنواع العلم، فقيل لكل عالم بالحلال والحرام: فقيه. قال الله تعالى: **(وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون)**. (التوبة ١٢٣)

وهو في اصطلاح الفقهاء العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية.[٢٤]

والفقيه هو المتهيء للفقه الممارس له. وقيل من أتقن مبادئ الفقه وكانت له القدرة على فهم النصوص الشرعية واستخلاص الأحكام منها.

ج. تعريف المهارة الفقهية باعتبارها لقبا

والمهارة الفقهية باعتبارها لقبا تطلق ويراد بها التمكن من الصناعة الفقهية والحذق في استنباط الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية وتنزيلها على واقع الناس.

ومن المصطلحات التي درج الباحثون قديما توظيفها للتعبير عن المهارة الفقهية، وبين المصطلحين عموم وخصوص، هناك مصطلح الملكة الفقهية، وهذا صاحب كتاب أبجد العلوم يوضح طريقة اكتسابها بقوله: والملكة الفقهية –تنشأ- بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الأصول. اه[٢٥]

والمهارة الفقهية بهذا المفهوم يمكن تجزيئها إلى عدة مهارات يعتبر التمكن من كل منها أمرا ضروريا لتحصيل الملكة الفقهية التي يقتدر من خلالها الفقيه المزاوجة بين النظر في النصوص الشرعية وبين فقه الواقع لاستنباط الأحكام الشرعية العملية للنوازل الفقهية وتنزيلها على واقع المكلفين.

مثال:

ومن جملة المهارات الفقهية هناك مهارة تنزيل الأحكام، جاء في كتاب الدكتور فتحي الدريني (المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي):**"وليس الاجتهاد في التفهم والاستنباط بأولى من الاجتهاد في التطبيق، إن لم نقل إن قيمة الاجتهاد عمليا إنما تنحصر فيما يؤتى من ثمرات في تطبيقه تحقق مقاصد التشريع وأهدافه في جميع مناحي الحياة".**[٢٦]

ويضيف: **"وإذا كان الأمر كذلك فإن الخبرة بشؤون الحياة كلها وما يقوم به الناس من أوجه النشاط المختلفة في تدبير معاشهم وطرق كسبهم وانتفاعهم أضحت عنصرا أساسيا في الاجتهاد بالرأي لأنها بذاتها متعلق الأحكام".**[٢٧]

يظهر مما تقدم أن الاجتهاد في التطبيق لا يقل أهمية، ولا أثراً عن الاجتهاد في الاستنباط، إذ هو الثمرة المرجوة من استنباط الأحكام، لذا فإن الخبرة بأحوال الناس وفقه ظروفهم في المناسبات المختلفة، تعد عنصراً أساسياً ومهماً في تنزيل الأحكام على الوقائع ومستجدات الأمور، ومتغيراتها.

من هنا يمكن الجزم بأن الاجتهاد الفقهي لا بد فيه من عنصر مهم وهو فهم الواقع والمعرفة التفصيلية بالوقائع وأحوال الناس؛ إذ النظر العقلي في الدليل الشرعي يبقى في حيز النظر ولا تتم سلامة تطبيقه إلا إذا كان تمة فهم واعي للوقائع وتبصر بما عسى أن يؤدي التطبيق العملي للفتوى من نتائج تعتبر الثمرة العملية المتوخاة من الاجتهاد التشريعي عموما.

وهو ما أكده الدكتور النجار في كتابه (فقه التدين فهما وتنزيلا) وبين المقصد منه بقوله: **"إن العمل على تطبيق الأحكام الإسلامية في الواقع يحتاج إلى منهج آخر مختلف يكون مبنيا على فقه تطبيقي غايته تسهيل الطريق لتلك الحقائق لكي تصبح جارية في حياة الناس".**[٢٨]

وهذا النوع من الفقه يبدأ من مرحلة الفهم، لئلا يكون الفهم للأحكام الشرعية غاية في ذاته، وإنما غايته في صيرورته واقعا سلوكيا، ولذلك يجب الانتقال من مرحلة الفهم إلى مرحلة صياغة الحكم الشرعي صياغة تناسب معطيات الواقعة محل النظر.

والإمام الشاطبي رحمه الله بين أهمية تجاوز حالة المعرفة للأحكام الفقهية إلى مرحلة كيفية تنزيلها على الواقع، ومن ثم الانطلاق من الاجتهاد في إطار الحكم والنص إلى الاجتهاد في إطار المحل وتوافر شروط التنزيل، وهذا يتطلب جهوداً متنوعة متكاملة وتخصصات معرفية متعددة

لذا وجب التأكيد على أن مجال تنزيل الأحكام له أهمية بالغة بالرغم أن الذهن عند الحديث عن الاجتهاد الفقهي وصناعة الفتوى يتبادر إليه الاستنباط والنظر العقلي في الدليل الشرعي.

والخطأ كما يكون في فهم النص يكون في التنزيل، بل والثاني قد يكون أشد من الأول؛ لذا فإن لتنزيل الأحكام الفقهية على النوازل والقضايا المستجدة جملة من الأصول والضوابط، تعين القاضي والفقيه على التطبيق الصحيح للأحكام الشرعية على الوقائع.

و تناول هذا الموضوع بالدراسة والتدريس مما يعين طلبة العلم، وهم قضاة المستقبل وفقهاؤه على صقل ملكة التطبيق لديهم لتُهيئهم لتنزيل الأحكام الكليَّة على الوقائع، فيكتسبون بذلك مهارات خاصة في مجال تنزيل الأحكام، وكثرة نظرهم في هذا المجال، وترددهم في ممارسته تسهل مباشرته، وذلك من أنفس ما يُحصِّله الطالب في كل فن، لأن ثمرة كل علم تطبيقُه.

ثانيا: طرق تدريس المهارات الفقهية ودورها في تنمية الملكة الفكرية لدى طلبة العلم الشرعي.

١- علاقة طرق التدريس بالمادة الدراسية

طرق التدريس عديدة ومتنوعة، يجد الأستاذ نفسه بين اختيار من متعدد لا يملك تجاهه آليات

ترجيحية، وإن وجدت فهي غالبا ما تربط الطريقة بتمثلات الأساتذة حول المادة التعليمية، لذا تناول الباحثون والخبراء في علوم التربية بالدراسة والتحليل موضوع معايير انتقاء وتقييم طرق التدريس، وعلى رأس هذه المعايير هي نوعية المادة المدرسة.

ومن المتفق عليه عند علماء التربية اعتبار الطريقة خادمة للمادة التعليمية التعلمية محققة لأهدافها بشكل يراعي الفئة المستهدفة.

و لكل مادة دراسية طرق تناسب محتواها الديداكتيكي؛ إذ لا يمكن تصور طريقة في التدريس صالحة لكل المواد الدراسية ولكل المستويات العمرية، هنا يظهر بجلاء دور الأستاذ في حسن انتقاء ما يناسب من الطرق حسبما تقتضيه طبيعة المادة المدرسة.

لكن الملاحظ في الساحة التعليمية التعلمية عموما، بعد الطريقة عن المادة المدرسة، بشكل أصبحت فيه الطريقة عبارة عن مجموعة من الخطوات يلم بها الأستاذ ويتدرب عليها ويستخدمها في كل المواقف بغض النظر عن طبيعة المادة المدرسة، و بمعنى أدق أصبح المدرس يلوي عنق المادة الدراسية لتنسجم مع ما تدرب عليه من طرق تدريس غافلا الأهداف العامة المتوخاة من تدريس كل مادة، وهذا ما أدى إلى:

١. جفاف المادة الدراسية.

٢. عدم وضوح الهدف من دراسة المادة الدراسية في أذهان الطلبة.

٣. انعدام أثر المادة الدراسية في حياة الطلبة وفي تنمية شخصيتهم.

وبهذا ذهب أصحاب الفكر التربوي الجديد، إلى أن اختيار الطريقة المناسبة لتدريس هذه المادة أو تلك رهين بطبيعة هذه المادة، وبذلك لا يجب التعامل مع الطريقة الدراسية باعتبارها خطوات ثابتة يتم تطبيقها بشكل آلي على جميع المواد والدروس، بل يجب أن تكون من المرونة بحث تنسجم مع المواقف التعليمية المتباينة.

٢- طرق تدريس المهارات الفقهية

وتعد المهارات عنصرا أساسيا في تدريسية المواد الدراسية عموما والشرعية على وجه الخصوص؛ إذ خلافا لما يظنه البعض فإن المواد الشرعية تتضمن إلى جانب رصيدها المعرفي منظومة من القيم ومجموعة من المهارات لا يكتمل تحصيل الطالب لهذه المواد إلا بالتمكن منها جميعا على مستوى التنظير والممارسة.

لهذا اهتم الباحثون عموما ورجال التعليم على وجه الخصوص منذ القدم بمسألة تعليم المهارات وتعلمها إلى جانب تعلم المعارف وضبطها؛ واتسع الاهتمام بهذا المجال مع ظهور البرامج التعليمية أواخر القرن العشرين؛ حيث سلط الضوء على مناهج المواد الدراسية في كل الأسلاك التعليمية والمستويات الدراسية وتم تفكيك مكونات هذه المواد من معارف ومهارات وقيم، لضمان تحقيق مبدأ التدرج على مستوى التعلمات من جهة، ولاختيار المناسب من طرق وأساليب التدريس من جهة أخرى.

والمهارات الفقهية تحتاج لتعلمها من قبل طلبة العلم الشرعي اعتماد طريقة في التدريس تزاوج بين الجانب النظري والتطبيقي؛ إذ التمكن من المعارف الشرعية وحدها لا يكفي لتكوين جيل من الطلبة يقوى على ممارسة الفقه وسبر أغواره، بل لا بد من مباشرة عمل الفقيه عن طريق التدرب على مهاراته والتمكن من قدراته، يقول الإمام الزركشي في المسألة (ت: ٧٩٤ هـ): "وليس يكفي في حصول الملكة على شيء تعَرُّفُه، بل لا بُدَّ مع ذلك من الارتياض في مباشرته، فلذلك إنَّما تصير للفقيه ملكة الاحتجاج واستنباط المسائل أَنْ يرتاض في أقوال العلماء وما أتوا به في كتبهم، وربما أغناه ذلك عن العناء في مسائل كثيرة، وإنَّما ينتفع بذلك إذا تمكن من معرفة الصَّحِيح من الأقوال من فاسدها، ومما يعينه على ذلك أَنْ تكون له قوة على تحليل ما في الكتب ورده إلى الحجج، فما وافق منها التأليفُ الصوابَ فهو صواب، وما خرج عن ذلك فهو فاسد، وما أشكل أمره تَوَقَّفَ فيه"[٢٩]

فالطالب في العلوم الشرعية لا بد له مع التحصيل المعرفي للعلوم والملكات الفطرية من فطنة وذكاء، التمكن من المهارات الفقهية بالتمرس والتدريب عليها في مواقف مختلفة حتى تتحصل لديه الملكة الفقهية؛ وما ذلك إلا لأن النفس يصير لها فيما تمارسه من العلوم والصناعات ملكاتٌ قادرة قارة تدرك بها الأحكام الأصلية والعارضة في تلك العلوم والصناعات.

من هنا يمكن الجزم بأن تدريس المهارات الفقهية يحتاج إلى اعتماد طرق التدريس النشيطة التي تجعل المتعلم إلى جانب المعرفة في قلب العملية التعليمية التعلمية؛ هدفها الأساس تمهير الطالب وتكوينه ليصبح منتجا للمعرفة لا مجرد مستهلك لها، وهذا لا يعني الاستغناء المطلق على الإلقاء بجميع أشكال في المدرجات الجامعية، بل المقصود المزاوجة بين تقديم المعارف الشرعية إلى طلبة العلم بالرجوع إلى مظانها، وبين وضعهم في مواقف تعليمية مبرمجة لتدريبهم على المهارات الفقهية المسطرة في البرامج التعلمية لذلك المستوى.

وهناك طرقاً عديدة يمكن استخدامها لتمهير الطالب، وهي طرق فردية وطرق جماعية مع الإشارة أنه لا توجد طريقة مثلى للتدريس وربما يقوم المدرس باختيار وتنويع الطريقة المناسبة وفقاً لأهداف الدرس ومستويات الطلبة ونوعية المحتوى الذي يدرسه والإمكانات المادية والبشرية المتاحة.

ويمكن فيما يلي تقديم نماذج من طرق التدريس التي يمكن اعتمادها في سبيل تمهير الطلبة بالمستوى الجامعي إلى جانب تلقينهم المعارف الأساسية:

أ. الطريقة الاستقرائية

الطريقة الاستقرائية؛ "هي الطريقة التي تتبع خطوات الاستقراء، كنمط للاستدلال في مراحلها المتبعة لتقديم درس معين. والاستقراء كما جاء في معجم علوم التربية هو: "نمط من الاستدلال ينتقل بموجبه الفكر من ملاحظة ودراسة حالة أو حالات جزئية إلى استخلاص حكم كلي يتم تعميمه على باقي الحالات المشابهة للحالة الملاحظة..."[٣٠]

و الاستقراء "قدرة المتعلم على التدرج من الجزء إلى الكل، ومن المثال إلى القاعدة ومن الحالات الجزئية إلى الكليات والأفكار العامة، وتشمل القدرة على ربط الحقائق بعضها ببعض للوصول إلى فكرة جديدة أو قانون عام."[٣١]

وقد أطلق على هذه الطريقة أيضا اسم **"طريقة هربرت"** المربي الألماني الذي وضع لها مراحل سميت بخطوات هربرت الأربع وهي: المقدمة أو التمهيد - الربط أو الموازنة –الاستنتاج – التطبيق.[٣٢]

ومن مزايا هذه الطريقة أن المعلومات تثبت في ذهن الطالب لمدة طويلة لأنه توصل إلى القواعد بنفسه، كما يمكنه أن يطبق التعليمات التي توصل إليها بسهولة أكبر من التعميمات التي تقدم إليه.[٣٣]

تعتمد الطريقة الاستقرائية منهجية محددة نلخصها فيما يلي[٣٤]:

- **مرحلة التحفيز:** أي المرحلة التي يكون ينتبه فيها المتعلم ويكون مستعدا للعمل في إطار تعليمي تعلمي، فهي تشكل مدخلا للدرس يتوخى منه تحقيق الإثارة وشد الانتباه.

وكمثال على التقنيات التي يمكن توظيفها في هذه المرحلة؛ يمكن ربط محتوى الدرس بالتجربة اليومية للطالب، وبما يصادفه من ظواهر ووقائع و أحداث في محيطه السوسيوثقافي و الطبيعي.

- **مرحلة جمع المعلومات أو المعطيات:** يتم في هذه المرحلة جمع المعلومات أو المعطيات حول موضوع معين له ارتباط وثيق بالمحتوى التعليمي المراد تدريسها، وتختلف تقنياتها من مادة تعليمية إلى مادة أخرى.

و تشكل هذه المرحلة الخطوة الأولى في تدريس المحتوى المبرمج، لأن مرحلة التحفيز لم تكن إلا محاولة لربط الاتصال بين الطالب و محتوى التعلم، وتتمثل هذه المرحلة في تمكين الطالب، بتوجيه من المدرس، من الحصول على بيانات ومعطيات جزئية حسية و متعددة حول الموضوع، دون الاهتمام بالعلاقات التي تؤلف في ما بينها، ويتأتى ذلك من خلال توظيف واستعمال أدوات مختلفة للملاحظة...ولكي يتمكن الطلبة من الحصول على المعطيات و البيانات الضرورية في بداية الدرس ينبغي انتقاء الموضوع الملائم و الذي تتوفر فيه المواصفات و الخصائص المرتبطة بمحتوى الدرس، حتى يشكل بالنسبة لهذا المحتوى ترجمة ملموسة وامتدادا حسيا. وعلى هذا الأساس يمكن أن يطلب المدرس من طلبته الرجوع إلى مصادر معينة أو غير معينة لجمع معلومات حول مقاصد الصيام.

- **مرحلة التدريج المتدرج:** تشير هذه المرحلة إلى عملية تنظيم للمعطيات في بنيات متنوعة تمكن من الوصول إلى القاعدة أو القانون أو المبدأ المنظم الذي يتحكم ويتكرر في الحالات والمعطيات الجزئية.

إلا أن الحصول على الصيغة العامة، وهي أعلى درجة في التجريد، يتطلب القيام بعمليات وسيطة متدرجة، سواء في البحث العلمي، أو في الفعل التعليمي التعلمي. ومن بين هذه العمليات هناك: المقارنة، الترتيب، الاحتفاظ.

وكتطبيق لهذه المرحلة في درس فقه الصيام، يمكن اقتراح المثال التالي:

- تصنيف ما تم التوصل إليه في المرحلة السابقة، و المتعلق بموضوع مقاصد الصيام، للحصول على مجموعة من الفئات تجمع عدة عناصر، هذه الفئات هي: "المقاصد الروحية – المقاصد التربوية – المقاصد الاجتماعية – المقاصد الصحية".

- **مرحلة الاستنتاج:** و هي تمثل النتيجة المباشرة لعملية التجريد المتدرج، والتي يتم التوصل إليها عبر الاستنتاج، وتقتضي هذه العملية الحصول على صيغة عامة تستبعد الخاص أو الجزئي و تحتفظ بالثابت و المتكرر في الحالات المتعددة.

ويمكن للمدرس أن يساعد الطلبة للوصول إلى الصيغة العامة بمجموعة من الأسئلة الموجهة، وكمثال على ذلك:

- يمكن للمدرس توجيه مجموعة من الأسئلة في إطار موضوع "مقاصد الصيام" للوصول إلى خلاصة مفادها أن الشرائع إنما وضعت لمصالح العباد.

- **مرحلة التطبيقات:** تمثل هذه المرحلة بالنسبة للدرس ككل، مرحلة استكمال للتعميم، يتمكن من خلالها الطالب من سحب الصيغة المستنتجة على وقائع ووضعيات جديدة لم يتم التطرق إليها سابقا.

ويمكن إنجاز هذه المرحلة بواسطة أنشطة وممارسات متنوعة، منها على سبيل المثال:

* اقتراح مجموعة من الوضعيات و الممارسات الخاطئة في شهر رمضان قصد تحليلها والوقوف عند المقصد الذي تم تضييعه من جرائها.

ب. الطريقة الاستنباطية.

الطريقة الاستنباطية هي مجموعة من الخطوات مرتبة وفق تسلسل معين يضمن الوصول إلى نتائج معينة، انطلاقا من مقدمات معطاة سلفا، وأن يمارس المتعلم الاستنباط كنشاط تعلمي معناه؛ أن ينطلق من معارف عامة ليصل من خلال تحليلها منطقيا إلى النتائج الضرورية المترتبة عنها.

من الخطوات الأساسية للمنهج الاستنباطي، الممكن تطبيقها في الوضعية التعليمية/التعلمية ما يلي[٣٥]:

- **مرحلة التحفيز**: هذه المرحلة لا تختلف عن مثيلتها في الدرس الاستقرائي، ويمكن اللجوء إلى نفس التقنيات الموظفة سالفا، ومنها:
  - ربط محتوى الدرس بالتجربة اليومية للطالب.
  - الإعلان عن الهدف من التعلم.
  - ربط محتوى الدرس الجديد بالمعلومات السابقة.
- **فهم واستيعاب المسلمات**: " تمثل المنطلق الأساسي للقيام بالعمليات اللاحقة في الاستنباط، ففيها يعمد المدرس على تقديم المسلمات أو البديهيات أو المقدمات بصورة واضحة ومركزة حتى يتمكن الطالب من استيعابها".

ويمكن إنجاز هذه المرحلة من خلال ما يلي:

* تقديم المسلمات أو المعطيات العامة، بصورة واضحة، أو العمل على استخراجها من طرف المتعلمين بواسطة السؤال حول معارفهم السابقة.

* العمل على ربط المعطيات العامة بالمعارف السابقة للطالب.

* التأكد من أن جميع الطلبة قد استوعبوا المعطيات العامة وتقبلوها.

* كتابة المعطيات العامة على السبورة بشكل بارز.

والمعطيات العامة، المقصود بها، كل المنطلقات المعرفية التي تعتمد في سير الاستدلال الاستنباطي خلال الدرس، فيمكن أن تكون قاعدة عامة، أو نظرية، أو مبادئ وتعريفات.

وكمثال على ذلك في درس فقه الصلاة، يمكن اعتبار القاعدة المقاصدية "الشرائع إنما وضعت لمصالح العباد" كقاعدة أو كمعطى عام يتم الانطلاق منه في سير الاستدلال الاستنباطي خلال تقديم هذه الحصة.

- **تحليل المسلمات**: " بعد فهم المعطيات العامة يمر الطالب إلى تفكيك هذه المعطيات إلى معارف جزئية ورصد العلاقات القائمة فيما بينها".

وكتتمة للمثال الذي تم تناوله في المرحلة السابقة، تحت عنوان: مقاصد الصلاة، تتحقق هذه الخطوة من خلال مرحلتين أساسيتين:

أولا: الكشف عن العناصر الجزئية: وذلك بالرجوع إلى المعطى العام، والمتمثل في هذه الحالة، بالقاعدة المقصدية: "الشرائع إنما وضعت لمصالح العباد"، ومحاولة الكشف عن المصالح المقصودة من وراء فرض الشرائع بأنواعها، مع توجيه سير النقاش للتركيز على عبادة الصلاة.

ثانيا: الكشف عن العلاقات: بعد رصد العناصر المختلفة المكونة لمقاصد الصلاة ينتقل التحليل إلى مرحلة إبراز وتحديد العلاقات القائمة بين العناصر، وذلك بمحاولة إيجاد القواسم المشتركة بين ما تم التوصل إليه من مقاصد، للخروج بخطاطة تشمل مقاصد الصلاة الروحية والتربوية والاجتماعية والصحية.

- **مرحلة الاستنتاج:** وتمثل مرحلة يتمكن فيها الطالب من الربط والتوليف بين مختلف المعارف الجزئية السابقة وإدماجها في نسق جديد.

ويمكن أن يأتي الاستنتاج الذي يتم التوصل إليه في الدرس الاستنباطي في صيغ متنوعة منها:

* إعادة صياغة المعطيات العامة في إطار مفاهيمي جديد.

* التوصل إلى استخلاص البنية أو القاعدة أو المبدأ الذي ينظم العناصر والعلاقات في المعطيات العامة.

* بناء صيغة جديدة يمكن أن تتجاوز المعطيات العامة التي شكلت منطلق الدرس.

- **مرحلة التطبيق:** وتمثل المرحلة الأخيرة في الدرس الاستنباطي، حيث تأتي التطبيقات و التمارين والتجارب والمحاولات لتثبيت النتائج المتوصل إليها وتأكيدها، وبالتالي تقييم مدى فهمها واستيعابها من طرف الطلبة.

ج. الطريقة البنائية (حل المشكلات).

الطريقة البنائية هي الطريقة التي تمكن المتعلم من اكتساب معارف و مهارات وقيم من خلال سيرورة بنائية تسمح له بممارسة التفكير كفعالية نظرية و عملية في نفس الوقت.

هذه الطريقة التي يصطلح عليها كذلك بطريقة حل المشكلات، وهي عبارة عن عمليات يستطيع الفرد بواسطتها استعمال معارفه و تجاربه المكتسبة سابقا ومهاراته للتوصل إلى حل مرتقب تتطلبه وضعية جديدة أو مألوفة و تتكون هذه العمليات من العناصر التالية: الإجابة عن مشكل الإجراءات والمناهج والاستراتيجيات المستعملة لإيجاد حل.[٣٦]

وتعتمد الطريقة البنائية منهجية محددة نلخصها فيما يلي:[٣٧]

- **مرحلة التحفيز(الإحساس بالمشكلة):** تعتبر هذه المرحلة بمثابة منطلق أساسي يدفع بعملية التفكير نحو بناء المعرفة، وذلك من خلال ، تنشيط و إثارة عمليات البحث و التفكير عند الطالب.

  و يشير الإحساس بالمشكلة إلى حالة توثر نفسي محدد (كتوتر أو اختلال معرفي، أو اهتمام أو حاجة أو غير ذلك) يحس بها الطالب عندما يجد نفسه مشغولا بموقف إشكالي لم تحدد معالمه بعد، بصورة دقيقة.
- **مرحلة تحديد المشكلة**: يقصد بهذه المرحلة الوصول إلى طرح أو إثارة مجموعة من الأسئلة أو التساؤلات تساعد على تحديد نوعية هذه المشكلة وتدقيقها أكثر، وذلك من خلال التركيز على طبيعتها، وعلى عناصرها وعلى مجالها وحدودها، بمعنى آخر؛ وضعها في إطارها الخاص، والتساؤل حول العناصر التي تثير الغموض فيها، و تحول دون فهم طبيعتها.
- **مرحلة صياغة الفرضيات**: بعد الانتهاء من عملية تحديد المشكلة و إبراز عناصرها الأساسية، تأتي مرحلة صياغة الفرضيات، أي وضع كافة التفسيرات الأولية التي تبدو ملائمة لفهم وتفسير المشكلة، و

الفرضية هي صيغة تفسيرية مؤقتة تنبني على إقامة علاقات مختلفة بين المشكلة (متغير تابع) والعوامل أو الشروط التي يفترض أنها تسببت في حدوثها (متغيرات مستقلة).

- **مرحلة الاستنتاج:** هي عملية التوصل إلى تأكيد أو نفي الفرضيات المفحوصة عن طريق تأويل وتركيب النتائج والمعطيات التي أسفرت عنها التجارب المقامة.

وسواء كانت الفرضية صائبة أو خاطئة، فإن الأمر يعتبر: في كلتا الحالتين، نشاطا معرفيا ذا قيمة متساوية، إذ ليس من الضروري أن يتم التوصل دائما إلى إثبات و تأكيد معارف وفرضيات، لأن نفيها يقدم أيضا خدمة وفائدة معرفية للمتعلم، تتجلى في استيعاب وإقصاء العناصر المعرفية الخاطئة.

- **مرحلة التطبيقات**: هي مرحلة يمكن القيام فيها بعمليات متنوعة تستهدف كلها إما إعادة التأكيد على الفرضية الصائبة أو البحث عن الشروط التي تبرز حدودها التفسيرية و التطبيقية، إضافة إلى عملية ثالثة أخرى يمكن أن تسمح بتطبيق وتوظيف المعرفة المستنتجة في مجال محدد.

خـــاتـمـــة

المهارات الفقهية تحتاج لتعلمها من قبل طلبة العلم الشرعي اعتماد طريقة في التدريس تزاوج بين الجانب النظري والتطبيقي؛ إذ التمكن من المعارف الشرعية وحدها لا يكفي لتكوين جيل من الطلبة يقوى على ممارسة الفقه وتنزيله، بل لا بد من مباشرة عمل الفقيه عن طريق التدرب على مهاراته للتمكن من قدراته؛ لذا فإن تدريس المهارات الفقهية يحتاج إلى اعتماد طرق التدريس النشيطة التي تجعل المتعلم في قلب العملية التعليمية التعلمية،

وقد شكل الإلقاء والتلقين في التدريس الجامعي عموما ظاهرة مشاهدة في المدرجات الجامعية، لها آثار بادية على مستوى تحصيل الطلبة و دافعية التعلم لديهم، والتي يربطها أساتذة العلوم الشرعية غالبا بطبيعة المواد الشرعية التي تشكل المعرفة الشرعية والنصوص المقدسة مادتها الأساس.

النتائج والتوصيات

ولقد أفضت الدراسة إلى تسجيل جملة من الخلاصات والتوصيات، نذكر بعضها في ما يلي:

- إذا كان الطالب في حاجة إلى أن يكتسب عددا من الحقائق والمعلومات المنظمة، ينتقل بها خلال مراحله الدراسية المختلفة حتى يتخرج في النهاية وقد اكتسب نوعاً من الثقافة والمعرفة في مجال

تخصصه، فهو في حاجة أيضا إلى أن يكتسب عدداً من المهارات التي تحتاج بالمثل إلى نوع من التنظيم والتحديد، أو بمعنى آخر يجب أن تشملها المناهج الجامعية ويعد الطالب لاكتسابها.

- تدريس العلوم الشرعية عموما والفقه على وجه الخصوص لا يقتصر على مجرد تلقين المعارف بشكل شفهي محض واستدعاء الموارد المعرفية للشرح، بل يجب استحضار البعد المهاري والقيمي للمادة المدرسة وذلك لتنمية التفكير العلمي لدى الطلبة والرقي بملكاتهم العقلية.

- التفاعل اللفظي في حصص دروس المواد الشرعية ضعيف حيث لا تتحقق مشاركة فعالة للطلبة في بناء الدرس، وذلك يرجع بالأساس إلى طبيعة الطريقة الموظفة في تمرير محتوى المادة الدراسية؛ إذ التركيز على أشكال الإلقاء المختلفة، أو في أحسن الحالات توظيف الحوار العمودي، وفي الحالتين معا يبقى دور الطالب سلبيا؛ فهو إما في حالة تلقي الخطاب أو إجابة ميكانيكية عن أسئلة استرجاعية أو إيحائية.

- طرق التدريس عديدة ومتنوعة، وعلى عاتق الأستاذ اختيار الطريقة الأنسب لدرسه وذلك باستحضاره لطبيعة المادة المدرسة والفئة المستهدفة والأهداف المسطرة.

- التكوين الأساس والمستمر ضرورة ملحة لضمان مواكبة الأساتذة للمستجدات في الحقل التربوي، وهذا يحيلنا إلى الحديث عن مدى نجاعة التكوين الأساس والتكوينات المستمرة التي يخضع لها الأساتذة في الأسلاك التعليمية المختلفة، كما يحيلنا على أهمية خضوع المقبلين على التدريس بالتعليم الجامعي لتكوين أساسي من بين مجزوءاته طرق التدريس في علاقتها بالمادة المدرسة، ودورات تكوينية أساسية في نفس الموضوع تتم برمجتها بشكل دوري يسهر على تنزيلها خبراء في المجال التربوي على الصعيد الوطني والدولي.

المراجع

(١) Mialaret Gaston : Lexique éducation ; Puf ; Paris , 1981 p :119

(٢) نفسه ص: ١٢٠

(٣) الحسن اللحية، موسوعة الكفايات و الألفاظ و المفاهيم و المصطلحات، (مركز حقوق الناس،٢٠٠٦م)، ط١ ، ص: ٢٣٣.

(٤) الأساتذة عبد الكريم غريب و عبد العزيز الغرضاف وآخرون، معجم علوم التربية، ص: ٢٠٩.

(٥) فاطمة الحسيني، كفايات التدريس وتدريس الكفايات آليات التحصيل ومعايير التقويم، (دار العالمية للكتاب،٢٠٠٥م) ط١، ص: ١٤٣.

(٦) الأساتذة أبو طالب محمد سعيد و رشراش و أنيس عبد الخالق، علم التربية التطبيقية و تكنولوجيا تدريسها وتقويمها، (دار النهضة العربية،٢٠٠١م)، ط١، ص: ٩٦.

(٧) محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (دار القلم،١٩٨١م)، ط ٤، ص: ٥٣٣.

(٨) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (دار الكتب العلمية،١٩٨٦م) ط ١، ص: ٢٧.

(٩) أحمد الفنيش، أصول التربية، ص: ١٤٠

(١٠) انظر مثلا: قي بالماد، كتاب الطرائق البيداغوجية، ترجمة البشير الزريبي، (تونس ١٩٧٠م).

(١١) Filloux (J.C): l'Ecole traditionnelle et l'école nouvelle face à face , in l'Education Nationale, n 21-1962.

(١٢) POSTIC : La relation éducative – Ed.PUF p :96.

(١٣) أحمد شبشوب، مدخل إلى الديداكتيك، الديداكتيك العامة، دفاتر في التربية، ع:٤، (منشورات رمسيس الرباط، ١٩٩٧م) ص: ٦٤

(١٤) نقلا عن المرجع السابق ص: ٦٤.

(١٥) انظر: الأساتذة: عبد الكريم غريب وعبد العزيز الغرضاف وآخرون، في طرق وتقنيات التعليم، (مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٢م)، ص:١٢٨.

(١٦) الأساتذة: عبد الكريم غريب وعبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية، (م س)، ص:٢٠٧.

(١٧) محمد الدريج، تحليل العملية التعليمية، (مجلة الدراسات النفسية و التربوية، ١٩٨٦م)، ط ٢، ص:٧٤.

(١٨) محمد زياد حمدان، طرق و تقنيات التدريس و التدريب، (دار التربية الحديثة، بدون)، ص ص :١٢،١٣ .

(١٩) أخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع به رقم ٧٩٨ ٥٤٩/١

(٢٠) أخرجه البخاري باب "يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا" رقم الحديث: ٤٩٣٧ ١٦٦/٦

(٢١) ابن منظور، لسان العرب، ١٨٥/٥

(٢٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، ٨٨٩/٢

(٢٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، جمهرة اللغة، ٨٠٤/٢

(٢٤) تاج الدين السبكي، جمع الجوامع، ص:١٣.

(٢٥) أبو الطيب محمد صديق خان الحسيني البخاري القِنَّوجي، أبجد العلوم، (دار ابن حزم،١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م) ط ١، ص:١٦٥.

(٢٦) فتحي الدريني، المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، ص:١٤.

(٢٧) نفسه ص:١٤

(٢٨) عبد المجيد النجار، فقه التدين فهما وتنزيلا، ص:١٢.

(٢٩) بدر الدين الزركشي، البحر المحيط، ٢٢٨/٦

(٣٠) الأساتذة: عبد الكريم غريب و عبد العزيز الغرضاف وآخرون، معجم علوم التربية، (م س)، ص: ١٦٤.

(٣١) نفسه، ص: ١٦٤.

(٣٢) عبد الحميد فايد، رائد التربية العامة وأصول التدريس، (دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤م)، ص:٥٥.

(٣٣) الأساتذة: إبراهيم عصمت مطاوع، واصف عزيز واصف، التربية العملية وأسس طرق التدريس، (دار النهضة العربية، ١٩٨٦م)، ص:٣١.

(٣٤) انظر: الأساتذة: عبد الكريم غريب وعبد العزيز الغرضاف وآخرون، في طرق وتقنيات التعليم، (م س)، ص:١٥٥ وما بعدها.

(٣٥) انظر: الأساتذة: عبد الكريم غريب وعبد العزيز غرضاف وآخرون، في طرق وتقنيات التعليم، (م س)، ص: ١٦٤ وما بعدها.

(٣٦) الأساتذة: عبد الكريم غريب، عبد العزيز الغرضاف وآخرون، معجم علوم التربية، (م س)، ص: ٢٨٧.

(٣٧) انظر: الأساتذة: عبد الكريم غريب وعبد العزيز الغرضاف وآخرون، في طرق وتقنيات التعليم، (م س)، ص ص: ١٧١-١٧٤

أ.م.د.فتحي سالم حميدي
جامعة الموصل /كلية العلوم الإسلامية
قسم الحضارة الإسلامية
fathe.salim@gmail.com

Received: 6/12/2023
Revised: 11/12/2023
Accepted: 15/1/2024
Published:25/1/2024

دور الأستاذ الجامعي في تطوير الدراسات الإنسانية وفق تحولات العصر
الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد انموذجاً

مقدمة

قبل البدء بتناول السيرة الذاتية والعلمية للأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد رحمه الله، لابد من تقديم نبذة مختصرة عن الحياة العملية في مدينة الموصل وجذورها التاريخية لفهم آثارها على الجوانب العلمية للمدينة وأبنائها الذين رفدوا الحضارة العربية الإسلامية بكثير من الإنجازات في مجال العلوم المختلفة، إذ لم يقتصر دورهم على الموصل فقط، بل تعداه إلى مدن العراق المختلفة ، ولاسيما أن مدينة الموصل أصبحت إحدى مراكز الإشعاع الفكري في العالم منذ العصور الإسلامية الأولى، فقد نشأت فيها العديد من المؤسسات العلمية المختلفة من دور علم ومدارس ومكتبات ()، وكان العلماء والفقهاء وطلبة العلم يلجئون إليها للقراءة والكتابة ويحصلون بالمجان على ما يحتاجونه من أوراق وأقلام()، فخرَّجت هذه المدينة عددًا كبيرًا من الفقهاء والعلماء الموصليين في مختلف مجال العلوم ، وكانوا بحق من رواد الحضارة العربية الإسلامية وأعلامها .

لقد كان لطبيعة التركيبة السكانية لمدينة الموصل دورها المؤثر في ازدهار الحركة العلمية ، فضلاً عن رغبة سكانها في التعلم ومواكبة الحركة العلمية ، والإطلاع على معارف الآخرين()، ولاسيما الدينية، ويرجع هذا الاهتمام إلى تمسكهم بالدين وحرصهم على تطبيق أحكامه وتعاليمه()، ومن العوامل الأخرى التي كان لها دور كبير في ازدهار الحياة العلمية، سعي أبنائها وجدهم للرحلة في طلب العلم ، إذ لم يكتفوا بما يتلقونه من الدروس في مدارس مدينتهم على أيدي علمائها ، فأخذوا بالسفر إلى مختلف دول العالم ، لتحقيق مستويات علمية أفضل، والحصول على شهادات عليا() ، فكان الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد

واحداً من ابرز أبنائها الذين أسهموا في تقدم الحياة العلمية في المدينة الموصل ، ولاسيما جامعتها العريقة، إذ كان واحداً من ابرز مؤسسيها .

المبحث الأول : السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد

يعد الدكتور الأستاذ عبد المنعم رشاد محمد فتاح أبو هلة رحمه الله من أساتذة جامعة الموصل البارزين في مجال التعليم العالي والبحث العلمي ، ومؤرخ من نوع فريد كان له دور فاعل في دراسة وتدريس التاريخ فيها[١]، وليس ذلك فحسب بل يعد من المؤسسين الأوائل والرئيسيين لجامعة الموصل وله دور كبير في تطورها وتقدم الجانب العلمي من خلال ما بذله من جهدٍ علمي وإدارياً أثناء توليه منصب عمادة هيئة الإنسانيات التابعة لجامعة بغداد [٢] .

ولد الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد في مدينة الموصل سنة ١٩٣٢م [٣] من أسرة موصلية بسيطة تسكن في احد أحياء الموصل القديمة ، وأكمل فيها دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية ، ثم قبل طالباً في جامعة بغداد كلية الآداب قسم التاريخ سنة ١٩٥٢م وتخرج منه بعد حصوله على شهادة البكالوريوس في التاريخ سنة ١٩٥٧م [٤] ، ليعمل تدريسياً في احد مدراس الموصل في سنة ذاتها[٥]، إلا انه لم يلبث أن سافر إلى المملكة المتحدة ليلتحق بجامعة لندن لدارسة الدكتوراه في نهاية سنة ١٩٥٧م ، فحصل على شهادة الماجستير والدكتوراه في سنة ١٩٦٣م من معهد الدراسات الاستشراقية والأفريقية SOAS بتقدير امتاز عن أطروحته الموسومة بـ(الخلافة العباسية ٥٧٥- ٦٥٦ هـ / ١١٧٩- ١٢٥٨ م)[٦] التي اشرف عليها المستشرق برنارد لويس[٧]، ثم عاد إلى العراق ليعمل تدريسياً في قسم التاريخ كلية الآداب جامعة بغداد حتى سنة ١٩٦٦م[٨]، فضلاً عن عمله كعضو مجلس إدارة في المركز الوطني لحفظ الوثائق (دار الكتب والوثائق) ببغداد للفترة من ١٩٦٣م وحتى سنة ١٩٦٦م، عندما كان تابعا لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في بداية تأسيسه، ثم تحولت تبعيته لوزارة الثقافة بعد ذلك ، فادى الدكتور عبد المنعم بمعية اثنين من زملائه ، وهما الأستاذ الدكتور ياسين عبد الكريم رحمه الله والأستاذ الدكتور عبد الأمير محمد أمين دوراً كبيراً في تطوير المركز علمياً وإدارياً[٩]، وذلك لأهميته إذ ضم عند تأسيسه وثائق البلاط الملكي العراقي التي اكتشفت بعد سقوط النظام الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨ تأسيس جمهورية العراق على يد الزعيم عبد الكريم قاسم[١٠] التي لا زال المركز يحتفظ بها إلى يومنا هذا[١١] .

المبحث الثاني : النشاطات الإدارية التي زاولها

كلف الدكتور عبد المنعم رشاد رحمه الله في سنة ١٩٦٧م من قبل الدكتور صالح احمد العلي والدكتور عبد العزيز الدوري في جامعة بغداد بتولي عمادة هيئة الإنسانيات في الموصل والتابعة لرئاسة جامعة بغداد[٥]، فبذل خلال توليه هذا المنصب جهداً إدارياً لا يقل عن جهده العلمي من اجل تطوير الهيئة علمياً وإدارياً لتصبح فيما بعد كلية الآداب بعد استقلال جامعة الموصل عن رئاسة جامعة بغداد ، وبقي عميداً لها حتى سنة ١٩٧٣م ليكون مؤسسها وأول عميد لها [١٨]، كما كان رئيساً لقسم التاريخ للفترة من سنة ١٩٦٦ وحتى سنة ١٩٦٧م إلى جانب عمله عميداً [١٩]، وفي أثناء ذلك كان الدكتور عبد المنعم رشاد احد أعضاء اللجنة التي تشكلت بأمر وزاري بتاريخ ١٩/ ١٩٧١/٩م برئاسة محافظ نينوى ، وعضويته ؛ وعضوية مدير التربية والتعليم ، ومدير متحف الموصل ، ومدير وكالة الأنباء ، ومدير التلفزيون ، وممثل عن الأدباء والشعراء في المحافظة ، وذلك من اجل القيام بالمهام الإدارية والتنظيمية والثقافية المتعلقة بمهرجان أبي تمام في الموصل ، فضلاً عن إلقائه كلمة الجامعة عن الشاعر أبي تمام[٥] .

بعد أن ترك الدكتور عبد المنعم منصب عمادة كلية الآداب ، تفرغ لممارسة الكثير من النشاطات العلمية الأخرى ، إذ سافر إلى المملكة المتحدة في سنة ١٩٧٦م ليصبح أستاذ زائر في جامعة كارديف، فألقى فيها الكثير من المحاضرات في مجال اختصاصه ، ثم عاد في إلى العراق في سنة ١٩٧٨م ليعمل عضواً للهيئة التدريسية إلى جانب زملائه من أساتذتنا الأفاضل في قسم التاريخ حتى سنة ١٩٨٠م[٢٠]، ليتولى منصب رئاسة القسم للمرة الثانية للفترة من سنة ١٩٨٠ وحتى سنة ١٩٨١م) [٢١]فيقوم من جديد بدورٍ بارزٍ في تطوير القسم والرفع من مستواه العلمي بخطته العلمية وكادره المتكامل، ووضع لمساته على مناهجه التعليمية خلال توليه المنصب ليترك رئاسته في سنة ١٩٨١م لزملائه الآخرين ليمارسوا حقهم في العمل الإداري، ومن النشاطات الأخرى التي مارسها الدكتور عبد المنعم رشاد توليه رئاسة جمعية المؤرخين والآثاريين العراقيين فرع نينوى في سنة ١٩٨١م ليبقى فيه حتى سنة ١٩٩٢م[٢٢].

تسنم الدكتور عبد المنعم رشاد رئاسة قسم التاريخ للمرة الثالثة في سنة ١٩٨٥م، واستمر فيها حتى سنة ١٩٨٩م ليترك العمل الإداري في قسم التاريخ حتى وفاته [٢٣]وينشغل في العملية التدريسية في مرحلة الدراسات الأولية والعليا ، واهتمامه بالعملية البحثية التي كرس حياته لها، وعلى الرغم من ذلك فقد مارس العمل في العديد من اللجان التي ترأسها في قسم التاريخ كاللجنة العلمية ولجنة الدراسات العليا ولجنة

الترقيات في كلية الآداب لعدة سنوات ، وصار عضوا في مجلس جامعة الموصل ، ثم تولى رئاسة تحرير وعضو هيئة للعديد من المجلات العلمية والأكاديمية المحكمة ولعدة سنوات كمجلة آداب الرافدين التي تصدرها كلية الآداب/جامعة الموصل ، فضلاً عن الإشراف على طلبة الماجستير والدكتوراه ، فاشرف على ما يربو الثلاثين رسالة ماجستير وأطروحة دكتوراه ، كما ناقش المئات منها في جامعة الموصل وغيرها من الجامعات العراقية الأخرى ، واشترك الدكتور عبد المنعم رحمه الله خلال مسيرته في العديد من المؤتمرات والندوات في داخل القطر وخارجه[٥]، فكان بحق واحداً من المؤرخين الموصليين الذين وصفهم الدكتور العلاف في مقدمة كتابه بأنهم : **((ارسوا قواعد المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، وقدموا عصارة جهدهم على مدى أكثر من خمسة عقود من الزمن))**[٦] .

وعندما افتتح قسم الفلسفة في كلية الآداب / جامعة الموصل في سنة ١٩٩٥م تم اختيار الدكتور عبد المنعم رشاد رئيساً له لما يمتلكه من مؤهلات علمية ومعرفة كبيرة واطلاع واسع في مجال الفلسفة ، فضلاً عن خبرته الإدارية التي اكتسبها من خلال عمله كعميد للكلية ورئيساً لقسم التاريخ لمرتين ، فبقي رئيساً لقسم الفلسفة لمدة ست سنوات ، قدم خلالها أفضل ما يمكن ان يقدمه من اجل تطوير هذا القسم الناشئ والارتقاء به إلى مصاف أقسام الكلية الأخرى[٧]، إلا انه قدم إعفاء عن رئاسة قسم الفلسفة في سنة ٢٠٠٢م ليترك المجال للأساتذة المختصين في ممارسة حقهم الطبيعي في إدارة القسم وتطويره ، لاسيما وهو الرجل الذي لم تغره مظاهر الدنيا ومناصبها .

المبحث الثالث : منهجه المميز في إلقاء المحاضرات

تخصص الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد بالتاريخ العباسي الذي برع فيه مدرساً وباحثاً بشكل جلي لحظه الجميع ، ولاسيما الفترة الواقعة بين سقوط بغداد على يد المغول سنة ١٢٥٨موسيطرة العثمانيين على بغداد سنة ١٥٣٤م، التي أطلق عليها الفترة المظلمة ، وقد عمل على تدريب عدد من طلابه للكتابة حول هذه الفترة والاهتمام بها وبمصادرها ، كما احتلت دراسة الأفكار العقائدية للأمم الأخرى كالفرس جزءاً كبيرة من دراساته التاريخية ، وما أفرزته تلك الأوضاع من نتائج كانت تقف وراء ظهور المانوية والمزدكية والخرمية وغيرها على مسرح الأحداث ، مما شغل الدولة العربية الإسلامية ردحاً من الزمن[٨] .

إن الأستاذ الدكتور عبد المنعم رجل موسوعي وشمولي بكل معنى الكلمة ، فضلاً عن كونه إنساناً ودوداً في طبعه موسوعيا في ثقافته ، فلا يتم الحديث في موضوع ما إلا وله فيه رأي وإضافة ، ولم يكن ذلك الرأي أو الإضافة إضافة عادية لرجل مثقف واسع الاطلاع فقط ، وإنما كانت إضافة المتخصص البارع ، فحين يجري الحديث معه عن الحياة ، الكون ، الأرض، الأزهار، الصناعة ، الزراعة ، الكتب ، السياسة ، الجامعات ، الأحزاب ، الأديان ، الفرق والمذاهب، فللدكتور عبد المنعم معرفة ممتازة حول كل هذه المواضيع وأكثر، وبذلك يمكن وصفه بأنه : ((موسوعي في ثقافته ، وشمولي في نظرته ، ودقيق في آرائه ، ورصين في حديثه))[٥٩] ، كما وصفه وأنصفه أستاذنا الأستاذ الدكتور جزيل الجومرد الذي كان احد طلبته المتميزين بأنه : ((كانَ يمثلُ نمطاً من الأساتذة لم يَعُد موجوداً الآن، كان متميزاً في سمته ومظهره وأسلوبه، ولهذا فقد كان يمثلُ حضوراً متفرداً لذلك الطراز من الأساتذة النمطيين الجيدين الذين كنا نقرأ عن أمثالهم كنماذج أكاديمية كنا بحاجةٍ إلى أن نُقابل أمثاله في الوسط الجامعي لنشعر فعلاً بأجواءٍ جامعية حقيقية كجانب من الرومانسية التي يبحثُ عنها الطلبة الجدد مفتتح قدومهم إلى الجامعة))[٦٠].

فقد عرفناه طلبة في البكالوريوس والماجستير والدكتوراه وليس في مجال التاريخ فقط ، وإنما في جميع الاختصاصات علمية وإنسانية على حدٍ سواء ، فكان يرفدنا أثناء محاضراته التي يلقيها علينا بكل ما نحتاجه من معلومات قيمة في التاريخ الإسلامي ، ولاسيما في التاريخ العباسي ، بل كنا كثيراً ما نفاجئ في كل محاضرة تلقى علينا بمعلومة جديدة لم نسمع بها من قبل ونحن طلبة ماجستير ودكتوراه ، وهذا ما كان يدفعنا إلى الاستفادة منه واستثمار وقت المحاضرة دون إضاعة دقيقة منها.

كان الدكتور عبد المنعم رحمه الله يجيد التكلم بأكثر من لغة منها الانكليزية والألمانية ، كما كانت له محاولات مكثفة لتعلم اللغة الفارسية (الفهلوية القديمة) ، وعلى الرغم من صعوبتها مقارنة باللغات الأخرى ، إلا انه أجادها بنسبة ٥٠% [٣١].

عرف الأستاذ الدكتور عبد المنعم بانضباطه في العمل والتزامه في قواعد البحث العلمي واستغلاله للوقت واستثماره استثماراً جيداً سواء في عمله أم في منزله ، **كما كان له منهجه وطريقته الخاصة في إلقاء المحاضرات المميزة ، أثناء تدريسه لمادة التاريخ العباسي في المرحلة الثالثة** ، والتي وقف عليها طلبته الذين عدوه أسلوبا ومنهجاً اختلف به الأستاذ الدكتور عبد المنعم عن غيره من الأساتذة ، فكثيراً ما كان يقول لطلابه ويكرر عليهم : ((اتعب الآن فسوف تقطف ثمارك غداً)) [٣٢] **وأبرز ما تميز به هذا المنهج :**

١. استغلال وقت المحاضرة دون إضاعة دقيقة منه ، فكان يباشر في شرح الموضوع بمجرد الوقوف على المنصة ، ولا يتوقف الا بعد انتهاء وقتها .

٢. تقديم الأسئلة والإضافات عن كل محاضرة في بداية المحاضرة التالية ، وهذه برأيي طريقة جيدة يعد الدكتور عبد المنعم مبتكراً لها ، إذ تمكن الطالب من الاستفهام عما لم يفهمه بعد أن يقوم بتبييض المحاضرة وإعادة قراءتها .

٣. عدم الانزعاج من كثرة الأسئلة حتى وان كانت خارج نطاق تخصصه أو موضوع المحاضرة ، ففي الوقت الذي كان يبادرُ بعض الطلبة بطرح الأسئلة، كان يفاجئنا أحياناً بنقد منطوق السؤال وتبيان عيوب موضوعه أو منطوقه !! وبذلك أصبحَ الطلبة يدركون أنّ طرح الأسئلة يتطلب الجرأة والإعداد البيتي المناسب، وصاروا - فعلاً - يتفحصون الموضوع وينقبون فيه قبل أن يجدوا سؤالاً حرياً بالنقاش.. فكانوا يقرؤون بدقة حتى يضعوا أسئلة أكثر دقة، وهم يعلمون أنه يُثمّن ذلك ويحسبه رصيداً للطالب[٣٣] .

٤. لم نلحظ عليه أي انفعال طيلة تدريسه لنا ، فكان الهدوء مسيطراً عليه دائماً ، وترتسم الابتسامة على وجهه رحمه الله ، مما شكل حافزًا لنا للاستفسارات والتحاور معه في أي موضوع دون تردد [٣٤].

٥. لا يمرّ على نص تاريخي أو سياسي أو فكري إلا وأعطاه حصته من الوقت بما يتناسب مع ذلك الحدث ، وبذلك قد سد فراغاً في التاريخ العباسي وما يعاصره من تواريخ الأمم والشعوب[٣٥].

٦. كان ماهرا في ممارسة النقد التاريخي عملياً من خلال استطراداتهِ المبهرة في تحليل موضوع سقوط الدولة الأموية، وانتشار الثورة العباسية، وقيام دولة بني العباس، وتطور نظمها، وعرض شخصيات خلفائها.. كما علّمنا كيف ننظرُ إلى المصادر التاريخية على أنها نتاج مؤلفين يجب إخضاع ميولهم للدرس النقدي المستفيض ، وتشخيص اتجاهاتهم وأهوائهم المتباينة، كمدخلٍ لفهم مضامين نصوصهم التي قدموها[٣٦].

٧. كان كثير الوقوف عند الروايات التاريخية القديمة وتحليل ما يمكن تحليله منها .

٨. عند عرضه للنصوص كان يستدرج الطلاب إلى استنتاجات واجتهادات ، وقد علمنا أن يكون للباحث رأياً خاصاً أو مناقشة للنصوص .

٩. كما كان ينظر إلى الحدث التاريخي أثناء المحاضرة بكل أبعاده ، ويدعو طلابه إلى أن يتعمقوا في فهم

التاريخ واكتشاف بواطنه ، كما كان له نظرة خاصة للتاريخ ، فهو يؤكد على انه تاريخ واحد ، لأنه يمثل حركة الحياة ، كما أشار في العديد من المحاضرات التي كان يلقيها على طلبته أن لا حدود بين الحقب التاريخية بقدر ما هي لتسهيل دراسته[٣٧].

١٠. القدرة على استحضار التفاصيل النادرة الثمينة من المعلومات أثناء المحاضرة أو المناقشة ، فضلاً عن التنقل بين المواضيع القريبة من بعضها وربطها إلى درجة عالية حتى أنهُ لا يكاد يُشعرك أنهُ غادر موضوع الحديث إلى غيره مع المزيد من التفاصيل التي تثري معرفة المتلقي[٣٨] .

١١. عدم تحرجه من إعطاء وجهة نظره بشكل مباشر وفي أي موضوع مهما [٣٩].

المبحث الرابع : منهجه في كتابة البحث التاريخي ونتاجه العلمية

أما منهجه في الكتابة والبحث العلمي فكان له منهجاً خاصاً في الكتابة التاريخية لا يقل أهمية عن طريقته التي تميز بها في إلقاء المحاضرات ، ويتضح هذا بشكل جلي من خلال كتاباته التي قدمها ، على الرغم من قلتها إذ ما قارناها بالمكانة العلمية والسمعة العلمية التي كان يحظى بها ، فتطرق إلى ذلك الدكتور جزيل الجومرد قائلاً : ((إن مشكلة الأستاذ عبد المنعم رشاد الرئيسة هي إنهُ لم يكتب كثيراً، بل إنهُ لم يكتب إلا قليلاً جداً، ومن هنا فإنّ من لم يلازمه لن يجد بسهولة يوماً طريقاً إلى معرفته للأسف . إنني أقرنه دائماً بعملاق الدراسات الصليبية الأمريكي المشهور دانا كارلتون مونرو، والذي لم يُعرف حق المعرفة من خلال القليل الذي كتبه، ولكن من خلال الكثير الذي تحدثَ به عنه كبار طلبته، ولولاهم لضاع علينا فَهْمُ سبب ذلك التطور والاهتمام الهائل في دراسة وأسلوب تناول تاريخ الحروب الصليبية في أمريكا)) ، كما أشار الدكتور جزيل أيضا إلى أن هناك أكثر من سبب كان يكمن وراء قلة كتابات الدكتور عبد المنعم ، قائلاً : ((أحدُها كان يُصرح به أحياناً للقريبين منه، وهو ما جدوى الكتابة أساساً..!!! ولا أعرف لماذا كان هذا رأيه، وهو الرجلُ الذي عرف عنه قراءته النهمة المتنوعة، وعشقه للقراءة!!! إلا أنني لا أظنه كان يعني ما يقول بجدية في هذا الشأن، وربما كان فقط يبحث عن مسوغات عزوفه عن كثرة الكتابة. أنا أرجحُ أنّ سبب شحة كتابته هو صعوبة حجر نفسه في الموضوع الضيق الذي يفترض أن يحصر نفسه فيه عند الكتابة الأكاديمية الجادة، وهو الذي عُرف عنه عدم التقيد الحرفي بالموضوع، والرغبة في الاستطراد والاتساع في الحديث، والتنقل بين المواضيع المتقاربة، كشأنه في محاضراته، وهو ما ليس منتهجاً تماماً في كتابة البحوث الضيقة

الموضوع .يذكرني هذا تماماً بما رواه كبير مؤرخي العلوم، جورج سارتون، حيث فاجأه أحد تلامذته بعد أن نشر كتابه المذهل "مدخل إلى تاريخ العلوم" بقوله له: لقد خاب ظننا فالكتاب لا يشابهُ محاضراتك الحيوية الرطبة التي كنت تلقيها علينا))[٥] .

إن أهم ما تميز به منهجه الأكاديمي البحثي بـالنقاط التالية :

١. كثرة التحليل والمناقشة والاستنتاج والاستنباط ، الذي تميز بالحيادية في معالجة الأحداث ، دون أن يكون للانحياز أي موقع في الدراسات التي قدمها .

٢. تميز منهجه من خلال دراساته التي قدمها عن التيارات السياسية التي عصفت بالدولة العباسية ، بالكشف عن أصولها وجذورها غير العربية ، فأعطى صورة واضحة عن الدولة العباسية كانت مستوحاة من النصوص التاريخية التي أوردتها المصادر القديمة سواء الإسلامية أو غير إسلامية.

٣. اعتماده على الروايات التاريخية من مصادرها الأولية .

٤. استخدام عملية تفكيك النصوص التاريخية للتوصل إلى أفضل وأدق النتائج العلمية .

٥. لغته الرصينة وأسلوبه الواضح أثناء عرض المعلومة التاريخية .

٦. منهجية البحث الدقيقة في التوثيق ورصانتها العالية .

٧. دقة الآراء التي كان يقدمها في الروايات المختلف عليها من لدن المصادر الأولية ، ويرجع إلى سعة اطلاعه وتمحيصه الدقيق في جميع الجوانب والظروف المحيطة بكل منها .

أما أشهر مؤلفاته فتنقسم إلى قسمين :

أولاً : الكتب المنشورة

١. دراسات في التاريخ الساساني

٢. اليونان والرومان في التاريخ والحضارة بالاشتراك مع الدكتور عادل نجم عبو

٣. الأمين الخليفة المفترى عليه بالاشتراك مع الدكتور موفق سالم الجوادي

٤. إدارة المؤسسة العسكرية العباسية بالاشتراك مع الدكتور موفق سالم الجوادي

لقد أشار الدكتور إبراهيم خليل العلاف من خلال مدونته المنشورة على شبكة الانترنيت أن للدكتور عبد المنعم كتب أخرى منها :

١. الإسلام في جنوب شرق آسيا

٢. تاريخ الدولة العباسية في عصورها المتأخرة[٥].

وبعد البحث عن هذه الكتب في المكتبات والتحقق من وجودها من خلال بعض زملائه وطلبته ممن يعملون الآن أساتذة في كلية الآداب / قسم التاريخ ، لم نتمكن من العثور عليها ، بل أشار بعضهم إلى عدم تأليفه لهذه الكتب ، وعلى ما يبدو أن الدكتور العلاف التبس عليه الأمر فيها ، فهي ربما كانت بحوثاً لا كتباً .

لقد أكد طالبه الوفي الأستاذ المساعد الدكتور نايف محمد شبيب أن الدكتور عبد المنعم رشاد كان قد ألف كتاب لم ينشر تحت عنوان ((الإسماعيلية)) ، وعندما سأله عن سبب تأليف هذا الكتاب ، ولاسيما أن مشرفه المستشرق برنارد لويس له كتاب في هذا الموضوع تحت عنوان ((أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية)) الذي راجعه وقدم له الدكتور خليل احمد خليل[٦] أجابه بأنه وضح فيه جوانب غفل عنها مشرفه لويس أو لم يتطرق إليها أساساً[٧] .

كما شارك في إعداد موسوعات مهمة أبرزها :

١. موسوعة حضارة العراق التي تتكون من ثلاثة عشر مجلد
٢. موسوعة الموصل الحضارية التي تتكون من خمسة مجلدات[٨].

ثانياً : البحوث المنشورة

أما بحوثه فله أكثر من ثلاثين بحث في مختلف العصور التاريخية ، إلا أن جلها كان في حقبة العصور الوسطى وفي العصر العباسي تحديداً ، وهي منشورة في عدد من المجلات العراقية والعربية ، منها :

١. الغزو الفارسي للحضر منشور ضمن أعمال ندوة الحضر التي أقامها قسم التاريخ / كلية الآداب /جامعة الموصل في الثمانينات من القرن الماضي .
٢. الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، منشور في مجلة آداب الرافدين ، (الموصل: ١٩٧١م) العدد الثاني .
٣. احتلال المغول لبغداد ، منشور في مجلة آداب الرافدين، (الموصل: ١٩٧٠م) : العدد الأول .

٤. دور الموصل في مواجهة الغزو المغولي بحث منشور ضمن أعمال الندوة الثاني الموسومة ب((دور الموصليين في مواجهة التحديات الأجنبية والدفاع عن العراق العظيم)) التي عقدها مركز دراسات الموصل في ١٩٩٥/٨/١٥.

٥. قصة مقتل آخر الخلفاء العباسيين[٥] .

ثالثاً : البحوث غير المنشورة

لقد ترك الدكتور عبد المنعم العديد من البحوث والمقالات المخطوطة غير المنشورة التي لم يتسن له إكمالها أو نشرها بسبب مرضه وفقدانه للبصر في أيامه الأخيرة أو بسبب وفاته وأهمها :

١. " دور الموصل في الحروب الصليبية " قام بالإشراف على طبعه مدير المكتبة المركزية في جامعة الموصل الدكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم

٢. " الاسكندر المقدوني " بحث مخطوط غير منشور

٣. "حصار نادر شاه للموصل "

المبحث الخامس : الجوائز التي حصل عليها

أن الجوائز العلمية التي تمتع بها الدكتور عبد المنعم رشاد رحمه الله ومنهجه الرصين في عملية البحث التاريخي التي وضع أسسها ووطد أركانها منذ تأسيس قسم التاريخ في كلية الآداب جامعة الموصل ، لتصبح منهجاً يسير عليه الباحثون في هذه الجامعة وغيرها من الجامعات العراقية الأخرى ، جعلته محط أنظار المهتمين بدراسة التاريخ سواء على مستوى الأشخاص أو المؤسسات ، فتم منحه عدة جوائز من جهات عدة وهي :

١. منح وسام المؤرخ العربي في سنة ١٩٨٦م من قبل اتحاد المؤرخين العرب.

٢. منح وسام جامعة الموصل في سنة ١٩٩٨م من رئاسة جامعة الموصل .

٣. حصل على وسام الأستاذ الأول في جامعة الموصل لسنة ١٩٩٩م .

أشار الأستاذ الدكتور العلاف في جميع كتاباته عن الدكتور عبد المنعم رشاد رحمه الله إلى انه رجل ((وطني.. عميق الشعور بوطنيته.. موصلي عميق الإحساس بموصليته .. عربي ..عميق الشعور بقوميته .. إنساني عميق الشعور بإنسانيته.. ليس منغلقاً على نفسه ، نوافذه مفتوحة .. بل هو نافذة طلابه وزملائه على العالم.. فطالما حرص على نقل تجربته الرائعة والغنية في بلاد الغرب وتحدث عنها.. حديث

العارف الناقد الذي خبر الحياة هناك وسبر غور بواطنها.. وليس حديث الذي ذهب إلى هناك .. ليدخل من باب ويخرج من آخر.. دون أن تترك تجربة الغرب عليه وعلى سلوكه وثقافته أي اثر))[٦٤]

عندما كنا طلبة في مرحلة الدكتوراه أنا وزملائي الدكتور فائز علي بخيت والدكتور مصعب حمادي نجم في كلية العلوم الإسلامية قص لنا الدكتور عبد المنعم رحمه الله حكايته مع جمعية تعنى بالتصوف في المملكة المتحدة أثناء تفرغه العلمي في جامعة كارديف سنة ١٩٧٦م ، فقال : ((لقد استضافتني إحدى الجمعيات البريطانية أثناء تفرغي في جامعة كارديف لإلقاء محاضرة عن التصوف ، فلبيت طلبهم وألقيت محاضرة استمرت أكثر من ساعة ونصف ، تطرقت خلالها للتصوف والمتصوفة في مختلف العصور وفي أماكن مختلفة، فأعجبوا بها كثيراً ، وتم صرف مكافئة مالية تقدر بسبعة مائة دولار اميريكي آنذاك ، إلا أنني رفضت استلامها ، وقلت لهم ، إذا أردتم مكافئتي ، فحولوا لي بما يعادل قيمتها كتباً إلى العراق ، فحولوا الكتب ، فضلاً عن أعمال الجمعية المختصة بالتصوف ، فاستلمها أخي في ميناء البصرة)) ، وهي ألان موجودة ضمن مكتبته التي أوصى بإهدائها لقسم التاريخ قبيل وفاته لتبقى وفقاً على روحه يستفيد منها طلبة العلم بجميع المراحل الدراسية .

فقد الدكتور عبد المنعم بصره في سنة ٢٠٠٦م ، وعلى الرغم من ذلك بقيت صحته بحالة جيدة فلم ينقطع عن التدريس في قسم التاريخ / كلية الآداب ، إلا أن دوره اقتصر في بداية الأمر على إلقاء المحاضرات على طلبة الدراسات العليا في مرحلة الماجستير والدكتوراه والإشراف عليهم ، فضلاً عن مناقشة الرسائل والأطاريح التي تحال اليه من لدن لجنة الدراسات العليا في القسم ، كما استمر عطاء الدكتور عبد المنعم رحمه الله يتدفق ويثري طلبته من خلال توجيهاته القيمة التي يقدمها ، والمناقشات التي يخوضها معهم ، ولاسيما التي كانت تقام من اجل اختيار مواضيع الماجستير والدكتوراه ، وخلال هذه المدة قدم له تلميذه النجيب الدكتور نايف محمد شبيب ما لم يقدمه له غيره من التلاميذ الذين درسوا على يديه ، اذ بقي إلى جانبه بعد حصوله على شهادة الماجستير والدكتوراه تحت إشرافه ، ولم يتركه وحيداً في معترك الحياة وظلمتها كما فعل غيره ، بل استمر الدكتور نايف يأتي به من البيت إلى الجامعة ، ويقدم له العون فيما يحتاجه أثناء المحاضرات التي يلقيها ، ثم يعيده إلى بيته ، ولم ينقطع عن ذلك حتى واراه الثرى .

ومع بداية سنة ٢٠٠٨م أخذت صحة الدكتور عبد المنعم رشاد تتدهور شيئاً فشيئاً ، واقتربت ساعة الرحيل ، فكانت وفاته في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من نيسان ٢٠٠٨ م بعد معاناة مع الألم[٦٧] ، تاركاً

مكتبة قيمة حوت ما يقرب من أربعة آلاف كتاب في مختلف الاختصاصات ، ولاسيما الكتب التاريخية في مختلف العصور القديمة والإسلامية والحديثة والمعاصرة[٤٧].

هوامش البحث

[١] سوادي عبد محمد الروشيدي ، إمارة
في عهد بدر الدين لؤلؤ (بغداد ، ١٩٧١م) ، ص ١٨٢ .

[٢] محمد سليم محمد غزوي ، الحريات العامة في الإسلام (الإسكندرية : ١٩٦٥م) ، ص ١١٢ .

[٣] زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت : ١٩٦٠م) ، ص ٢٣٤

[٤] سليمان صائغ ، تاريخ الموصل (بيروت : ١٩٢٨م) : ٢ / ٤١ .

[٥] المرجع نفسه : ٢ / ٨٩ .

[٦] إبراهيم خليل العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية ، مقالة منشورة بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٤م على شبكة الانترنيت على موقع مركز النور للدراسات .

[٧] مقابلة شخصية تمت بتاريخ ٢٠١٣/٣/١٠م في قسم التاريخ مع طالبه الأستاذ المساعد الدكتور ناصر عبد الرزاق الملا جاسم التدريسي في قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل ومدير وحدة الدراسات الاستشراقية حالياً .

[٨] للمزيد من التفاصيل ينظر : عمر محمد الطالب ، أعلام الموصل في القرن العشرين ، حرف العين " عبد المنعم رشاد " .

[٩] العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

[١٠] الطالب ، أعلام الموصل في القرن العشرين ، حرف العين " عبد المنعم رشاد " .

[١١] نقلاً عن الجدارية الخاصة بالسيرة الذاتية للأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد والمعلقة في قسم التاريخ التي قام بعملها طالبيه الدكتور نايف محمد شبيب والدكتور بشار أكرم جميل الأستاذين المساعدين التدريسيين في قسم التاريخ /كلية الآداب/جامعة الموصل حالياً ؛ العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية ، جزيل عبد الجبار الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ

في جامعة الموصل ، مقال منشور على شبكة الانترنيت على الموقع :

www.kurdiu.org.

(١٢) العلاف ، برنارد لويس في أطروحة ، مقالة منشورة ضمن مدونة الدكتور إبراهيم العلاف في موقعه الخاص على شبكة الانترنيت

www.allafblogspot.com

(١٣) حسن الحكيم ، ذكرياتي مع أستاذي ... الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ، مقالة منشورة ضمن جريدة دليل النجف في ٢٠١٢/١٢/٢٣م .

(١٤) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية ؛ ياسين عبد الكريم واسهاماته في دراسة التاريخ الحديث في العراق ، مقالة منشورة ضمن مدونة الدكتور إبراهيم العلاف في موقعه الخاص على شبكة الانترنيت

www.allafblogspot.com.

(١٥) العلاف ، الاستاذ الدكتور ياسين عبد الكريم وموقعه في المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، مقالة منشورة على شبكة الانترنيت على الموقع :

WWW.gilgamish.org.Com.

(١٦) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية.

(١٧) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية ؛ عبد التواب أحمد سعيد مؤرخا ، مقالة منشورة ضمن مدونة الدكتور إبراهيم العلاف في موقعه الخاص على شبكة الانترنيت

www.allafblogspot.com .

(١٨) برنامج على قناة الموصلية ، عن تاريخ جامعة الموصل في يوم ١٩/ آذار /٢٠١٣ الساعة العاشرة والنصف لقاء مع الدكتور إبراهيم خليل العلاف .

(١٩) دليل كلية الآداب / جامعة الموصل للعام ٢٠١٠-٢٠١١م منشوراً على موقعها الرسمي .

(١) نوري علي ، احتفالات موصلية في الذاكرة (٢) مهرجان الشاعر أبي تمام ، مقالة منشورة ضمن جريدة الأخبار العراقية بتاريخ ١٣/كانون الأول /٢٠١٠م .

(٢) هذا ما قصه علينا في إحدى المحاضرات التي كان يلقيها علينا في أثناء دراستنا للدكتوراه للعام الدراسي ٢٠٠١-٢٠٢ في مادة التاريخ العباسي.

(٣) دليل كلية الآداب /جامعة الموصل للعام ٢٠١٠-٢٠١١م .

(٤) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية ؛ عبد المناف شكر النداوي ، جمعية المؤرخين والاثاريين في العراق ٢٠٠٠-٢٠٠٣م ، مقالة منشورة ضمن مدونة الدكتور العلاف على موقعه الخاص على شبكة الانترنيت: www.allafblogspot.com

(٥) دليل كلية الآداب / جامعة الموصل للعام ٢٠١٠-٢٠١١م .

(٦) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(٧) العلاف ، موسوعة المؤرخين العراقيين المعاصرين(دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل : ٢٠١١م) ، مقدمة الكتاب .

(٨) الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(٩) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(١٠) العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(١١) الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(١٢) أشار إلى ذلك الأستاذ المساعد الدكتور نايف محمد شبيب الذي اشرف عليه الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد في الماجستير والدكتوراه في مقابلة معه في منزله بتاريخ ٢٠١٣/٢/٤م .

(١٣) الحكيم ، ذكرياتي مع أستاذي ... الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ، مقالة منشورة ضمن جريدة دليل النجف في ٢٠١٢/١٢/٢٣م .

(١٤) الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(١٥) هذا ما عهدناه عن منهج الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد أثناء تدريسه لنا ونحن طلبة بكالوريوس وماجستير ودكتوراه .

(٣٤)الحكيم ، ذكرياتي مع أستاذي ... الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ، مقالة منشورة ضمن جريدة دليل النجف في ٢٠١٢/١٢/٢٣م .

(٣٦)الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(٣٧)العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(٣٨)الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(٣٩)أشار إلى ذلك الأستاذ المساعد الدكتور نايف محمد شبيب الذي اشرف عليه الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد في الماجستير والدكتوراه في مقابلة معه في منزله بتاريخ ٢٠١٣/٢/٤م .

(٤٠)الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل.

(٤١)العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(٤٢)برنارد لويس ، أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية (دار الحداثة ، بيروت :د. ت.) .

(٤٣)في مقابلة شخصية معه في قسم التاريخ كلية الآداب / جامعة الموصل بتاريخ ٣/ نيسان/٢٠١٣

(٤٤)العلاف ، الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد ومكانته العلمية .

(٤٥)المرجع نفسه .

(٤٦)المرجع نفسه .

(٤٧)الجومرد ، عبد المنعم رشاد وأثره في تدريس ودراسة التاريخ في جامعة الموصل .

(٤٨)أشار إلى ذلك الأستاذ المساعد الدكتور نايف محمد شبيب الذي اشرف عليه الأستاذ الدكتور عبد المنعم رشاد في الماجستير والدكتوراه في مقابلة معه في منزله بتاريخ ٢٠١٣/٢/٤م .

Ibn Rushed Journal for Studies

Volume 1, No. 1, January 2024, Rajab 1445

Ibn Rushd

Instructions for publication (2)

10- The sources and references are written in the margin at the end of the research, and the sources and references are indicated in the body of the research by sequential numbers placed in parentheses, and this is as follows:

• The name of the author/authors is written as he or she are, and if there are more than two, the first name is written and the rest (others), year of publication, name of reference, publisher, edition, place of publication, and page are indicated.

• Translated books, as previously mentioned, with the translator mentioned immediately after the name of the reference.

• Journals: Name of the author: Title of the research or study, name of the journal, issue, volume, year, page.

• Doctoral or master's theses: author's name, thesis title, university, year, page.

• Books in English or other languages, name of the author, year of publication, name of the reference, publisher, edition, place of publication, page (written in English or the language of the reference).

• Journals in English or other languages, name of author, title of research or study, name of volume, issue, volume, year, page (in English or language of the Journal).

• Conferences: name of the presenter of the paper or report, title of the paper or report, name of the conference, place of the conference, year, page.

• Newspapers: the name of the writer of the article or news, its title, the name of the newspaper, the place of publication, the issue, and the date.

• Websites: name of the website, title of the article or news, name of the writer, link in English, date of publication, time.

• The research language may be English or any other living language, provided that an abstract is submitted to the journal in Arabic.

11- If the research is published, no other party may republish it, publish a summary of it, or publish a translation of it in any medium (book, newspaper, or other periodical) without with written approval from the Journal's Editorial Board.

12- The researcher will be informed of the publication date within a period of no less than one month from the date of receipt of the research.

13- The Journal reserves the right of keeping the research, whether published or not.

14- The Journal reserves the right to publish the research in accordance with the Journal's editorial policy.

15- The researcher pays the fees if the research is approved for publication.

16- Research papers should be sent to the following address:

ibn.rushid@yahoo.com

ibn.rushed01@gmail.com

Ibn Rushed Journal for Studies

Volume 1, No. 1, January 2024, Rajab 1445

Instructions for publication (1)

1- Ibn Rushed Journal of Studies publishes original scientific research by researchers and author's in the social and human sciences, written in Arabic or English only.

2- The research is printed on one side of the paper using double space and footnotes (at least 1.5 cm on each side), and the pages must be numbered.

3- The Research must not have been published or submitted for publication anywhere else.

4- Research is subject to refereeing according to established scientific principles, and if modifications to the research are requested, it is returned to the researcher to make the required modifications.

5- The journal is not committed to publishing the research except after making the required amendments, or the editorial board undertakes to make some of the required amendments in accordance with the publishing policy.

6- Research must be typed using Word, according to the form found in the following publishing instructions:

- The main titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/14 for Arabic Language), (Arial/Bold/12 for English Language).
- The sub-titles of the research must be formatted as (Arial/Bold/12).
- The body of the research must be formatted as (Arial/12).
- The number of research words should not exceed 5,000 words, with a maximum of 15 A4 pages, with a distance between lines of 1.5.
- The research sent to the editor-in-chief of the journal via email, noting that no paper copies of the research will be received.
- The research must include the research title, the name of the researcher or researchers, the abstract, keywords, introduction, research methodology, results, discussion, footnotes - if any - and references.

7- The abstract must not exceed 150 words, and contain the goal of the study, the method, results and recommendations.

8- Tables and figures are numbered respectively according to their occurrence in the research.

9- When the research is approved for publication, the ownership rights are transferred to the journal.

Ibn Rushed Journal for Studies

Volume 1, No. 1, January 2024, Rajab 1445

Advisory Board

Name	Country	Name	Country
Prof.DR. Ali Mahaftha	Jordan	Prof.DR. Ehsan Rabbaey	Jordan
Prof.DR. Fawaz Abd Al-Hag	Jordan	Prof.DR. Fathy Salem AL_laheaby	Iraq
Prof.DR. Waleed Abd Al-Hay	Jordan	Prof.DR. Nour Al-deen Amayt	Morocco
Prof.DR. Yousef Abo Al- Odous	Jordan	Prof.DR. Mohamad Al- Mokhtar	Senegal
Dist.Prof.DR. Ebraheem Jadleh	Tunisia	Prof.DR. Emran Mahaftha	Jordan
Prof.DR. lofty Abo Al-hija	Jordan	Prof.DR.Tharwat Hawamdeh	Jordan
Prof.DR. Fayez Abo Areada	Jordan	Prof Dr. Sabrina Alwaer	Algeria
Prof.DR. Ahmad Jawarneh	Jordan	Prof.Dr.Naama Maalaynyn	Morocco
Prof.DR. Mohamad Hazaymeh	Jordan	DR. Saleh Mahrous Mohamad	Egypt
Prof Dr. Likhdar Moh'd Bolatif	Algeria	DR. Ashwag Abbas	Syria
Prof.DR. Fayez Al-Najar	Jordan	Dr . Eaman Saleh Atata	Egypt
Prof.DR. Mohamad Al-momany	Jordan	DR Moh'd Farahat	Palestine
Prof.DR. Nabeel Al-Najar	Jordan	DR. Nabeal Gareasah	Tunisia
Prof.Dr. Mohamad Kentawi	Algeria	DR.Hend Fakhry Saead	Iraq
Prof.Dr. Hamdado Bin Omer	Algeria	DR. Rabee owaise	Palestine
Prof.DR. Waleed Hamidat	Jordan		

The views expressed in this Journal are those of the authors, and do not necessarily reflect the views of the Journal

Ibn Rushed Journal for Studies

Volume 1, No. 1, January 2024, Rajab 1445

Editor – in –Chief

DR. Younes Al-Jamra

Editorial Consultants

DR. Sayel Khataybi DR. Khather Asserhan DR. Azzam Abo Alhamam DR. Mahmud Fatatah

Editorial Consulting Board

Name	Country	Name	Country
DR. Areaj Jaber	Jordan	DR.Asmaa Khasawni	Jordan
DR. Khaled Ashraydi	Jordan	DR. Rabeaha Rfa3y	Jordan
DR.Khaled Mayyas	Jordan	DR. Ali AL-Hallag	Jordan
DR. Abd assalam Yahia Sayed	Mauritania	DR. Assmaa Anaila	Morocco
DR. Mohamad Bany Easa	Jordan	DR. Ekram Albasheer Aljamal	Libya

A refereed Quarterly Scientific Journal for Social and humanity Studies

Issued by

Ayn Alsultan Foundation for studies and research

Irbid/ Jordan

Mobile:

00962799045000-00962788031031

Email:

ibn.rushid@yahoo.com / ibn.rushed01@gmail.com

website:

https://ibn-rushed.com/

The views expressed in this Journal are those of the authors, and do not necessarily reflect the views of the Journal

Ibn Rushed

Journal for Studies
(IJS)

A refereed Quarterly Scientific Journal for
Social and humanity studies
Issued by
Ayn Alsultan Foundation for
studies and Research

Irbid - Jordan

Vol.1 Issu. 1 January 2024

Deposit No. D/2023/1654